

A

Princeton University Library



32101 073838078

2264.11045.346

v.1

al-Alūsī

Hiwār bayna al-Falāsifah

DATE	ISSUED TO
OCT 24 '68	BINDERY
GAYLORD 40	

2264.11045.346

v.1

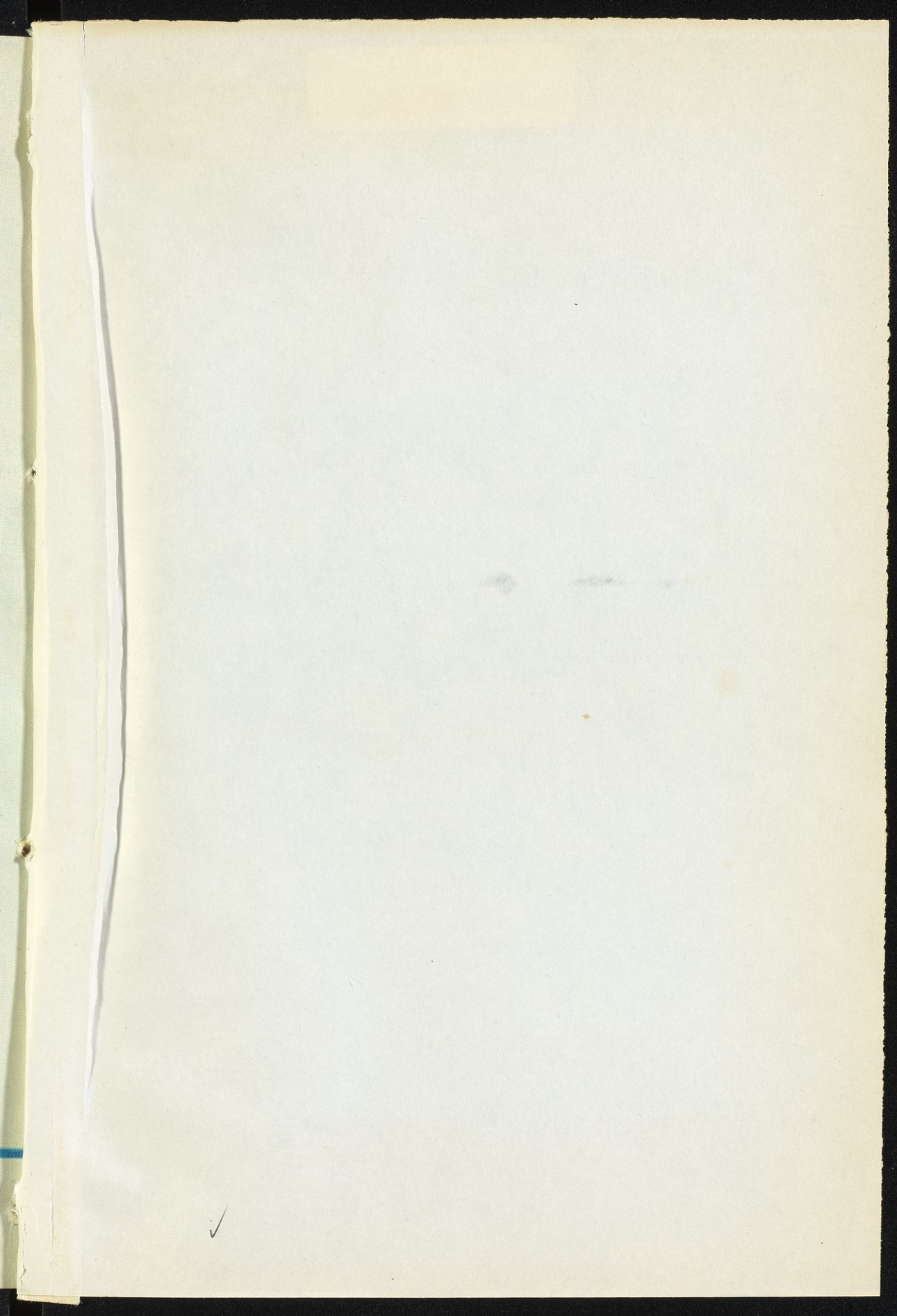
al-Alūsī

Hiwār bayna al-falāsifah

DATE	ISSUED TO
OCT 24 '68	BINDERY.
GAYLORD 40	

DATE

ISSUED TO



في سبيل فهم الفلسفة الإسلامية



حوار بين الفلاسفة وملتكلمين

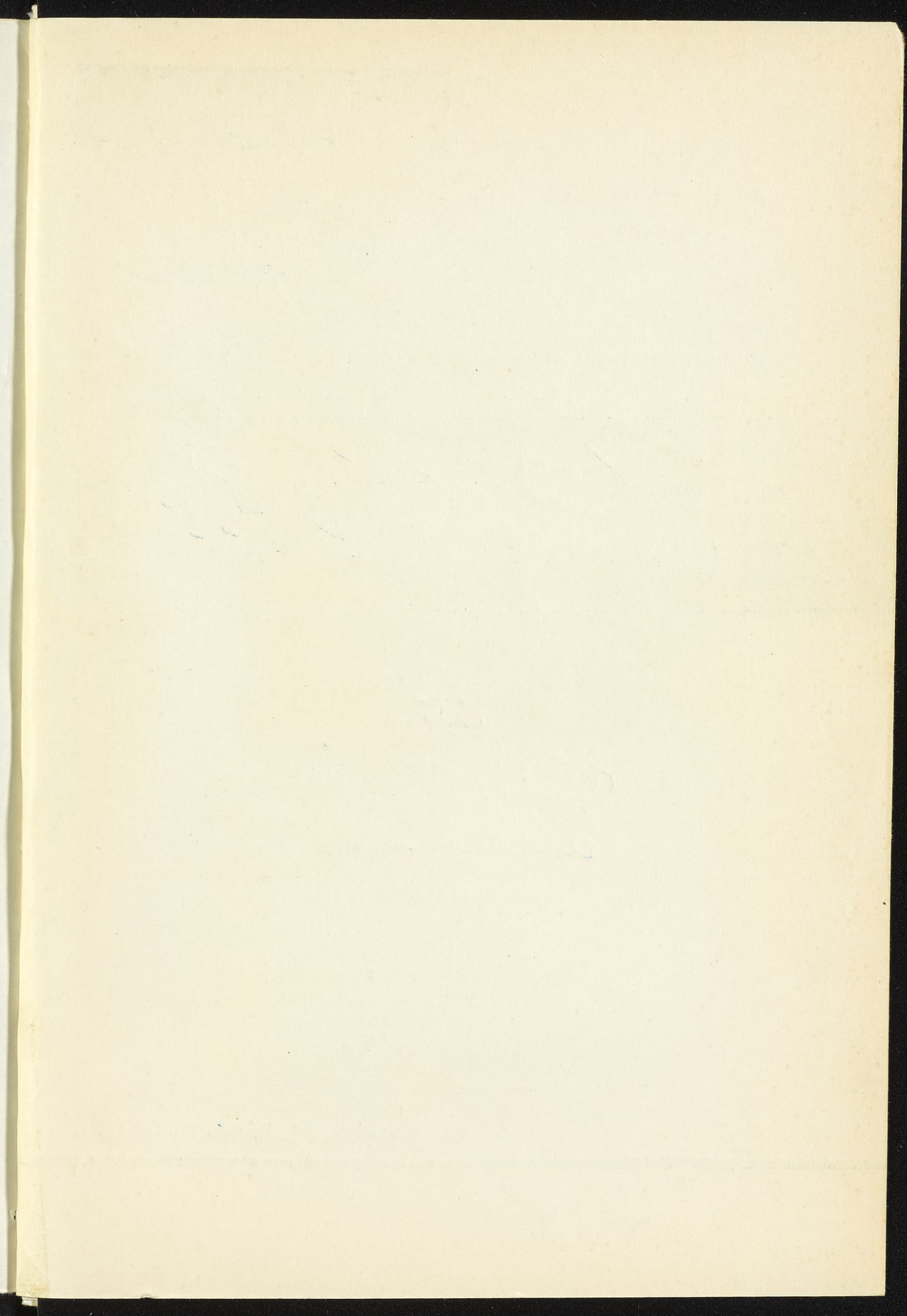
تأليف

الدكتور حسام محي الدين اللواتي

دكتوراه في الفلسفة الإسلامية - كبرج

ماعدت جامعة بغداد علوم طبه

الكتاب الاول



al-Ālūsī, Husām

في سبيل فهم الفلسفة الإسلامية
(١) مشكلة الوجود

Hiwār bayna al-falāsifah

جواب أئمة الفلاسفة المتكلمين

تأليف

الدكتور

حسام محي الدين آللوسي

دكتوراه في الفلسفة الإسلامية من جامعة كمبردج

ساعت جامعة بغداد على طبع هذا الكتاب

مطبعة الزهراء - بغداد - شارع المننبي

١٩٦٧/١٣٨٧

2264

.11045

.346

v.1

مقدمة عامة

عندما كنت في انكلترا كانت تراودني رغبة كان ينعنى عن التفكير الجدى بمحاولة تحقيقها ما كان يلوح لي من صعوبتها وضرورة التفرغ لها فأثرت ان امضى في تهيئة اطروحتي واستكمال وسائل تحقيق هذه الرغبة بمراجعة الكتب الفلسفية والكلامية بشمول وعمق يتناسب وضخامة المهمة حتى انتهت دراستي وعدت الى الوطن ومضت سنتان بعد العودة أمضيتهما في التدريس لمواضيع مختلفة منها الفلسفة الاسلامية تهيأ لي فيها استكمال بعض ما لم استطع ادراكه قبل ذلك من الاطلاع على نواحي فكرنا الاسلامي الحديث وعلى الفكر اليوناني والفكر الوسيط بصورة أنضج وخيل لي اني لو اردت ان استمر في القراءات لما امكنتى ان انجز شيئاً ولو انصرم العمر كله ولذلك آثرت ان ابدأ بتحقيق هذه الرغبة التي حدثت القارىء عنها والتي راودتني وانا في سنى التلمذة ، فاصدرت هذا الكتاب وهو الحلقة الاولى من حلقات تتناول مسائل هامة من فكرنا الكلامي والفلسفى ، ليس على اساس التاريخ لها فقط بل على اساس الدخول في تفاصيل هذه المسائل ودراستها دراسة مقارنة ترجع بها الى اصولها في التراث العالمى وخصوصا اليونانى وباسلوب لا يخلو من لغة الجفاف الذى يلاحظه ادنى من له اطلاع على كتابات فلاسفتنا ومتكلميها وهو امر حاولت ان اخفف منه بالشروح ما امكن حتى يتسنى للقارىء متوسط الفهم او بعضه •

وبعد فاذا كان لي من رجاء من القارىء فهو ان يستحضر في ذهنه انه لايقوم بنزهة هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فان هذا البحث كل لا يتجزأ مرتبطة باخره باوائله فاذا لم يستطع ان يفهم كل شىء في فصوله الاولى فربما ادرك ما غمض عليه منها حين يمضى في قراءته قراءة صبورة متفتحة • ان تجنب الصعوبة امر مستحيل ومن يجب ان يطلع على فلسفتنا

- بل والفلسفة القديمة كلها - فلا مناص له من مواجهة الصعوبات في أسلوبها
وفي الفاظها وعليه ان يعنى انها ليست فلسفة حديثة في المنهج والاسلوب بل
وحتى في بعض مشكلاتها وتناولها لهذه المشكلات ، فاذا كانت قراءة الفلسفة
الحديثة تحتاج الى جهد وانتباه لا يعطيه القارئ حين يقرأ موضوعاً آخر
فان عليه ان يضعف الصبر والانتباه اذا اراد ان يظفر بشيء من فلسفتنا القديمة
التي لا ابالغ اذا قلت انها تعرض لأول مرة عرضاً جدياً وبلغت اهلها في هذه
السلسلة •

بغداد ١٩٦٧/٩/٢٦

تمهيد

تجمعت دوافع متعددة جعلتني أؤثر كتابة هذا البحث الشاق ولعل أول هذه الدوافع الحاحا الرغبة في اظهار الفلسفة الاسلامية على حقيقتها غنية عميقة ، ولا يمكن تحقيق هذا الا بنقل انقارىء الى شعابها وملتوياتها ومواجهته بأساليبها في التعبير وناقش فان حظ اكرية القراء والمعنيين بها لا يتجاوز في الغالب الاطلاع عليها من خلال المختصرات والاستعراض العريض لمشاكلها ولست اذيع سرا اذا قلت ان كثيرا ممن يتلمذون لفلسفتنا بجهدهم الشخصي او من خلال الدراسة الاكاديمية يصعب عليهم ان يتفهموا كتب فلاسفتنا لو فرغوا بانفسهم اليها او واجههم نص من نصوصها وذلك انهم تعودوا ان يقرأوا عنها لا ان يقرأوها . ومعظم الكتب الحديثة التي تؤرخ لفلسفتنا مكتوبة للقارىء العام ، فهي لا تعنى بالمشاكل بعمق وغالبا ما تؤرخ لاشخاصها وتدور حول مشاكلها دون ان تدخل فيها واذا قدر لشخص - وهذا حكم عام وليس بحاصر - ان يدرس احد فلاسفتنا او مشكلة من مشاكل فلسفتنا فانه في الغالب يقتصر على عرض آراء هذا الفيلسوف عرضا سهلا سطحيا يتعد فيه عن تفاصيل رأيه وعلاقاته بمن سبقه وبمن لحقه وبراء المتكلمين او سواهم . وباختصار فانتى اعتقد ان كثيرا من اللوم الذى يقع على فلسفتنا وخصوصا ما شاع عنها من انها مفككة جمعية لا وحدة فيها ولا عمق سببه عدم توافر الدراسات الكفوءة والدارسين الذين تتوفر فيهم كل شروط الدراسة كما تتوفر في الدارس او الكاتب او المؤرخ للفلسفة اليونانية او المدرسية (المسيحية) من الغربيين .

لقد احوال مؤرخو الفلسفة اليونانية التفت الضئيلة المتبقية من اقوال الفلاسفة الطبيعيين وجميع الفلاسفة قبل سقراط بل وحتى «عدم الانسجام» الموجود في كتابات افلاطون وارسطو في كتبهم المختلفة الى مذاهب موحدة

المنهج والهدف ولكن هذا لم يتوفر بعد لاراء متكلمينا وفلاسفتنا الا في حدود ضيقة وخاصة *

ودافع آخر جعلنى البج هذا البحث يتصل من قريب بالدافع الاول وهو اننى اردت بهذا البحث ان يكون فرصة طيبة لاطهار مدى الوحدة والتلاحم في الفكر الاسلامى فليس هناك - وخصوصا بعد ان نضجت المباحث العقلية عند الكلاميين والفلاسفة - فكر كلامى وآخر فلسفى او ما يسمى «كلام» و «فلسفة» * نعم هناك مدارس فكرية ، مدارس كلامية واخرى فلسفية ولكن الوشائج قوية بين هذه المدارس والتفاعل مستمر بينها اولا وبين فروع كل مدرسة الواحد مع الاخر ثانيا * ان عمق فكرنا الفلسفى وابداعه انما يمكن رصده وتبعه في ادراك وملاحظة هذه الوشائج وهذا التفاعل بين المدارس الاسلامية المختلفة وهذا البحث سيعطى الدليل الكافي على معنى وصحة هذا الادعاء *

اننى ارى انه من غير المنتج في شىء دراسة اية مشكلة مثل وجود الله، واصل العالم ، والنفس ومصيرها ، وحرية الارادة والجوانب الخلقية * * * الخ عند الفلاسفة او المتكلمين على اساس الفصل بينهما والاقصاء على ما يقدمه احدهما حول المشكلة المدروسة *

ولعل من دوافع طروق هذا البحث وهو أمر يتبع الدوافع السابقة اننى اريد ان اقدم بهذا البحث مثلا واضحا يقنع الذين يأخذون « علم الكلام» على انه بعيد كل البعد عن الفلسفة عموما والفلسفة الاسلامية خصوصا وانه ليس الا اقوال متفرقة لتفسير آية او شرح حديث وانه مقطوع الجذور بالفكر الفلسفى العالمى قبله وخصوصا اليونانى ، اقول اننى اريد ان اقدم بهذا البحث مثلا واضحا يقنع من يذهب هذا المذهب بانه على حظ كبير من

الخطأ • لقد تعودنا ان نضع ابن سينا والآخرين من فلاسفتنا في عداد الفلاسفة وان نضع الفكر الكلامي في خانة اخرى نحرض على ان تتجنب وصفها بالفلسفة • وسيبين هذا البحث ان هذا الفكر السينائي والفارابي وعلى العموم الفكر الفلسفي الاسلامي لم يستطع ان يكون فكرا أرسطيا ولا فكرا افلاطونيا ولا فكرا افلوطينيا ولا فكرا ماديا طبيعيا في كل الحلول التي قدمها لمشكلة الحدود والقدم وهي البر كبريات الفلسفة القديمة وسأحاول في المستقبل اثبات ان هذا هو الحدم في كل المسائل الفلسفية الاخرى • وربما سيدهش كثير من اباحين الذين تعودوا ان يحسبوا ابن سينا على ارسطو او سواء من فلاسفة اليونان حين سيجدون انه لا يتعد عن كونه مسلما بقدر ما يتعد عن كونه ارسطيا او افلاطونيا او افلوطينيا • وقد تقاسم الفلاسفة والمتكلمون هذا الموقع الوسط الموفق المتعدد الاصول والابعاد وقدم المتكلمون نظرية فلسفية عن اصل العالم لها مبرراتها العقلية وحججها الفلسفية ونقدها القوى لمواقف المدارس الاخرى المحتملة لمشكلة أصل العالم • وخاض المتكلمون في كل الابعاد الموافقة والمخالفة المحتملة بما في ذلك تقديمهم لجميع مذاهب اليونان • ويجب ان نقول ان القول بالخلق من عدم هو من ابتداع اللاهوت اليهودي والمسيحي والاسلامي وليس شيئا جاءت به الاديان الثلاثة وان كان ممن الممكن بالتأويل استخراج من نصوص القرآن والانجيل والتوراة كما يمكن استخراج القول بالصنع من مادة اولى وهو حل افلاطون بالتأويل ايضا* •

فاذا كان حال المتكلمين هو هذا واذا كان فلاسفتنا ومتكلمونا لاهوتيين اولاً واخراً فبأى حق نضع ابن سينا ورفاقه بين الفلاسفة والغزالي والرازي والشهرستاني والدواني ••• الخ بين المتكلمين ثم نسمى فكر الاولين فلسفة ونسمى فكر الاخرين لاهوتا او عقائد او ما يشبه هذا وذاك • ان هذا البحث دلت على هذه الدعوى في القسم الاول من اطروحتي وهي قيد الطبع •

راجع فهرس المصادر لهذا البحث •

سبين بما لا يقبل الشك ان هناك فكرا اسلاميا يشمل من يسمون فلاسفة
ومتكلمين على حد سواء له سمات واحدة وعلى الانسان اما ان يسميه لاهوتا
او مدرسية اذا كان يرى انه كذلك واما ان يسميه فلسفة» اذا كان يرى انه
كذلك وفي كتنا الحاليين فهو مدعو ان يتجنب الوقوع في الغلط المعتاد والذي
سميه الجهل باراء متكلمينا وفلاسفتنا على حد سواء وهو التمييز بين «كلام»
و «فلسفة» • تلك هي الدوافع العامة اما دواعيه المباشرة فهي انى وجدت
- وخصوصا بعد ان اطلق الغزالي هجومه على الفلاسفة - شيوع التهمة
وترددها حتى عند بعض الدوائر الفلسفية بان الفلاسفة المسلمين يضمرون
قدم العالم وانهم ملحدون الخ • وهذه الدعوى يجب ان يوضع حد لها وهذا
المقال يسعى الى وضع حد لهذه التهمة وامثالها • ويلاحظ الناظر في كتبنا
القديمة المؤرخة للكلام والفلسفة الاسلاميين ضيق المقياس الذى يحكم به على
الآخرين بالكفر والالحاد • والامثلة كثيرة وكثيرة ، فعلى سبيل المثال يعدد
عبدالقاهر البغدادى في «اصول الدين» و «افرق بين الفرق»^(١) النقاط التى
اختلفت فيها رجال المعتزلة والخوارج وسواهم عن مذهب اهل السنة ويسميتها
فضائح ويلصق اليهم الكفر لاختلافهم في فهم آية او حديث وفي كل المسائل
حتى الثانوية • والغزالي - على سعة اطلاعه وتلون آرائه في كتبه المختلفة -
لا ييخل على الفارابى وابن سينا واتباعهما بالكفر في مسائل ثلاث والتبديع في
مسائل اخرى^(٢) • وهو لا يجهل كما ان البغدادى لا يجهل ان هؤلاء جميعا
مجتهدون في ظل دين واحد معتقدون بوجود الله وسوى ذلك من المسائل
التي تدخلهم جميعا في زمرة الروحانيين او المثاليين وليس بينهم شخص واحد

(١) البغدادى : اصول الدين ، اسطنبول ١٩٢٨ ص ٣١٨ فما بعد •

والفرق بين الفرق • القاهرة ١٩١٠ ص ١١٤ فما بعد •

(٢) التنهافت : بيروت ١٩٢٧ ص ٢٨-٢٠ والمنقذ من الضلال • القاهرة

• ١٣٠٩ ص ٨-١٢ •

من الماديين • وتطوف الخوانج في هذا المجال مثل يحتدى في ضيق الافق
والمقياس حتى كان «الازارقة» يكفرون «التجدات» والعكس بالعكس مع
انهم جميعا خوارج (٣) • والمسألة تبلغ أوجها من التطرف وضيق الافق عند
عامية الناس ممن لم تواتهم ثقافة شخصية بمذاهب وآراء غيرهم فالعامي
سريع الحكم على مخالفيه بالمروق والكفر في اسطر المسائل •

وعندى انه لو رجع الى التحيص لوجد ان كثيرا ممن اعتبرتوا في
صفوف الملحدين من مفكرينهم في الواقع من المخلصين للدين او على الأقل
للمذهب الروحي وللألوهية • بل لو لوحظ الاستقطاب بين المادية والروحية
لوجد ان الفلاسفة المسلمين هم العقبة امام المذاهب المادية في تاريخ الحضارة
الإسلامية لانهم مكنوا للمذهب الروحي - بما فيه الأديان - الاسس العقلية
التي تمكنه من الدفاع والهجوم بوجه المذاهب الالحادية والمادية البحتة •
ولولا هذه الفلسفات - وعلم الكلام جزء منها - لكان من السهل على الماديين
تزييح مذاهبهم وقد سلطوها بالأدلة وجمعوا لها اسباب الاخذ بها ما وسهم
ذلك •

من هذه المقدمة يتضح ان بين الالحاد - بمعناه الذي يدل على فهم الكون
فهيما ماديا بحتا منكرًا لوجود قوة عاقلة او آلهة أو أية ثنائية بين المادى
والروحي - وبين فلاسفة الاسلام فاصلا عريضا فان هؤلاء لا ينكرون الله
ولا ينكرون الحياة الأخرى ولا ينكرون التدبير في الانسان وخارجه ، بل
ان معظمهم يعترفون بالوحي مع اختلافات في فهم هذه المسائل مهملا كان

(٣) المبرد : الكامل في اللغة والادب • مطبعة الاستقامة القاهرة بلا تاريخ
ص ١٧٦ - ١٨١ ، والشهرستاني : الملل والنحل • القاهرة ١٩٥٦
تحقيق محمد زيدان ج ١ ص ١١٩ •

حفظها من الجدة والابتعاد عن الفهم الحرفي للنصوص الدينية فهي تدور في

فلك روجي مثالي واضح •

ولكى تقرب أكثر من معنى هذا الذى اقله من جهة ولكى نعالج

صلب الموضوع أضع بين يدي القارئ المذاهب التى وصل إليها الانسان منذ

ان بدأ يفكر في مسألة اصل العالم حتى نعرف أين يقع فلاسفتنا ومتكلمونا

من هذه المذاهب •

يمكن تصنيف المذاهب في اصل العالم الى ما يلي (*):

١ - من يقول بان العالم قديم بمادته وصورته وزمانه وتراكيبه ولا

إله له او مدبر يدبره • وهذا هو المذهب المادى لجميع اشكاله •

٢ - من يقول بوجود العالم ووجود قوة روحية غير مادية خلقته او

صيفته او هي قديمة معه ولكنها تدبره • وهذا هو المذهب الروحى بجميع

اشكاله • والاتجاه الاخير يضم المدارس او الشعب التالية :

أ - من يقول بان الله «صانع» للعالم كما يصنع النجار الكرسي من

الخشب اى ان الله صنع صور الاشياء وتراكيبها من مادة اولى قديمة •

وابرز مثل على هذا «افلاطون» (٤) و «اصحاب الهيولى» (٥) من مفكرينا

(*) انظر الملحق رقم (أ) في «الكتاب الثانى» •

Plato: Timaeus and Critias. Tr. Into Eng.

and ed. By. A. E. Taylor. London. 1929. esp. 30a. - 53,

69 b; Also: Zeller: Plato and the Older Academy, esp.

Ch: viii, P. 364 ff and Ch. vii, p. 296 ff; Also, A. E. Taylor:

Plato, The Man and His Works, London, 1966, pp.(440,444)

Also T. M. Forsyth: God and The World, London, 1952. P. 37.

(٤) عن مذهب افلاطون انظر : طيماؤس •

(٥) انظر عن هؤلاء ومصادر عنهم : بنس : مذهب الذرة عن المسلمين •

ترجمة عبدالهادى ابوريدة • القاهرة ١٩٤٦ • ص ٣٥ وحواشيها -

ويعملهم ابو زكريا الرازى (٦) .

ب - من يقول بان الله قديم والعالم قديم بمادته وصورته وزمانه ولكن الله علة غائية للعالم بمعنى انه المحرك له على سبيل العشق . وأبرز من يمثل هذا الرأي ارسطوا (٧) وابن رشد (٨) .

ج - من يقول بان الله ابدع العالم ابداعا ليس من مادة قديمة بل على سبيل الفيض وهذا الفيض ازلي فالعالم قديم بالزمان محدث بالذات وسيصح معنى هذين القولين فيما يأتي من هذا البحث ويمثل هذا الاتجاه الفيضيون مثل افلوطين (٩) ومن فلاسفتنا الفارابي وابن سينا (١٠) وامثالهما .

(٦) بنس : كتابه السابق . ص ٣٧ فما بعد . ودائرة المعارف الاسلامية مادة : Al-Razi بقلم بول كراوس وبنس ، ورسائل الرازى الفلسفية . نشر بول كراوس . القاهرة ، ١٩٣٩ ، وفالزر :
(٧) انظر : روس

R. Walzer : Greek into Arabic. Oxford. 1962. P. 15 ff.

Ross. W.D: Aristotle, 5th. ed, London, 1964.

وفورسيث . كتابه المتقدم . ص ٥٥ ومواضع اخرى ، وماجد فخري : ارسطوطاليس . بيروت ١٩٠٨ خصوصا ص ١٠١ فما بعد . ويوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية القاهرة ١٩٥٣ ص ١٤٥ فما بعد نص ١٧٧ فما بعد .

(٨) ان اعتبار ابن رشد في هذا الاتجاه رأى يخالفني فيه الكثيرون وسأفصله في كتاب خاص يتناول مذاهب الفلاسفة المسلمين في اصل العالم .

(٩) افلوطين : التساعيات او « كتاب الربوبية » نشر ديترشى ليبينج ١٨٨٢ . ونشرة كذلك بدوى ضمن « افلوطين عند العسرب » باسمه المنسوب غلطا الى ارسطو وهو « كتاب اتولوجيا ارسطاطاليس » القاهرة ١٩٥٥ ص ٦٧ فما بعد .

(١٠) لا يمكن الاشارة الى جميع المصادر التي تبين هذه النظرية في كتابات فلاسفتنا ولا المصادر التي تذكرها مع نقدها ولكننى اشير الى بعضها

د - من يرى ان الله خلق العالم من لاشيء لا على سبيل الفيض وليس منذ الازل بل في زمن مخصوص له بداية بمقتضى ارادة الله التي اقتضت ان يوجد في وقت معين^(١١) ويمثل هذا غالبية المتكلمين والغزالي في كتبه الكلامية وخصوصا «تهافت» و «الاقتصاد في الاعتقاد» و «كتاب الاربعين»^(١٢).

ان ممثلي هذه المدارس الاربع يلتقون في نقاط التقاء تميزهم جميعا عن الاتجاه الاول وهو الاتجاه المادي . واذا مال بعضهم الى الصنع او الفيض او الخلق من عدم او القول بالتدبير الغائي فقط فليس ذلك لمياديتهم

وخصوصا كتابات الفارابي وابن سينا لانهما اكبر ممثلين اسلاميين لها .

أ - الفارابي : آراء اهل المدينة الفاضلة ، بيروت ١٩٥٩ ص ٢٨ فما بعد ، رسالة زينون الكبير . حيدرآباد ١٣٤٩ ص ٦-٧ ، السياسة المدنية حيدرآباد ١٣٤٦ ص ١٧-١٨ رسالة في اثبات المفارقات حيدرآباد ١٣٤٥ ص ٥ فما بعد . تجريد رسالة الدعوى العقلية . حيدرآباد ١٣٤٩ ص ٤ فما بعد ، عيون المسائل ، ضمن الثمرة المرضية . نشر ديترشى سيدن ١٨٩٠ . ب - ابن سينا : تسع رسائل . القسطنطينية ١٢٩٨ ص ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٦٩ ، ٩٣ ، النجاة . القاهرة ١٩١٣ ص ٢٢٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٦٦ ، والشفاء قسم الالهيات . نشر سعيد زايد . القاهرة ١٩٦٠ ج ٢ ص ٢٦٧ ، ٤٠٢ . ٤٠٥ ، ٤١٢ ، والاشارات . نشر سليمان دنيا . القاهرة ١٩٥٧ - ١٩٦٠ قسم ٣ ، ٤ ص ٦٦١ وحول مصادر النظرية عند فلاسفتنا الاخرين والكتب الكلامية المنتقدة لها انظر حاشية (١) ص ٢١٣ من القسم الثاني من اطروحتي .

(١١) يراجع القسم الثاني من اطروحتي فهو يفصل هذه النظرية بكل ابعادها .

(١٢) الغزالي : تهافت الفلاسفة خصوصا ص ٢٢-١٢٣ ، الاقتصاد في الاعتقاد . الطبعة الثامنة . القاهرة ١٣٢٧ ، ص ١٣-١٩ ، ص ٤٤-٤٦ . والاربعين في اصول الدين . القاهرة ١٣٤٤ ص ٦-٢٥ .

والحادهم او ما يشبه هذا بل لدوافع تليق بتصورهم لله تصورا خاصا • فهم جميعا مجتهدون ضمن الاطار اللاهوتى الروحى البحت • واذا كان بعض الشك يمكن ان يثار حول الحل الارسطى والافلاطونى « انظر الفقرتين أ، ب في ص ١٠-١١ » فان شقة الخلاف بين الحلين الكلامى (د) والفيضى (ج) ضيقة جدا بقدر ما يتعلق الامر بالفيض عند فلاسفتنا •

وهذا البحث انما هو توضيح لهذه المسألة •

- ان النقاط الجوهرية التى يمكن على اساسها كتيين مدى الخلاف والتلاؤم بين متكلميها وبين فلاسفتنا الفيضيين تنحصر في ثلاث نقاط هى :-

اولا : هل للعالم موجد أو محدث ام لا ؟ وجوابهما انه له محدث

• وموجد •

ثانيا : هل العالم محدث من مادة قديمة ام ليس من مادة بل هو مبدع

عن لاشيء ؟

وجوابهما انه محدث حدوثا ابداعيا لا من مادة قديمة • ويسمى

الفلاسفة هذا «بالحدوث بالذات» اى ان العالم يستمد وجوده أى ذاته وبقاءه

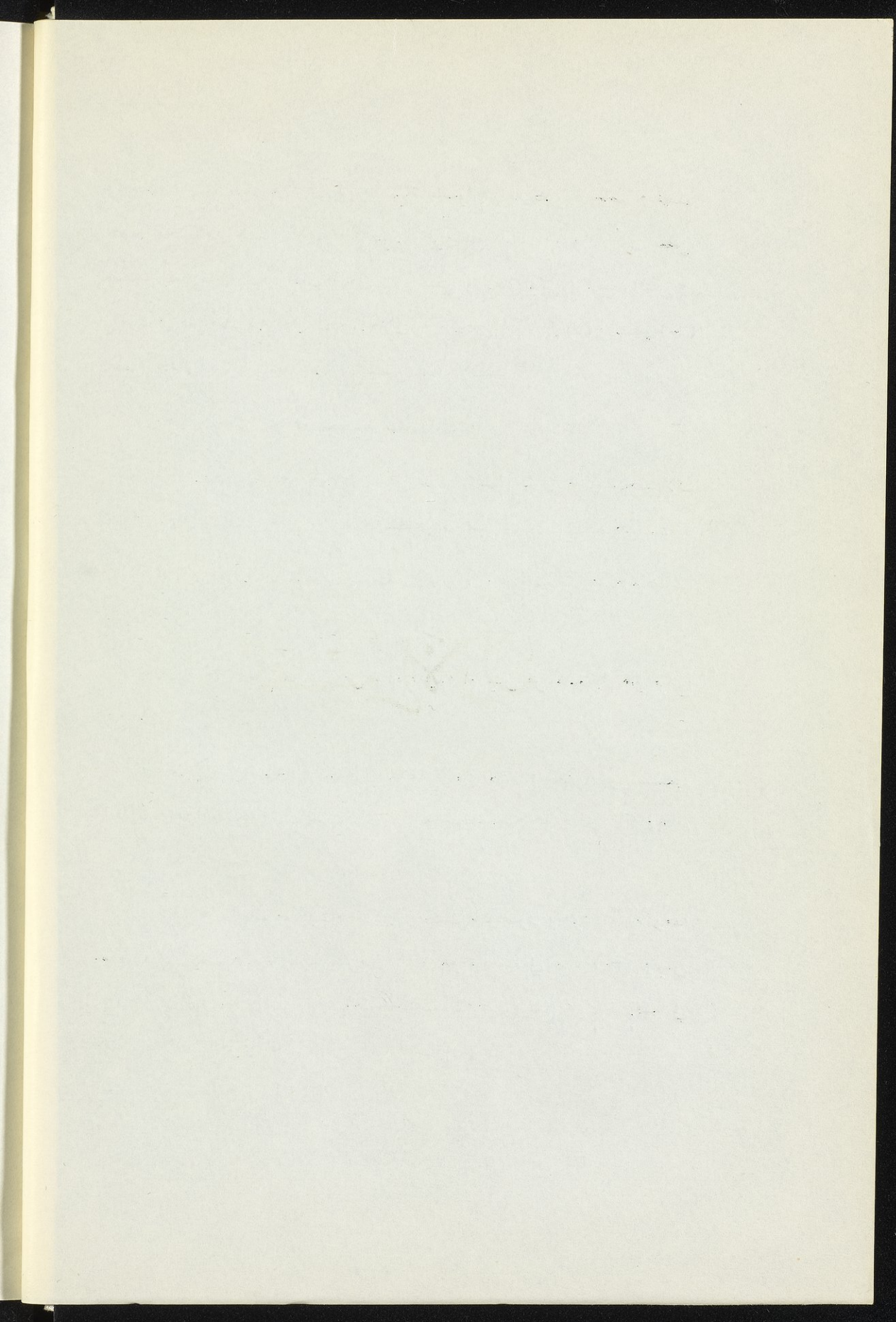
من الله كما سأوضح •

ثالثا : هل العالم موجود منذ الازل بحيث لا يتصور وجود الله الا معه

مفعوله اى العالم فالعالم قديم بالزمان ؟ ام هو محدث في مدة لاحقة وليس

منذ الازل فهو حادث بالزمان ؟ وهنا يختلف الفريقان وينتج عن اختلافهما في

هذا اختلافات اخرى •



القِسْمُ الْأَوَّلُ

Handwritten text, possibly a signature or title, in a cursive script.

القسم الاول

الفصل الاول

لا يمكن استقصاء تفاصيل هذه المسألة وتحقيقها كما ينبغي الا بدراسة جملة من النصوص التي توضح حقيقة الخلاف وجوهر ما كان يجول في ذهن فلاسفتنا ودواعي مذهبهم هذا ، وانا متأكد ان القارىء سيصل الى تقرير المسائل الخلافية اعلاه - بالصورة التي عرضتها - بعد اطلاعه على هذه النصوص التي حاولت ان اشرحها كلما وجدت ذلك ضروريا .

اننى ساقصر على كتابات الفارابى وابن سينا فيما وراء الطبيعة وهما الرائدان لنظرية الفيض في العالم الاسلامى واليهما وجه الغزالى كلامه في تهافته (١) .

يقول الفارابى في كتابه «الجمع بين رأى الحكيمين» : «ومعنى قوله اى ارسطو ان العالم ليس له بدؤ زمانى انه لم يتكون اولا فاولا بلجزائه كما يتكون البيت مثلا او الحيوان فان اجزاءه يتقدم بعضها بعضا بالزمان والزمان حادث عن حركة الفلك فمحال ان يكون لحدوثه بدؤ زمانى . ويصح بذلك انه انما يتكون عن ابداع البارى جل جلاله اياه دفعة بلا زمان وعن حركته حدث الزمان (٢) . ومن نظر اقاويله في الربوبية في

(١) في تهافت الفلاسفة يقول الغزالى انه «سيقتصر على اظهار تناقض مقدمهم - اى مقدم الفلاسفة - المعلم الاول . . . ورأى اقومهم بالنقل والتحقيق من المتفلسفة في الاسلام الفارابى ابو نصر وابن سينا . . . فليعلم انا مقتضرون على رد مذاهبهم بحسب نقل هذين الرجلين» ص ٨-٩ .

(٢) هذا هو المعروف عن افلوطين في تساعياته انظر هامش (٣) في الصفحة التالية . اما ارسطو فهو لا يقول بان العالم حادث باى معنى من معانى الحدوث ولكن الفارابى هنا ينقل عن الكتاب المسمى «اثولوجيا ارسطاطاليس» . والذي ثبت انه جزء من تساعيات افلوطين . والمهم ان الفارابى في هذا النص وما سبب من تنتمته يعترف بحدوث العالم من لاشى وان الهيولى او مادة العالم هى الاخرى ليست ازلية بل محدثة ولكن الفارابى يصر على الحدوث بالذات لا بالزمان وسيأتى ايضاح هذين .

الكتاب المعروف باثولوجيا لم يشبه عليه امره في اثباته الصانع المبدع لهذا العالم فان الامر في تلك الاقاويل اظهر من ان يخفى وهناك تبين ان الهوى ابدعها الباري جل ثناؤه لا عن شيء وانها تجسمت عن الباري سبحانه وعن ايرادته ثم ترتبت (٣) . وقد بين في «السماع الطبيعي» ان الكل لا يمكن حدوثه بالبخت والاتفاق . وكذلك في العالم جملة . يقول في كتاب «السماء والعالم» ويستدل على ذلك بالنظام البديع الذي يوجد لاجزاء العالم بعضها مع بعض (٤) وقد بين هناك ايضا امر العلة كم هي واثبتت الاسباب الفاعلة وقد بين هناك ايضا امر المكون والحرك وانه غير المتكون وغير المتحرك . وكما ان افلاطون بين في كتابه المعروف بـ «طيمائوس» (٥) ان كل متكون فانما يكون عن علة مكونة له اضطرارا وان

(٣) افلوطين : كتاب اثولوجيا ارسطاطاليس ، ديترشى ، ص ١٣ ، ١٥ ، ٥٧ ، ٧٩ ، ١١٢ ، ١٣٢ . وفيما يخص اكتشاف ان هذا الكتاب هو جزء من تساعيات افلوطين انظر مقدمة كتاب افلوطين عند العرب للدكتور بدوى . القاهرة ١٩٥٥ .

(٤) هذا صحيح فان ارسطو يستدل على وجود الله بدليل النظام ولكن ليس باعتبار الله محدثا او مبدعا بل كعلة غائية . انظر ارسطو : Aristo : Metaph, Vol. VIII of The Works of Aristotle, Tr. into English, Under The Editorship of W. D. Ross, Oxford, 1930. Book. XII, 1074b. 15 ff; W.D. Ross, Aristotle, Op. Cit, P. 182-186. Also, B. Russel : History of Western Philosophy, New ed., London, 1961. p. 180.

وكذلك تفسير ما بعد الطبيعة . لابن رشد . بيروت ١٩٤٨ ج ٣ . ص ٥١٠ . ص ١٦٩٢ .

(٥) ترجم كتاب طيمائوس الى العربية فقد نقله ابن البطريق ونقله حنين بن اسحاق او اصلح ما نقله ابن البطريق .
الفهرست . مطبعة الاستقامة بلا تاريخ . ص ٣٥٨ ، المسعودى :
التنبيه والاشراف . نشر دى غويه . ليدن ١٨٩٤ ص ١٦٢ . والقفطى :
تاريخ الحكماء . ليبزج ١٣٢٠ . ص ١٧ . وابن صاعد : طبقات الامم .
بيروت ١٩١٢ . ص ٢٣ .

المتكون لا يكون علة لكون ذاته^(٦) كذلك ارسطوطاليس بين في كتاب اثولوجيا ان الواحد موجود في كل كثة لان كل كثة لا يوجد فيها الواحد لايتاهى ابدا البتة وبرهن على ذلك براهين واضحة^(٧) (و) انه ليس لاحد من اهل المذاهب والنحل والشرائع وسائر الطوائف من العلم بحدوث العالم وتلخيص امر الابداع ما لارسطوطاليس وقبله افلاطون ولمن يسلك سبيلهما ، وذلك ان كل ما يوجد من اقويل العلماء في سائر المذاهب والنحل ليس يدل - على التفصيل - الا على قدم الطبيعة وبقائها، ومن أحب الوقوف على ذلك فلينظر في الكتب المصنفة في المبدآت والاخبار المروية فيها والاثار المحكية عن قدمائهم ليرى الاعاجيب عن قولهم بانه كان في الاصل ماء^(٨) فتحرك واجتمع زبد وانعقد منه الارض وارتفع منه الدخان وانتظم منه السماء ثم ما يقوله اليهود والمجوس وسائر الامم مما يدل جميعه على الاستحالات^(٩) والتغاير التي هي اضداد الابداع . وما يوجد لجميعهم مما سيؤول اليه امر السموات

(٦) هذا ما يقرره الكندي ايضا في رسائله مثل «كتاب الكندي الى المعتصم في الفلسفة الاولى» ضمن «رسائل الكندي الفلسفية» ج ١ القاهرة ١٩٥٠ ص ١٢٣ فما بعد .

(٧) افلوطين : اثولوجيا . . . ص ٩٧ ، ١٢٧ . وقد اخذ بهذه الفكرة فلاسفتنا اعتبارا من الكندي : رسائل ج ١ ص ١٣٢ مما بعد . وتجدر الاشارة الى ان كتاب اثولوجيا قد ترجمه الى العربية عبدالمسيح ابن عبدالله بن ناعمة الحمصي وان الكندي قد أصلح هذه الترجمة لاحمد بن المعتصم ولا يفى المقام للاشارة الى ورود بحث الوحدة والكثرة في كتب الفارابي وابن سينا وجميع الفلاسفة المسلمين فانه مبحث رئيس .

(٨) تفصيل هذا في القسم الاول الفصل الثالث من اطروحتي حيث بينت اقوال المصريين القدماء والبابليين واليهودية والمسيحية والجاهلية وكلها تتفق على هذا المعنى .

(٩) مثل ان يعتبر الماء بخارا والجبال هشيما الخ . .

والأرضين من طيها ولفها وطرحها في جهنم وتبيدها^(١٠)، مما لا يدل شيء منه على التلاشي المحض، ولولا ما اتقده الله أهل العقول والأذهان بهذين الحكيمين - أرسطو وأفلاطون - ومن سلك سبيلهما ممن اوضحوا أمر الأبداع بحجج

(٨٠) واضح انه يعرض بالقرآن هنا فان آيات كثيرة في القرآن تتكلم عن تحول وتفطر السموات والارض لافنائهما الى العدم المحض مثلا (٨٢) : ١ فما بعد ، ٨٤ : ١ فما بعد ٠٠ الخ) ٠ واستنادا على هذه الايات فان غالبية المتكلمين رفضوا ان ينتهي العالم في المستقبل الى الفناء المحض بحيث يصير الله وحده كما كان وحده ويعتدل هذا الاتجاه العام النظام والاسكافي ومعمري والاسواري ٠ انظر : «الانتصار» للخياط نشر ببيرج ٠ القاهرة ١٩٢٥ ٠ ص ١٩ ، ٢٣-٢٤ ٠ وهذه هي فكرة ابن حزم : «الفصل في الملل والنحل» القاهرة ١٩٥٩ ج ١ ص ١٩-٢٠ ٠ وهو رأى غالبية الفرق كالكروامية ٠ انظر : «المحصل» للوآزي - فخر الدين - القاهرة ١٩٢٣ ٠ ص ٩٨ ٠ انظر كذلك «الفرق بين الفرق» للبغدادي ٠ ص ٢٠٥ و «اصول الدين» له ايضا ص ٦٧ - «وتلبيس بلبس» لابن الجوزي ٠ القاهرة ١٩٢٨ ٠ ص ٨٤ ٠ وهذه هي فكرة الغزالي : «تهافت» ص ٨٠-٨١ ٠ اما ابن رشد فيقرر استنادا على ارسطو ان كل ماله اول فله آخر وما ليس له اول فليس له آخر : «تهافت التهافت» ص ١٢٠ وكتاب «فصل المقال ٠٠٠» ضمن «فلسفة ابن رشد» نشر مؤلر ٠ ميونيخ ١٨٥٩ ٠ ص ١١ فما بعد ٠ وابن رشد ينسب قول المتكلمين السابق الى افلاطون ٠ وفيما يخص أصل هذين القولين عند افلاطون وارسطو انظر :

(Aristo: De Caelo: Vol 2 of the Works of Aristotle, Ed. by Ross, Oxford. 1930. Bk. 1.10. 280a, 30. and Bk. 1. 12, 282a, 25 ff).

وفي الموضوع الاول يورد ارسطو رأى افلاطون الذي يذكره الاخير في كتاب «طيماؤس» ٠ انظر :

Plato: Timaeus, op. Cit, 38b. and: Zeller: Plato op. cit. P.363
وفكرة افلاطون والمتكلمين اخذ بها جالنيوس ايضا : انظر فان دين برغ :

Van den Bergh: The Incoherence of the Incoherene,
Gibb's Memorial. No. 19, 195٠. Vol, 2. p. 7u, note 2.

واضحة مقنعة وانه ايجاد الشيء لا عن شيء وان كل ما يتكون من شيء ما فانه يفسد لا محالة الى ذلك الشيء ، والعالم مبدع من غير شيء فماله الى غير شيء ، فيما شاكل ذلك من الدلائل والحجج والبراهين التي توجد كتبهما مملوءة منها مالهما في اربوبية وفي مبادئ الطبيعة ، لكان الناس في حيرة ولبس (١١) ♦♦♦♦♦

وفي كتاب «آراء اهل المدينة الفاضلة» يقول الفارابي « الموجود الاول هو السبب الاول لوجود سائر الموجودات وهو يرى من جميع انحاء النقص» (١٢) . ثم بعد أن يتكلم في عدة فصول عن نفى الشريك عنه وانه لا ضد له وانه لا يمكن تحديده وادراك كنهه وان صفاته عين ذاته وانه غني بذاته عن سواه (١٣) ، يتكلم عن فيض الاشياء عنه فيقول : «متى (١٤) وجد للاول - اى الله - الوجود الذى هو له لزم ضرورة ان يوجد عنه سائر الموجودات . ووجود ما يوجد عنه ، انما هو على جهة فيض وجوده لوجود شيء آخر . فعلى هذا الوجه لا يكون وجود ما يوجد عنه سببا له بوجه من الوجوه ولا على انه غاية لوجود الاول كما يكون وجود الابن غاية لوجود الابوين . فالوجود الذى يوجد عنه لا يفيد كمالا ما ، اى ليس مثل الذى يبذل مالا لينال كرامة او رئاسة ، لانه لو كان كذلك يكون لوجوده سبب فتسقط اولويته ، ويحصل غيره اقدم منه ، بل وجوده لاجل ذاته ويتبع وجوده ان يوجد عنه غيره بلا عائق لا من نفسه ولا من خارج اصلا ولا يحتاج الى شيء آخر غير ذاته مثل آله خارجة عنه او حركة يستفيد بها حالاً لم يكن له مثل الشمس

(١١) الفارابي : الجمع بين رأى الحكيمين : ضمن : الثمرة المرضية . .

نشر ديترشى . ليندن ١٨٩٠ . ص ٢٣-٢٥ .

(١٢) الفارابي : آراء . . . بيروت ١٩٥٩ . تحقيق البير نصرى نادر . ص ٣٤ .

(٢٢) كذلك : الفصل ٢-٦ ، ص ٢٥-٣٧ .

(١٤) يسمى هذا «دليل العلة التامة» وسيأتى بيانه وصيغ أخرى له .

تتحرك ليحصل لنا التسخين ومثل احتياج النار الى حرارة ليكون عنها وعن الماء بخار» (١٥) • ويقول في الفصل الثامن « الموجودات كثيرة متفاضلة - مثل العقول التي تسير الافلاك والافلاك والاجسام الطبيعية ... الخ - وجوهر الله جوهر يفيض منه كل وجود (كيف كان ذلك الوجود) كاملا او ناقصا » •

وجوهره ايضا جوهر اذا فاضت منه الموجودات كلها بترتيب مراتبها حصل عنه لكل موجود قسطه الذي له من الوجود ومرتبته منه فيبدء من أكملها وجودا ثم يتلوه ما هو انقص منه قليلا الى ان ينتهي الى الموجود الذي ان تخطى عنه الى ما دونه ، تخطى الى ما لم يمكن ان يوجد أصلا فتقطع الموجودات من الوجود ...» (١٦) •

وفي «رسالة زينون الكبير» يقول : « ان كان كل شيء في عالم الكون والفساد مما لم يكن فكان قبل الكون ممكن الوجود ، اذ لو كان ممتمنع الوجود لما وجد ، ولو كان واجب الوجود ، لكان لم يزل ولا يزال موجودا • وممكن الوجود يحتاج الى علة تخرجه من العدم الى الوجود • فكل ما له وجود لا عن ذاته فهو ممكن الوجود • وكل ممكن الوجود فوجوده من غيره • وهكذا الكلام في هذا الغير ممكن ، فلا بد من الاستناد الى الواجب بذاته (١٧) • ولا يجوز ان يكون الشيء علة لذاته لان العلة تتقدم على المعلول بالذات ولا يكون للشيء وجودان احدهما متقدم وعلة ، والآخر متأخر ومعلول ، حتى يكون الشيء علة لنفسه وبهذا يعلم انه لا يجوز ان تكون ماهية الشيء سببا

(١٥) آراء ... الفصل السابع • ص ٣٩ •

(١٦) يقصد بذلك الهيولى اى المادة غير المتعينة والخالية من الصور وهى آخر المقاضات • آراء • ص ٤٠ •

(١٧) في ايرادى لنصوصه من كتابه «تجريد رسالة الدعاوى القلبية» ص ٢٨ من هذا الكتاب سأوضح معنى هذه المصطلحات • وكذلك في مواضع أخرى •

لوجوده العارض للماهية ، لان وجود العلة هو سبب في وجود المعلول .
وليس للماهية وجودان ، احدهما مفيد والآخر مستفيد ، ولا يجوز ان يكون
شيئان كل واحد منهما علة للآخر^(١٨) ، لان هذا يؤدي الى وجود الشيء
متقدما على وجوده ، وذلك باطل . ولا يجوز ان تكون علل الى ما لانهاية
لها^(١٩) ، لان لكل واحدة منها خاصية الوسط فتكون معلولة باعتبار وعلة
باعتبار . وكل ما له خاصية الوسط فله بالضرورة طرف ، والطرف نهاية
فيكون استناد الممكنات الى وجود واجب الوجود بريئا عن العلل المادية
والصورية والغائية والفاعلية^(٢٠) . ويقول ايضا : «لم يصدر عنه ما لا يلائمه ،
ولولاه لما بقى شيء من الموجودات . . .»^(٢١) .

والجدير بالملاحظة ان الفارابي يرى ان الحاجة الى الله هي الامكان
لا الحدوث وهو بذلك يخالف المتكلمين وخصوصا قبل القرن الخامس الذين
يرون ان الحاجة الى الله هي في احداث الاشياء بعد ان لم تكن كما يبنى البناء
البيت . وسأعود الى توضيح هاتين الطريقتين طريقة الامكان وطريقة الحدوث ،
والدواعي لاختيار احدهما عند هذا الفريق او ذاك .

وفي كتاب «فصوص الحكم»^(٢٢) بعد ان يتكلم عن اقسام الموجودات

(١٨) في رسالته : «تجريد الدعاوى القلبية» حيدرآباد ، ١٣٤٩ . ص ٢-٣
يسمى هذا «بالدور» .

(١٩) اوضحت السبب العام لهذه الاستحالة في شرحي لهذا المبدأ حين
اوردت نصوصا من رسالة الدعاوى القلبية في جزء لاحق .

(٢٠) رسالة زينون الكبير . حيدرآباد . ١٣٤٩ . ص ٣-٥ . وسيكون
بامكان القارئ فهم هذا النص جيدا من خلال شروحي للنصوص
الاخري للفارابي وابن سينا المذكورة في هذا البحث .

(٢١) رسالة زينون . ص ٦ .

(٢٢) يرى بنس انه لابن سينا . ولكن هنري كوربان في كتابه «تاريخ
الفلسفة الاسلامية» ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي بيروت ١٩٦٦
يرى ان بنس مخطئ في هذه الدعوى . ص ٢٤٤ .

الممكن والواجب (٢٣) كما سبق في رسالة زينون يقول: « الماهية المعلولة لها عن ذاتها انها ليست (٢٤) ، ولها عن غيرها ان توجد (٢٥) ، والامر الذى عن الذات قبل الامر الذى ليس عن الذات فالماهية المعلولة ان لم توجد بالقياس اليها قبل ان توجد فهي محدثة لا بزمان تقدم» (٢٦) . وفي موضع آخر من نفس الكتاب نص فيه يصرح الفارابى بان الله مرید وانه فاعل للعالم منذ الازل بحيث لا يكون بينه وبين العالم زمان لم يكن فيه غير فاعل . يقول الفارابى : « ارادة الله قبل كون الشيء بالذات وهما يكونان معا لا يتأخر كون الشيء من ارادة الله في الزمان وانما في حقيقة الذات لاشك تقول اراد الله فكان الشيء ولا تقول كان الشيء فاراد الله» (٢٧) . ويصرح في نص طويل على « ان كل كائن من خير وشر يستند الى الاسباب المنبغثة عن الارادة الازلية» (٢٨) .

وفي كتاب «السياسات المدنية» يبين ان الله مقيض للموجودات كلها وان ما يوجد عنه غير متأخر عنه بالزمان بل بالذات والرتبة مع اشارة الى دليل العلة التامة : « ومتى وجد للاول الوجود الذى هو له لزم ضرورة ان يوجد عنه سائر الموجودات الطبيعية التى ليست الى اختيار الانسان على ماهى عليه من الوجود الذى بعضه مشاهد بالحس وبعضه معلوم بالبرهان . ووجود ما يوجد عنه على جهة فيض وجوده لوجود شيء آخر . وما يصدر عنه ليس سببا له ولا انه غاية لوجوده ولا على انه يفيد كمالا . . . ولا يحتاج في ان يفيض

(٢٣) الفصوص : حيدرآباد ١٣٤٥ . ص ٣ .

(٢٤) في الاصل «انها ان ليست» .

(٢٥) في الاصل «ان يوجد» .

(٢٦) فصوص . ص ٣-٤ .

(٢٧) فصوص . ص ٢١ .

(٢٨) فصوص . ص ١٧ .

عن وجوده وجود شيء آخر الى شيء غير ذاته وغير جوهره كما نحتاج نحن . .
وليس وجوده بما يفيض عنه وجود غيره اكمل من وجوده الذي به تجوهره
فذلك صار وجود ما يوجد عنه غير متأخر عنه بالزمان اصلا انما يتأخر عنه
ساعات انحاء التأخر (٢٩) .

وفي «رسالة في اثبات المفارقات» يثبت ان الاشياء ممكنة وواجبة كما في
رسالة زينون ويبين انه لا بد من الوصول الى واجب الوجود بذاته وفيها يبين
ان علة الحاجة الى الله هي الامكان لا الحدوث واليك النص مختصرا :
«الممكنات واجب فيها ان تنتهي الى موجود لا سبب له ، والا كان يلزم اذا
وضع طرفان وواسطة ، وكان موضع الطرفين الاخير معلولا ، والاول علة ،

(٢٩) السياسات المدنية : حيدآباد ١٣٤٦ - ص ١٧-١٩ : «وانواع التأخر
والتقدم عند الفلاسفة خمسة هي : ١- بالعلية ، مثل تقدم حركة اليد
على الخاتم وهما معا والمتقدم هنا علة فان حركة اليد هي علة حركة
الخاتم . ٢- بالذات مثل ماهية الاثنين مفتقرة الى حصول الواحد
وحصول الواحد غنى ، والمتقدم هنا ليس علة لوجود المتأخر .
٣- بالشرف كتقدم ابي بكر على عمر . ٤- بالرتبة الحسينية كتقدم
الامام على المأموم او بالرتبة العقلية كتقدم الجنس على النوع .
٥- بالتقدم بالزمان ومثاله تقديم الاب على الابن» . عن كتاب الاربعين
للرازي . حيدرآباد ، ١٣٥٢ . ص ٧ . ويقول الشهرستاني ان بعضهم
يضيف تقدما آخر وهو بالطبع وكل هذا احصاء حصر لم يجد الفلاسفة
عليه دليلا الا الاستقراء . «الاقدام في علم الكلام» تصحيح الفرد كيوم
(عربي - انكليزي) . اكسفورد ١٩٨٤ ، عربي ص ٨ . ويمكن مراجعة هذا
المبحث في الكتب التالية : ابن سينا : الشفاء قسم الالهيات . القاهرة
١٩٦٠ . ج ١ . ص ١٦٣ ، والاشارات القسم الثالث والرابع . ص ،
٥١٤ ، وشرح الطوسي له نفس الصفحة نوت (١) والغزالي : مقاصد
الفلاسفة . القاهرة ١٩٦١ . ص ١٨٧-١٨٨ ، والفارابي : فصوص . . .
ص ٢٢-٢٣ ، وابن رشد تهافت التهافت (ترجمة فاندنبرغ المسار
ذكرها : ج ١ . ص ٤١ . و «رسائل ابن رشد ، ما وراء الطبيعة»
حيدرآباد ١٣٦٥ . ص ٣١ ، ٣٢ ، ٩٣ .

ان يكون الاول ايضا حكمه حكم الواسطة المحتاجة الى طرف ليس حكمه حكم الواسطة فيما كان يوضح وجود ما حكمه حكم الواسطة سواء كانت عدة الوسائط متناهية او غير متناهية . فوجب ان يكون في الموجودات موجود لا سبب له . وذلك بعد ان توضع العلة والمعلومات موجودة معا ، اذ العلول لا يصح ان يوجد من دون علة . واذا حصل وجوده فانه ان استغنى بعبد وجوده عن العلة صار واجب الوجود بذاته بعد ان كان ممكنا ومحتاجا الى العلة والحدوث لا يفيد وجود المعلول الواجب لذاته وبالجملة فلا تأثير للفاعل اى في الحدوث اى في سبق العدم بل هذا له من ذاته . وما له من ذاته فلا سبب له» (٣٠) . وسيأتى مزيد توضيح لهذه المسألة والفرق بين ان تكون علة الحاجة الى الله الامكان او الحدوث .

ويكرر في «التعليقات» ما سبق ان ذكرناه في كتبه السابقة من ان كل شىء من الله وان العلة يجب ان يكون معها معلولها وهذا اشارة الى دليل العلة التامة (٣١) . ويقول «هو الاول والآخر لانه هو الفاعل والغاية فغايته ذاته وان مصدر كل شىء عنه ومرجعه اليه» (٣٢) .

وفي كتاب «مسائل متفرقة» يقول : «وللزمان بدؤ وبدوءه هو الاول المحض - اى الله - وبدؤ الشىء غير الشىء وكل العالم انما هو مركب في الحقيقة (٣٣) من بسيطين وهما المادة والصورة . . . فكونه كان دفعة بلا زمان وكذلك فساده بلا زمان واجزاء العالم متكونة فاسدة في زمان والله تعالى الذى هو الواحد الحق مبدع الكل لا كون له ولا فساد» (٣٤) .

(٣٠) «رسالة في اثبات المفارقات» . حيدرآباد ، ١٣٤٥ . ص ٣-٤ .

(٣١) «التعليقات» حيدرآباد ، ١٣٤٦ . ص ١ ، ٦ .

(٣٢) كذلك ص ١٢ .

(٣٣) في الاصل «مركب الحقيقة» .

(٣٤) «مسائل متفرقة» . حيدرآباد ١٣٤٤ . ص ٥-٦ . ولفهم النص اقول

ان الفارابى يميز بين كون العالم وفساده ككل اى وجوده وعدمه

وفي تجريد رسالة دعاوى القلبية» يوضح الفارابي معنى الواجب الوجود بذاته والممكن الوجود بذاته والواجب الوجود بغيره ثم يبرهن على وجوب وجود واجب وجود بذاته وان الموجودات توجد عنه على سبيل الفيض وان الله ليس مقيضا او محدثا للعالم على سبيل الطبع الخالي من المعرفة والارادة ولا على سبيل القصد المشبه لقصدنا وارادتنا وان فعل الله ليس هو ايجاد الاشياء من العدم بعد ان ظلت مدة غير موجودة ثم بعد ايجادها يقف فعله كما هو الحال بين الباني والبيت الذي يبنيه فان البيت قد يبقى مع موت البناء وقد انقطعت صلة البناء بالبناء او بالبيت بعد الانتهاء منه • بل على العكس من هذا ان ايجاد الله هو انه يديم وجود ما يوجد ، لانه متى كف عنه ، صارت الموجودات ممكنة بذاتها وليس موجودة على الحقيقة لان الممكن بذاته لا يوجد الا بايجاد موجب له ولو ترك لنفسه لعاد الى الامكان والممكن هو الذي يمكن ان يوجد ويمكن الا يوجد ولكن لكي يوجد لا بد له من موجب فهو ليس من صنف المستحيل الوجود ولا من صنف الواجب الوجود • ثم يوضح الفارابي ايضا ان صدور الاشياء وايجاد الله لها ازلى لعدم وجود عائق يعيق العالم عن الصدور الازلى او يجعل الله يمتنع عن الاصدار الازلى • واليك النص :

جملة وبين تكون وفساد اجزائه فيعرف الكون والفساد بالمعنى الثانى بان الكون هو تركيب او شبيه به ، وان الفساد هو انحلال او شبيه به ، واقل ما يكون عليه التركيب والانحلال شيئا لان الشيء الواحد لا تركيب فيه ولا انحلال ولا يجوز ذلك الا في زمان • ومن هنا نفهم لماذا يكون الله الواحد البسيط الحق لا كون له ولا فساد • اما قوله « وللزمان بدو وبدؤه هو الاول » فهو نفي لان يكون للزمان ابتداء وذلك بان يكون الله وحده وليس معه عالم ولا زمان ثم بعد مضي آماذ أوجد الله العالم فابتدأ معه الزمان الذى هو عدد او مقياس حركة الفلك المحيط بالعالم او ما شابه • فالزمان عند الفارابي ازلى ازلية الله طالما ان ابتداءه هو الله والله لا بداية له • وسيتضح هذا المعنى بصورة تامة كلما تقدمنا في هذا البحث •

«الوجوب والامكان والوجود معان تتصور لا بتوسط بل هي بينة بذاتها» ثم يعرف الواجب الوجود بأنه «ما اذا اعتبر بذاته وجب وجوده» • (والممكن الوجود) «هو الذى متى فرض غير موجود لم يلزم عنه محال وانه لا بد ان تكون له علة» • ويقرر ان الممكن الوجود بذاته قد يصير واجب الوجود بغيره اذا ارتبط بعلة تامة واجبة الوجود بالذات مثل الله هو واجب الوجود بالذات فاذا كان العالم معلوله ، والعالم ممكن الوجود بالذات صار العالم واجب الوجود بالله^(٣٥) • و«الامور الممكنة الوجود ، لا تتسلسل في العلية والمعلولية الى ما لانهاية له^(٣٦) ولا ان يكون دور بل تنتهى الى امر واجب

(٣٥) يمكن وضع هذه التعاريف بأسلوب واضح فالواجب الوجود بذاته هو الذى لا يمكن ان يكون غير موجود والذى ليس له علة بل وجوده من ذاته مثل الله • اما الممكن بذاته فهو الذى يمكن ان يوجد وان لا يوجد ولا بد لوجوده من علة غيره مثل العالم اما الواجب الوجود بغيره فهو الممكن بذاته ولكن لتعلقه بعلة واجبة الوجود اصبح موجودا دائما فصار حكمه حكم الواجب الوجود ولكن ليس بذاته كالاول بل لتعلقه بغيره مثل العالم الغائض عن الله منذ الازل عند الفيضين والذى لا يمكن تصور الله الا ويتصور معه وجود العالم •

(٣٦) استحالة التسلسل في العلة والمعلولات أوضحها الفارابى في دليل الوسط سابقا وسيوضحها ابن سينا فيما بعد وبالجملة فهي مبنية على اساس ارسطى مفاده : ان ما لا نهاية له لا يوجد بالفعل • اى لا يدخل كله مجتمعا في الوجود لان ما لا نهاية له لا يعد ولا يحصى فلو فرضنا ان العالم حادث (او متحرك) ، وله محرك (او محرك) فاذا كان هذا المحدث له محدث وتسلسل المحدثون الى ما لا نهاية لم يمكن ان يوجد هذا العالم لان وجوده لا يتم الا بعد وجود ما لا نهاية له من العلة والمعلولات • ولما كان العالم موجودا لزم القول بوجود محدث اول لا محدث له • وان احد ادلة وجود المثل والله عند افلاطون يقوم على استحالة التسلسل هذا وكذلك وجود المحرك الاول الذى

الوجود بذاته» • وبعد ان يتكلم عن صفات واجب الوجود بذاته كما في كنهه الاخرى مثل انه خير محض وانه لاعلة له وان الوجود عنه لا لغرض يقول «وانه توجد عنه سائر الموجودات على جهة فيض وهذا الفيض لا عن قصد منه شيه بقصدنا^(٣٧) لاجل شيء وان كونه عنه لا يجوز ان يكون على سبيل الطبع الخلى من المعرفة والارادة^(٣٨) وانه علة لوجود الكل على معنى

لا يتحرك عند ارسطو مستند الى هذا المبدأ • وقد استخدمه المتكلمون والفلاسفة لاثبات جملة قضايا منها وجود الله • انظر :

Aristo: Phy. Vol. 11. of Ross. ed. Oxford. 1930. Bk. III. 6. 206 a-b.

وقد كان افلوطين واوريجين مدركين لصعوبة القول بتسلسل لا نهاية له بالفعل ولذلك قالوا بالدورات الابدية • انظر :

Van Den Bergh, op-cit, Vel. 2. note (6) on P. 14.

وكأمثلة على ترديد هذا المبدأ عند متكلمينا وفلاسفتنا انظر : الكندي : رسائل الكندي الفلسفية ج ١ • ص ١١٦ ، ٢٠٤ ، والفارابي : «عيون المسائل» • ضمن الثمرة المرضية • ص ٦١ • و «الاقدام» للشهرستاني • ص ٦ • لمعرفة تفاصيل وافية عن موضوع التسلسل هذا يراجع ص ٣٦٦ فما بعد من القسم الثاني من اطروحتي •

(٣٧) فواضح هنا انه لا ينفى ان يكون الله له قصد ولكنه ينفى ان يكون له قصد مثل قصدنا اى القصد النفعى لاننا اذ نطلب الاشياء فانما نطلبها لغرض نستكمل به او نقص نريد ان نتجنبه بها وهذا غير جائز على الله ومن هنا - وسيوضح هذا المعنى فيما يلي مرارا - يكون المتكلمون متجنين على الفارابي - وهذا يصدق على ابن سينا ايضا كما سنرى - باتهامهما وغيرهما من الفلاسفة بانهم يجعلون الله بلا ارادة ولا قصد كالجماد •

(٣٨) وهذا تأكيد لما ذكرته في النوت السابقة فان النص صريح - وستأتى نصوص اخرى عنده وعند ابن سينا - على ان الله ليس فاعلا مطبوعا مثل النار تحرق وطبعها الاخراق دائما بدون ادراك او شعور بفعلها وكذلك الشمس تسخن دونما ادراك لفعلها • ومن هنا يكون المتكلمون متجنين باتهام الفلاسفة انهم يعتبرون الله فاعلا مطبوعا •

انه يعطى الكل وجودا دائما ويمنع العدم مطلقا لا ان يعطى الكل وجودا
جديدا بعد تسلط العدم عليه الا العدم الذى يستحقه الكل بذاته (٣٩) فيكون
علة على انه مبدع والابداع هو ادامته تأييس ماهو بذاته ليس (٤٠) اقامة
لا تتعلق بعلة غير ذات المبدع وانه ليس (٤١) في ذاته ما يضاد صدور الكل
عنه ، فهو بهذا المعنى مرید لوجود الكل في انه لا يجوز ان يتجدد له ارادة
لم تكن في الازل» (٤٢) .

ويقول في موضع آخر ان العالم لم يكن غير موجود ثم وجد بل هو
موجود منذ الازل وبذلك يرفض قول متكلميها ان العالم مخلوق بالزمان اى
له بداية زمانية . ومعنى هذا ان العالم قديم بالزمان اى ان وجوده مصاحب
لوجود الله لا ينفك عنه لحظة واحدة ولكنه اى العالم حادث بالذات لان
الحادث بالذات هو الذى يستمد وجوده من سواه ولا بقاء له اذا عدت
العلة التى هو بها متعلق . ولا تنسى ان العالم عند الفارابى من صنف الوجود

(٣٩) من حيث انه ممكن بذاته وسأوضح بعد قليل في نص لاحق معنى ان
يمنع الله العدم مطلقا الى آخر السطر .

(٤٠) اول من استخدم هذين المصطلحين حسب علمى الكندى : رسائل
ج ١ ، ص ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٦٥ ، ١٨٣ واستعمله ايضا «السكاكية»
انظر : الاشعري : «مقالات الاسلاميين» . نشر رتر . اسطنبول ١٩٢٩
ج ١ . ص ٢١٩ «والانتصار» للخياط . ص ٨٢ ، والقاسم بن ابراهيم :
كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع . نشر جويدى . روما
١٩٢٧ ، ص ٤٧ . واخوان الصفا : الرسائل . نشر الزركلى . القاهرة
١٩٢٨ ج ٣ . ص ٣٦٠ ، وابن سينا : تسع رسائل ص ٣٠ ، والالهيات
من الشفاء . ج ١ . ص ٢٦٥ ، ج ٢ . ص ٢٦٣ ، ٢٦٧ .

(٤١) هذا هو جوهر دليل العلة التامة المبني على ان الفاعل الكامل
لا يتأخر عنه فعله لان تأخره يعنى انه لم يكن تام الشروط وانه تجددت
فيه ارادة او قدرة وكل ذلك مستحيل لانه اى الله لا يتغير - . وسيأتى
مزید ايضاح مع مصادره .

(٤٢) هذه النصوص من الدعاوى القلبية . ص ٢ - ٤ .

الممكن فحالما تنقطع صلته بموجده او بعلة الموجبة يعود عدما • ولكن لما كان الله واجب الوجود بذاته اي لا يمكن تصور عدم وجوده اذلا ولا في المستقبل والعالم متعلق به تعلق المعلول بالعلة ، اصبح العالم قديما بالزمان محدثا بالذات • يقول الفارابي : « وان العالم محدث لا على انه كان قبل العالم زمان لم يخلق الله فيه العالم ثم بعد انقضاء ذلك الزمان خلق العالم بل على ان العالم وجوده بعد وجود الله بالذات » (٤٣) •

وفي كتاب « عيون المسائل » بعد ان يتكلم عن اقسام الموجود الثلاثة الواجب بذاته والممكن بذاته والواجب الوجود بغيره واستحالة التسلسل وانه لذلك لا بد من الانتهاء الي واجب وجود بذاته يقول : « ووجود الاشياء عنه لا عن جهة قصد منه يشبه قصودنا ولا يكون له قصد الاشياء ولا صدور الاشياء عنه على سبيل الطبع من دون ان يكون له معرفة ورضاء وانما ظهرت الاشياء عنه لكونه علما بذاته (٤٤) وبأنه مبدأ لنظام الخير في الوجود على ما

(٤٣) الدعوى القلبية • ص ٧ •

(٤٤) مشكلة علم الله وتعلقه بالموجودات ، وهل علمه بالشيء يكون بعد وجود الشيء او قبله وهل هو علم زمانى بمعنى انه اذا تغير المعلوم تغير علم الله مثل ان يكون الانسان جالسا فيعلمه الله جالسا فاذا وقف تغير علم الله فصار يعلمه واقفا اقول هذه المشكلة من المشاكل الميتافيزيقية العويصة في الفلسفة القديمة اليونانية والاسلامية وبصورة عامة الوسيطة وقد قدمت لها حلول مختلفة ولا يسع المجال لذكرها هنا واكتفى بالاحالة الى « مقالات الاسلاميين » للشمسرى ج ١ • ص ٣٦ فما بعد ، ص ١٥٧ فما بعد ، ص ٢١٩ فما بعد ، ٢٨٠ ، ج ٢ • ص ٤٨٩ فما بعد • وبحتى المنشور في مجلة كلية الآداب عدد (٩) سنة ١٩٦٦ بعنوان « مشكلة المعدوم ٠٠٠ » ص ٣١٦ فما بعد • كما يمكن الرجوع الى كتاب « تهافت الفلاسفة » للغزالي و « تهافت التهافت » لابن رشد المسائل الحادية عشر - الثالثة عشر • لمعرفة موقف فلاسفتنا في المسألة ، وكذلك مقدمة الدكتور ابراهيم مدكور لقسم الالهيات من شفاء ابن سينا - المار ذكره - حيث يناقش مدكور المسألة من جميع وجوها بقدر ما يتعلق الامر بالتكلمين وفلاسفتنا • اما عن ارسطو وافلاطون وافلاطون فاكتفى بالمصادر العامة عن فلسفتهم في اصل العالم اول هذا الكتاب •

يجب ان يكون عليه (٤٥) • فاذن علمه علة لوجود الشيء الذي يعلمه • وعلمه
للأشياء ليس بعلم زماني وهو علة لوجود جميع الأشياء بمعنى انه يعطيها
الوجود الأبدى ويدفع عنها العدم مطلقا ، لا بمعنى انه يعطيها
وجودا مجردا بعد كونها معدومة (٤٦) وهو علة المبدع الأول (٤٧) والأبدع

(٤٥) موقف الفيضيين من مشكلة الشر يتلخص بتفسيرين هما :-

١ - ان الشر هو نقصان الخير اى ان الشر ليس له وجود حقيقي
كما ترى المذاهب الاثينية مثل المانوية والمرقونية والزرادشتية بل
هو عند الفيضيين وجود نسبي ، ذلك ان العلة اكمل من المعلول فبالله
اكمل من العقل الاول الذى يصدر عنه وهذا اكمل من بقية العقول
التي تفيض بالتدرج الواحد بعد الآخر وهكذا يستمر الصدور ويستمر
تناقض الخير حتى تصل الى المادة الاولى التي تعتبر الغاية في النقص
فهى نقص بالنسبة للخير الذى تتصف به الموجودات التي هى اقرب
منها الى الله ولكنها في حد ذاتها ليست شرا باطلاق ومثلها مثل الشمعة
مع انها ضوء وليس ظلما في حد ذاتها الا انها اذا قيست بمصباح قوى
تعتبر ظلما او ضوءا ناقصا •

٢ - ان الشر هو شر غير مقصود بل هو شر عرضى وهو شر
بالنسبة لنا بينما هو امر اقتضاء نظام الكون الكلى فمثلا الله اوجد
كائنات خيرة مثل العقول المدبرة للأفلاك العليا او الملائكة بلغة الفلاسفة
المسلمين ثم اوجد موجودات مثلنا ومثل الحيوانات الخ • فيها شر قليل
وخير كثير لانها في درجة سفلى من درجات الفيض ولانها قابلة للتغير
فاختار ان يوجد لها والا يكون قد فرط في خير كثير من اجل شر قليل
ومثال ذلك الامطار فهى خير بحد ذاتها ولكن قد ينتج عنها عرضا هدم
بيت او فيضان مخرب • ولا يستعنى الاشارة الى مصادر هذه الاقوال
في كتب فلاسفتنا الفيضيين لان هذا يحتاج الى بحث خاص ليس هذا
محلله •

(٤٦) القصد هنا التأكيد على ان الحاجة الى وجود الله هى الامكان لا الحدوث
فطالما ان العالم ممكن الوجود بذاته اى يمكن ان يوجد ويمكن الا يوجد
فهو ليس بالمستحيل الذى لا يمكن ان يوجد وهو ليس بالواجب
بذاته الذى هو دائما موجود ووجوده من ذاته لانه علة اقول طالما ان
العالم هذا شأنه فلا بد له ليصير موجودا من فاعل او علة وبما ان العقل
والمعلولات لا تتسلسل الى ما لانهاية له كما اوضحنا سابقا نصل الى
علة لا علة لها وهى الواجب الوجود بالذات لان هذا هو معناه • فالحاجة

هو حفظ ادامة وجود الشيء الذى ليس وجوده لذاته ادامة لا تتصل بشيء من
العلل غير ذات المبدع ونسبة جميع الاشياء اليه من حيث انه مبدعها او هو

الى العلة هنا هى الامكان ولو تصورنا الله غير مرتبط بالعالم بعد ذلك
فان العالم سيعود عدما لانه سيرجع الى طبيعة الامكان ومن هنا ربط
الفلاسفة المسلمون بين وجود الله ووجود العالم ربطا محكما لا يستغنى
فيه العالم عن الله ابدا . اما المتكلمون قبل القرن الخامس الهجرى
- وبعضهم استمر بعده - فان الحاجة الى الله عندهم هى الحدوث اى ان
الله كان وحده ثم اوجد او أحدث الموجودات بعد ان كانت عدما وطالما
انهم لا يقولون بالامكان والوجوب فان الحاجة الى الله تنتهى منذ اللحظة
التي يتم فيها وجود الاشياء كما يحصل بالنسبة للبناء والدار التي
بينيها فقد يبقى البناء بعد موت الباني او بدونه . وسيأتى مزيد
تفصيل لكلا الفكرتين فيما بعد . وفي النص السابق نقطة اخرى مهمة
يقول النص : «ويدفع عنها العدم مطلقا لا بمعنى انه يعطيها وجودا
مجردا بعد كونها معدومة» . ان حالة الامكان التي للعالم بذاته اى
لو أخذ بدون ارتباطه بعلمته هى حالة ذهنية متصورة فقط ، لان العالم
مع انه ممكن بذاته فهو واجب الوجود بغيره كما وضع فيما سبق
فالعالم لم يكن - ولا لحظة من الزمان - معدوما او سبقه العدم لانه
معلول علة تامة لا ينفك معلولها عنها ، وهذا معنى قولهم ان العالم قديم
بالزمان حادث بالذات . اما عند المتكلمين فقبل وجود العالم كان عدم
محض ولا شيء سوى الله ومهمة الله الغاء هذا العدم ويجاد العالم ، ومتى
وجد العالم وانتفى العدم صار العالم مستغنيا عن الله في وجوده . اما
عند الفلاسفة، فطالما ان الامكان هو عدم ، وطبيعة العالم هى الامكان ولا
وجود للممكن بدون علمته فان وجود العالم بعد زوال او بدون علمته يصبح
امرا مستحيلا . فالفلاسفة اخذوا بالامكان ورفضوا قول المتكلمين لا
اضمارا منهم للقدم بالذات ، بل رغبة منهم في اعطاء الله فاعلية اكبر على
العالم او فيه لا بايجاده فقط وكفى بل وفي استمرار وجوده بعد ايجاده .

(٤٧) المبدع الاول هو العقل الاول الذى هو اول ما يفيض عن الواحد
الذى هو الله مباشرة ولا يفيض مباشرة عن الله شيء سواه لان الواحد
الحق لا يفيض عنه مباشرة الا شيء واحد . انظر المصادر التي ذكرتها
عن المذهب الفيضى اول هذا الكتاب ص ١١ . حاشية (٩) .

الذى ليس بينه وبين مبدعه واسطة ، وبواسطته تكور علة الاشياء الاخر نسبة
واحدة» (٤٨) .

ويوضح الفارابى ان الهيولى والصورة صادرتان عن العالم العلوى
وليستا قديمتين بالذات - وهذا المعنى سيؤكد به بكل وضوح ابن سينا -
فيقول الفارابى : « واشترك الاجزاء السماوية في معنى واحد وهو الحركة
الصادرة عنها يصير سبب اشتراك المواد الاربع في مادة واحدة (٤٩) ، واختلاف
حركاتها يصير سببا في اختلاف الصور الاربع (٥٠) ، وتغيرها من حال الى
حال يصير سبب تغير المواد الاربع وكون (٥١) ما يتكون منها وفساد ما
يفسد منها» (٥٢) .

وفي كتاب « الفصول المدنى » يرى ان الله فاعل منذ الازل وان فعله معه
لا ينفك عنه ولما كان بعض الخصوم يرون ان الله لا بد ان يكون سابقا لمعلوله

(٤٨) عيون المسائل . الرسالة الخامسة ضمن « الثمرة المرضية » ص ٥٨ .

(٤٩) المادة الواحدة التى تشترك فيها العناصر الاربعة التى هى الهواء
والماء والتراب والنار هى الهيولى المطلقة او المادة الاولى اى الحامل
الذى هو غير معين بصفة ما وليس حاصل على أية صورة من صور
الاجسام الطبيعية ولكنه قابل لحمل جميع الصور . والاجسام الطبيعية
عند فلاسفتنا تنحل الى العناصر الاربعة ، وكل واحد من هذه ينحل الى
هيولى اولى وصورة .

(٥٠) اما الصور الاربع فهى صورة المائية والترابية والهوائية والنارية
فالنار مثلا مكونة من الهيولى العامة + صورة النارية ، والماء مكون من
الهيولى العامة + صورة المائية وهكذا .

(٥١) اما الكون فهو تكون المعادن والنباتات والحيوانات بتأثير فعل
الافلاك من هذه العناصر وانتقالها الى كمالها ، مثل البذرة تصير شجرة .
وانحلال الشئ هو الفساد .

(٥٢) عيون المسائل . ص ٦٠ .

سبقاً زمانياً أى بمدة لم يكن المعلول فيها موجوداً مع العلة وإن الله قد أخر أحداث العالم منذ الأزل واختار بدلاً من ذلك أن يحدثه في زمان لاحق معين لأنه أصلح الأزمنة^(٥٣) ، قدم الفارابى رداً عليهم لا يخرج في جملته عن دليل العلة التامة الذى سنوضحه فيما بعد • يقول الفارابى : « أى فاعل شيئاً ما يحكم أن فعله ذلك الشيء في وقت ما أصلح أو خير أو فعله ذلك الشيء ليس بأصلح فأنما يؤخر فعله ذلك العائق ••• فينبغى أن يعلم ما سبب الفساد في ذلك الوقت وما سبب الصلاح بعد ذلك فإن لم يكن للفساد سبب فليس أن لا يكون أولى من أن يكون ، فكيف لم يقع^(٥٤) ؟ ومع ذلك^(٥٥) هل ذلك الصانع له قدرة على إزالة الفساد الواقع في فعله في ذلك الوقت أم لا ؟ فإن كانت له قدرة فليس وقوعه أولى من أن لا يقع وليس كونه في وقت من الأوقات ممتنعاً على صانعه^(٥٦) • فإن لم تكن له قدرة على إزالة ذلك الفساد فسبب الفساد أقوى فليس للصانع في نفسه كفاية تامة في أن يكون ذلك

(٥٣) الذين يرون أن الله سابق لفعله بمدة وإن العالم متأخر عن الله بالزمان هم المتكلمون عموماً وسنأتى على ذكر رأيهم • ولهم في تفسير سبب هذا التأخر في الأحداث مع أن الله كامل الشروط تفاسير سنذكرها فيما بعد وواحد منها هو هذا الذى يذكره عنهم الفارابى وهو قول بعض المعتزلة (انظر كلامنا عن هذه المسألة فيما كلى من الكتاب) •

(٥٤) أى إذا لم يكن للفساد سبب في ذلك الوقت فلماذا لم يقع الفعل ويتم الإيجاد في ذلك الوقت ؟

(٥٥) المقصود : حتى لو قبلنا جدلاً أن أحداث الشيء أو العالم في ذلك الوقت فيه فساد فهل لله قدرة على إزالته أم لا ؟

(٥٦) أى : إذا كان الله قادراً على رفع الفساد عن فعله في ذلك الوقت فلم لم يوجد انداك ولم يؤخر إيجاده وإيجاده في ذلك الوقت لم يعد ممتنعاً لزوال الفساد عنه ؟

الشيء على الإطلاق له ، وله مع ذلك ضد في فعله وعائق عنه^(٥٧) . وعلى كل وجه فليس هو اذا كافيا وحده في ان يتم ذلك الفعل ، بل هو زوال سبب الفساد وحضور سبب فانه ان كان بذاته وحدها هو سبب الصلاح فالصلاح من الفعل كان ينبغي أن يكون غير متأخر في الزمان بل يكونان معا^(٥٨) فلذلك يلزم ان يكون الفاعل متى كان مكثفيا في نفسه وحده^(٥٩) في ان يحدث عنه الشيء مالم يتأخر وجود ذلك الشيء عن وجود الفاعل^(٦٠) .

ان الخطوط العريضة المركزة التي يمكن استخلاصها من هذه النصوص والتعليقات هي ان الفارابي يؤكد على النقاط الثلاث الاولى التي قدمتها صدر هذا المقال وهي ان للعالم محدثا وانه احده من عدم وان علة الاحداث هي الامكان لا الحدوث وان العالم محدث لا في زمان اي انه محدث بالذات قديم بالزمان وان الله فاعل على سبيل القصد بارادة قديمة

(٥٧) المقصود : اذا كان الله غير قادر على ازالة الفساد في ذلك الوقت والفساد ليس من الله فسبب الفساد اقوى من الله وهذا السبب موجود لذلك دائما فسيمتنع على الله الفعل دائما ليس في ذلك الزمان فقط بل وفي الازمنة التي تليه فيستحيل اليجاد اطلاقا .

(٥٨) ذلك انه اذا لم يكن عائق له يمنعه من الفعل فان الفعل والجود هو أفضل من عدم الفعل والجود وادل على القدرة فكان يلزم ان يكون فاعلا ليس بعد مدة بل منذ الازل .

(٥٩) كما هو الحال بالنسبة لله كفاعل .

(٦٠) الفصول المدني ، نشره بالعربية وترجمه ال الانكليزية المستشرق دنلوب . كمبردج ١٩٦١ ، ص ١٥٧-١٥٨ عربي . وظاهر من السطرين الاخيرين ركة ونقص وان كان المعنى ظاهرا عند المتمرسين بهذه الاساليب وعندى ان النص يجب ان يتم هكذا ليكون متفقا مع ما عرفناه عند الفارابي من نصوص سابقة : « فلذلك يلزم ان يكون الفاعل (فاعلا منذ الازل) متى كان مكثفيا في نفسه وحده في ان يحدث عنه الشيء ، مالم يتأخر وجود ذلك الشيء عن وجود الفاعل (لعائق خارجي) » .

وليس كفاعل مطبوع وانه اختار احداث العالم اذلا لانه تام الشروط والمؤثرات
ولو تأخر عنه فعله لدل ذلك على تجدد شرط او زوال عائق وكل ذلك
لا يليق بالله • وستكون عند القارىء صورة اوضح لهذه المعاني وهذا الموقف
كلما تقدم في هذا البحث •

الفصل الثاني

أما كتابات ابن سينا فهي أكثر وضوحاً وترتيباً وهذا امر طبيعي لانه متأخر عنه وقد نصحت المباحث ولانت المصطلحات الفلسفية وتحددت معانيها •

يقول ابن سينا في «تسع رسائل في الحكمة»: «... فان الهيولى لا تسبق الصورة بالزمان ولا الصورة تسبق الهيولى ايضاً بل هما مبدعان عن ليسييه^(١) ومبدعهما يتقدم الكل بالذات الا انه كان معه فيما لم يزل زمان لان الزمان يحدث مع حدوث الحركة»^(٢) • ويقول في نفس الرسالة: «... ان المواد للاجسام العالمية صنفان صنف يختص بالتهيؤ لقبول صورة

(١) اي عن لا شيء • وقد سبق بيان هذا الاصطلاح •

(٢) تسع رسائل القسطنطينية ١٢٩٨ • الرسالة الثانية • ص ٣٠ •
وواضح هنا ان الهيولى اي المادة والصورة محدثان بالذات قديمان بالزمان • والقول بحدوث الهيولى وابداعها لا يبقى مجالاً للشك في صحة اعتقاد ابن سينا - ومن قبله الفارابي - بحدوث العالم فان احد ادلة ارسطو لاثبات قدم العالم هو دليل قدم الهيولى على اساس استحالة الخلق من عدم محض (يقرر ارسطو ذلك في كتابه السماع الطبيعي Aristo: Phy: Bk. I. 8, 191b, 16 ff.

ونجده ايضاً في تفسير ابن رشد لما بعد الطبيعة • ج ١ • ص ٢٣٦ •
ومن الطريف مقارنة هذا بالرأى الخاطيء الذي يتبناه الفارابي كما رأينا في كتاب الجمع وابن سينا في نصه قيد البحث • والسهورودي: مجموعة في الحكمة المشرقية • تصحيح هنري كوربان اسطنبول ١٩٤٥ • ص ٤٨) • واستحالة الخلق من لا شيء نقطة يتفق عليها فلاسفة اليونان جميعاً - عدا المدرسة الاسكندرانية على يد افلوطين - واذا كان ابن سينا والفيضيون يقررون بحدوث الهيولى والصورة وهما مبداء الموجودات الجسمانية فلم يبق من فرق بين المتكلمين وبينهم في مسألة اصل العالم الا اصرار المتكلمين على الحدوث بالزمان واصرار الاخيرين على القدم بالزمان •

واحدة لا ضد لها فيكون حدوثها على سبيل الابداع لا على سبيل التكوين (٣)
من شيء آخر وفقدتها على سبيل الفناء لا على سبيل الفساد الى شيء آخر • والى
هذا يرجع قول الحكيم في كتبه ان السماء غير مكونة من شيء ولا فاسدة الى

وثمة نقطة اخرى في النص اعلاه : فان الكندي والفارابي وابن
سينا ومعظم متكلميها وفلاسفتنا - عدا الرازي الطبيب لانه يتبع
افلاطون - يربطون بين وجود العالم وحركته وزمانه وذلك ان الزمان
عندهم هو مقياس اما حركة الفلك والمحيط وهو الكرة الكبرى
المحيطة بالعالم والتي من حركتها يحدث الليل والنهار ، واما هو مقياس
حركة اى فلك آخر من الافلاك الثمانية الباقية وعليه فاذا لم يكن عالم
لم يكن الزمان ولا حركة والعكس بالعكس • فالذين جعلوا العالم حادثا
اثبتوا حدوث الزمان والحركة وجعلوهما مبتدئين كما هو الحال عند
الكندي والمتكلمين ، ومن اعتبروا العالم قديما بالزمان جعلوهما قديمين
كذلك كما هو حال الفيضيين من فلاسفتنا • وهؤلاء جميعا يتبعون
ارسطو الذي يعرف الزمان بانه مقياس الحركة حسب المتقدم او المتأخر
او مقياس حركة الفلك المحيط • وسأفصل هذا الحل في بحث طويل
يتناول فكرة الزمان اصولها ونتائجها في الفكر الاسلامي •

(٣) الابداع كما يرد عند الفيضيين يعنى ايجاد شيء لا من شيء • واما التكوين
ومثله الصنع فهو ايجاد شيء من شيء مثل التمثال يصنع من الطين، ولذلك
يقال عن اله افلاطون وابي زكريا الرازي انه « صانع » • انظر ابي
جانب ما ذكرته من نصوص الفارابي وما سأورده عن ابن سينا : ابن
الاثير «النهاية في غريب الحديث والاثر» القاهرة ١٣١١ • ص ٣١٦ ،
والزبيدي : تاج العروس • القاهرة ١٣٠٦ • والاصفهانى : المفردات في
غريب القرآن • مطبعة الميمونية ، القاهرة ١٣٢٤ • ص ١٥٧ • وابن
منظور : لسان العرب • بيروت ١٩٥٦ • والرازي : مختار الصحاح •
١٣١١ ، والفيروزآبادى : القاموس المحيط كلكتا ١٨١٧ •

هذه القواميس تراجع تحت كلمة بديع وبدع • فصل الباء باب
العين • وكذلك التعريفات للجرجاني : القاهرة ١٩٣٨ • باب الالف •
ص ٣ • أما في القرآن فالكلمة «بديع» مساوية لكلمة الصنع : القرآن :
٦ : ١٠١ ، ٢ : ١١٧ الآية الاولى : بديع السموات والارض • • •
والثانية : «بديع السموات والارض واذا قضى امرا • • •» • ومن
دراستي للقرآن والتفسير والحديث انتهيت الى ان خلق السموات
والارض في القرآن كان من الماء • فبديع في الايتين تعنى الصنع والتكوين
انظر اطروحتي الفصل الاول الى الثالث من القسم الاول •

شيء، لانها لا ضد لها^(٤) . لكن العامة من المتفلسفة صرفوا هذا القول الى غير معناه ، فامعنوا في الالحاد^(٥) والقول بقدم العالم فهذا عنف، وخصوه باسم الاثير والصنف الثاني صنف مهياً لقبول الصورة المتضادة فيتكون تارة هذا بالفعل وذلك بالقوة^(٧) وتارة بالعكس وسموه العنصر فجعلوا الاجسام اثيرية وعنصرية^(٨) وفي نفس الكتاب يورد ما يفيد قوله بابداع الهيولى من

(٤) المقصود بالحكيم ارسطو وكلام ابن سينا مثل كلام الفارابي في الجمع بين رأى الحكيمين» يفسر كلام ارسطو تفسيراً يخالف المعروف عن ارسطو فان ارسطو في قوله عن السماء انما يقصد - باجماع من كتبوا عنه وبدلالة كتبه ومذهبه كله - ان السماء وعالم ما فوق فلك القمر ازلى غير مكون ولا محدث ولا فاسد سواء بالمعنى العام المراد به الالحاد من لا شيء او الفناء الى لا شيء ، او بالمعنى الخاص للكون والفساد المراد به انتقال الشيء من القوة الى الفعل وانحلالة الى مركبات اخرى . وهذا النوع الاخير من الكون والفساد مقصور على عالم ما تحت فلك القمر اى العالم الارضى .

(٥) الالحاد اى عدم القول بحدوث العالم وان العالم لا محدث له . مع ان ارسطو لا ينكر وجود الله كعلة غائية . ولا ادري الى اى من الفلاسفة يشير ابن سينا فاننى لا اعرف من بين فلاسفتنا من ينكر وجود الله بمعنى من المعاني التى تتراوح بين اله ارسطو واله المتكلمين .

(٦) ضمير الجماعة عائد الى «فريق الالهين» وهم المشتغلون بالفلسفة الاولى اى ما بعد الطبيعة .

(٧) القوة في مقابل الفعل تساوى الامكان اى الاستعداد وتساوى النقص مثل البذرة فيها قوة لان تصير شجرة وعقل الطفل السوى فيه قوة لان يصير مكتسباً للمعلومات حاصلها عليها بالفعل . والفعل يعنى الكمال او النضج في مقابل القوة ، مثل البذرة وقد صارت شجرة . وهما مبدآن معروفان عند ارسطو وعلى اساسهما يقيم جملة من قضايا ميتافيزيقاه . انظر كرم : كتابه السابق . ص ١٣٧ . ١٧٥ فما بعد حيث يشير الى مواضع هذه الاقوال في كتب ارسطو خصوصاً كتاب الطبيعة وما بعد الطبيعة .

(٥) تسع ٠٠ ص ٣١-٣٢ .

لا شيء وكذلك الصورة * والطريف في هذا النص الفريد انه يسلم بالوحي والمعجزات والرؤيا والعين والكهانة والعرافة ، ويصر على فاعلية الله التامة فينكر على الطبيعيين محاولة ارجاعهم تأثيرات الطبائع مثل طبيعة الاسهال في «السقمونيا» الى العناصر المكونة لمزاج السقمونيا وهو بذلك يقول بتأثير الله الدائم واليك النص : « انها - اى القوة الطبيعية - قد تكون في الاجرام البسيطة ، وقد تكون في المركبة : الاول مثل الطبيعة النارية المحرقة لما شأنه ان يحترق والثانى مثل الطبيعة التى للسقمونيا من اسهال الصفراء وهذه الطبيعة - في المركب - حادثة في جوهر السقمونيا بعد حدوث مزاجه وهى زيادة طبع مستفاد له بالمزاج لم يكن في عناصره فان للعناصر طبيعتين طبيعة مستفادة من العناصر كما ان الحرارة الغالبة في السقمونيا لاجل ان العنصر الحار وهو النار فيها أغلب واكثر بالقوة من العنصر البارد ، وطبيعة حاصلة لها بعد المزاج (كالاسهال) في المثل المذكور السقمونيا وهى ليست في العناصر *» (٩) * ويلوم الجهال من الطبيعيين لانهم يفتشون عن اصل هذه الطبيعة ويردونها الى العناصر المكونة للسقمونيا مع انها لا علة لها في العنصر * وتفسير ذلك : « لان غاية ما يمكن ان يعطى في سبب وجود الطبائع للمطبوعات (١٠) أسباب ثلاثة احدها الفاعل وهو تدير المصانع وجوده

(٩) يمكن ان يفسر قوله هذا بان الطبيعة التى تنتج عن اجتماع عنصرين او اكثر مكونين مزاجا مخلوقة من عدم * ولكن الاغلب انها فعلل الموجودات العليا كالافلاك وحركاتها وهذا مطابق لمذهب أرسطو على نمط ما رأينا عند الفارابى في النص الذى نقلناه عن عيون المسائل في اول ص ٣٤ من هذا البحث * وقد اوضحت في الفصل السادس من القسم الثالث من هذا الكتاب ان الطبائع والنفوس تفيض من العقل الفعال وبتأثير الافلاك حتى استعدت المادة لقبولها *

(١٠) المطبوعات الموجودات الطبيعية التى لا يمكنها الا ان تفعل فعلا واحدا دون ادراك منها مثل النار طبيعتها الاحراق والثلج طبعه التبريد *

وعدله واعطاؤه كل شيء ما يوجب الحكمة والوجود واعطاءه اياه • فالصانع اعطى الهيولى التي ابدعها^(١١) من الصور ما كان يجب في حكمته وجوده الذى كان يقتضيه عدل تقديره • والثانى القابل وهو ان القابل كان مستعدا لهذا الضرب من التخليق والتصوير والتطبيع وكان استعداد ما يحصل له قبل التركيب وفي حال البساطة استعدادا آخر يحصل له بعد التركيب والمزاج وبحسب كل نوع من التركيب والمزاج يحدث استعداد آخر^(١٢) • والثالث الغاية وهو الغرض الحكيمى الذى صنع الصانع ما صنع لاجله وله الخلق والامر تعالى عما يصفه به الجاهلون • واما ما وراء هذا فمحال ان يطلب كيفية استفادة امر من العناصر له • • • وهو ما يقصر الذهن عنه • والعجب من هؤلاء اذ هم لا يتعجبون من النار كيف تفرق المجتمع وكيف تحيل اجساما كثيرة الى مثل طبيعتها ولا يشتغلون بالبحث عن علته ، ولو سئلوا عنه لقالوا : لان النار حارة ثم السؤال لازم في ان الحار لم يفعل هذا فيكون منتهى الجواب الطبيعى^(١٣) ان يقال ان الحرارة قوة من شأنها ان تفعل هذا الفعل ثم ان سئلوا بعد هذا لم كان هذا الجسم حارا دون البارد ولم^(١٤) يكن جوابهم

(١١) نص آخر يدل على ان الهيولى والصورة عنده مبدعتان فهما ازليتان بالزمان حادثتان بالذات •

(١٢) لا تحل اية صورة في اى مركب كان بل هناك تدرج وسلم صاعد ، فمثلا من اجتماع انواع من العناصر بكيفيات وكميات مختلفة يكون كل مزيج مستعدا لحللول صورة من صور المعادن مثل الحديد او النحاس كذلك لا يمكن ان تحل صورة الحيوانية في مزيج او مركب معدنى اذ ان السلم الصاعد يقتضى ان يصير المعدن قابلا للصورة النباتية وهذه تكون قابلة للحيوانية وهذه قابلة للانسانية •

(١٣) اى منتهى جواب المشتغل بالعلم الطبيعى او القائل بالطبيعة من الطبيعيين وهذا انسب لانه في معرض الرد عليهم •

(١٤) هذا في الاصل والاصح حذف الواو من كلمة « ولم » •

الآ الجواب الالهى ان ارادة الصانع هكذا اقتضت ثم يتعجبون من المغناطيس اذا جذب الحديد ولا يقنعون بجواب المجيب : لان فيه قوة جاذبة للحديد وان وجودها بسبب ارادة الصانع عند استعداد المادة * * * ، لان القوم يتعجبون مما استندروه ولم يعرض لهم ذلك فيما كثرت مشاهدتهم له مع ان في المركبات ما حكمه أعجب من حكم المغناطيس في جذب الحديد ، فهذا هو الحيوان الحساس المتحرك بالارادة ويغذو وينمو * ثم الانسان وما يخصه من الاحكام الانسانية * * * وهؤلاء المتفلسفة لما لم يعرفوا الاصول واخذوا يتعجبون من النادر^(١٥) واخذوا ينكرون ايضا ذلك النادر اذا لم يضطروهم الى الاقرار به المشاهدة فانكروا الوحي والمعجزات والرؤيا والعين والكهانة والوهم والعرافة . واما المحققون من الحكماء ، ففرقة موجبة لوجود جميع هذه الاشياء لما اعنت في البحث * * * والمشهورون من اهل الدرجة الاولى عددهم قليل يوشك ان يكون عدد من اعرفهم منهم في الستة آلاف سنة من المتفلسفة ثلاثة أو اربعة»^(١٦) .

ويتحدث ابن سينا حديثا صريحا عن ابداع الفلك اى السموات ابداعا لامن شئ فينكر ان يكون تكوينها من مادة اخرى او على سبيل التركيب والمزاج ، ويحاول ان يجد في القرآن ما يؤيده في هذا القول .
يقول : « * * * فلنقرر الآن ما تخمر عليه رأى الاوائل في جوهر الفلك .
قد قلنا انه بسيط^(١٧) فلا يجوز ان يكون تكوينه من اجسام اخرى على

(١٥) في الاصل «النار» وظاهر انه تصحييف .

(١٦) تسع ص ٣٥-٣٧ .

(١٧) اى غير مركب من عنصرين او اكثر . ولذلك لا يمكن ان يكون نتيجة تركيب عنصرين او جسمين لانه عندئذ يكون مركبا مع اننا ذكرنا انه بسيط . اما لماذا اعتبروا الفلك غير مركب فهذا مفصل في مباحثهم الطبيعية وفي ما بعد الطبيعة ولا مجال لبسطه هنا . ولكن الذى له اطلاع على مذهب ارسطو يمكنه ان يدرك اسباب ذلك لانهم في هذه المسألة يفتنون اثر ارسطو .

سبيل التركيب والمزاج • وقد قلنا ان صورته المختصة بالمادة لا ضد لها فلا يجوز ان يكون تكونه من جسم آخر كما يتكون الماء من الهواء بان يبرد ويفارق الحر لان الصورة التي تكون في مادة يجب ان يعقب زوالها صورة اخرى او تفسد المادة هي مضادة للصورة الاولى^(١٨) • بل وجود جوهر الفلك من امر البارى وهو على سبيل الاختراع والابداع وهذا لا ينافي الكتاب

(١٨) اعتقد ان هنا تقديمًا وتأخيرًا أحل بالعبارة ولكي تستوى ارى وضعها هكذا : « لان الصورة التي تكون في مادة يجب ان تعقب زوالها صورة اخرى هي مضادة للصورة الاولى او تفسد المادة » • وسبب فساد المادة - والمراد هنا انتهاءها الى العدم التام - اذا لم تتعاقب عليها صورة اخرى هو ان المادة او الهيولى لا توجد بدون صورة ولا تكون بدون نوع من الكيفيات او اضدادها ، مثل البرودة والحرارة ، الرطوبة والجفاف الخ • وارتباط الهيولى بالصورة مبحث خاص فيه ارسطو وفلاسفتنا والمتكلمون • فارتأى الفارابى وابن سينا ومن بعده ابن رشد ومعظم فلاسفتنا ان الهيولى في الاجسام الطبيعية لا يمكن ان تظل موجودة بدون صور وكيفيات وعليه ففى كل عملية تغير مثل تحول الماء الى بخار يتغير شىء ويبقى شىء فالذى يتغير هو الصورة وفي مثلنا هذا الذى يتغير هو صورة المائية وكيفياتها الثقل والبرودة، ويحل محلها صورة انبخارية وكيفياتها الخفة والحرارة • واما الذى يبقى ثابتا في الحالى فهو الهيولى او الحامل ولو فرضنا ان الهيولى بقيت بدون صورة بعد فناء الصورة الاولى فانها ستفنى لان الهيولى لا وجود لها بذاتها اى بدون صورة • اما المتكلمون فقد انتهى بعضهم - بعد مقدمات - الى القول بان الصورة او الاعراض تفنى كل لحظة وان المادة كذلك تفنى لانها لا تبقى بدون صورة وانتهى هؤلاء الى ما اسميته في اطروحتى - بالخلق المتجدد • اما بعض فلاسفتنا فمع موافقتهم لارسطو ان الهيولى لا تبقى بدون صورة فانهم - بعد مقدمات - انتهوا الى القول بان كل عملية تغير مثل ان يصير الماء بخارا او الطباشير الاسود ابيض هي عملية خلق من لاشىء وعليه فان الهيولى كذلك مثل الصورة تخلق من عدم ، فالبخار ليس تحولا للماء بل هو شىء يخلقه الله من جديد من عدم ويمثل هذا ابن مسكويه في «فوزه الاصغر» • انظر :

J. W. Sweetman: Islam and Christian Theology. London
1945. vol. 1. P. 117.

وكذلك مقال المختصر في مجلة قسم الفلسفة «الفكر الجديد» عدد اول
سنة ١٩٦٦ •

العزیز فان الكتاب دل على ان الفلك كالدخان فهذا يدل على ان جوهر السماء كان على حال أخرى اختراعية لا انه كان على صورة أخرى طبيعية» (١٩) .

ويبين في نفس الكتاب ان الهيولى المطلقة ، باعتبارها استعدادا لقبول الجسم المطلق تفيض من الجرم الأقصى الذي هو الفلك المحيط (٢٠) .

(١٩) هذا التفسير لسورة الدخان الآية : (٠٠٠) ثم استوى الى السماء وهي دخان (٠٠٠ قرآن ٤١ : ١١) يخالف ما ذهب اليه مؤرخونا ولغويونا ومفسروننا واخباريون بل هو مخالف لما ذهب اليه الفارابي وابن رشد في ان الخلق في القرآن هو من الماء . اما عن الفارابي فقد سبق ذكر قوله في كتابه «الجمع ٠٠٠» اعلاه . اما عن ابن رشد فأنظر : فصل المقال ٠ ص ١٣ ، «والكشف عن مناهج الادلة ٠٠» ص ٨٩ . كلاهما في «فلسفة ابن رشد» نشر مولر . ميونيخ ، ١٨٥٩ . اما عن المفسرين واللغويين الخ ٠٠٠ فانظر اطروحتي القسم الاول الفصول ١-٣ . خصوصا ص ٩٦-٩٧ .

(٢٠) يستعمل فلاسفتنا الفيضيون شأن ارسطو كلمتي هيولى عامة وهيولى خاصة (انظر عن ارسطو :

Aristo: Categories, vol. 1. of Ross ed. Oxford, 1926. 2a, 11 ff; Phys: Bk. 1. 2. 185a, 20ff. 1. 6. 189a, 30; Metaph: Bk. V. Ch. viii, 1017b, 10 ff. Bk. xii.

ومعنى الهيولى بصورة عامة كما يعرفها ابن سينا في « حدوده » كل شيء من شأنه ان يقبل كمالاتها وامر ليس فيه ، فيكون بالقياس الى ما ليس فيه هيولى وبالقياس الى ما فيه موضوعا . تسع رسائل ٠٠ الرسالة الرابعة في الحدود ٠ ص ٥٨ . اما في العلم الطبيعي عندهم فالهيولى المطلقة هي اننا لو جردنا ذهننا جميع الموجودات الطبيعية من صورها وكيفياتها فالحامل الذي يبقى بعد رفع صورة المائسة والهوائية والترابية والنارية والذي لا طبيعة له سوى اللاتعین ٠٠ يسمى الهيولى . فهي استعداد عام لقبول أية صورة . اما الهيولى الخاصة فمثل الخشب بالنسبة للمنضدة فان الاخيرة تتكون من صورة المنضدية ومن حامل او هيولى هو الخشب . اما الجسم المطلق فهو الامتداد في الأبعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق سواء كان الجسم حديدا او حجرا ام نباتا ام غير ذلك (هذا هو حد الكندي للجسم ،

وفي رسالته « في الحدود » نصوص واضحة تبين حقيقة موقف ابن سينا من مسألة حدوث العالم واجلاء لنقاط الاختلاف مع المتكلمين وان جوهر الخلاف بينهما حول المصطلح ، اى ان المتكلمين يفسرون اقوال فلاسقتنا من خلال ما يعطونهم للمصطلحات التى يستعملها الفلاسفة في تعاريفهم • فالحدوث والابداع والقدم لها عند الفلاسفة معنى معين اما المتكلمون فيفهمونها من خلال المعنى الذى يحددون به هذه الكلمات وهو معنى مختلف ومن هنا يختلف الفريقان في المقدمات والتائج • فيما يلى نصوص يحدد فيها ابن سينا معنى المعلول والابداع والاحداث والقدم • وكل هذه تدور على مقولتين اساسيتين : الاولى التفريق بين الممكن الوجود بذاته والواجب الوجود بذاته الثانية : النظر الى القدم والحدوث والمعلولية من زاويتين ، زاوية الزمان (بدايته او عدم بدايته) وزاوية ماهية (هل هى مأخوذة من الغير ام هى بلا علة) • فاذا وضعنا هاتين المقولتين امام اعيننا فهننا بجلاء النصوص التى هى :-

١ - « المعلول : كل ذات وجودها بالفعل من وجود غيرها ووجود ذلك الغير ليس من وجودها (٢١) » • ومعنى القول من وجودها غير معنى قولنا مع

رسائل ج ١ • ص ١٦٥ ، ١٨٧ ، ٢٦٥ • وهو قول النظام وهشام ابن الحكم ، مقالات الاسلاميين • ج ١ • ص ٥٩ ، ج ٢ • ص ٣٠٤ • وهو قول ابن حزم : الفصل ج ٥ • ص ٦٦ • وهو مأخوذ من ارسطو :

Phys: Bk. 111, 5, 204b, 20, Bk. IV, 1, 209a, 5.

وهو رأى الفيثاغوريين ايضا : انظر :

Decaelo: Bk. 1. 1, 268a, 9 ff.

وهو رأى الرواقين : انظر :

Zeller: Stoics, Epicureans, and Sceptics, TR. by. O. J. Reichel, London. 1870. P. 122.

- (٢١) مثل الله والعالم • العالم معلول وهو ممكن بذاته فلا بد لوجوده من علة هى الله - حسب دليلهم - ووجود الله ليس من العالم •
- (٢٢) مثل وجود شيء من شيء اوضحناه في نوت ٢١ أعلاه • اما مثل المعية فكفه لنا وجود زيد مع وجود عمرو وبالعكس •

وجودها (٢٢) • لان الثانى يقتضى اذا ارتفع احدهما ارتفع الثانى بلا فرق (٢٣) • واما معنى من وجودها هو انه اذا ارتفعت العلة ارتفع المعلول (٢٤) •

وإذا ارتفع المعلول لزم ان يحكم ان العلة كانت او لا مرفوعة حتى صح رفع المعلول (٢٥) • ومعنى قولنا من وجودها هو ان تكون الذات باعتبار نفسها ممكنة الوجود وانما يجب وجودها بالفعل لا من ذاتها بل لان ذاتا اخرى موجودة بالفعل - قد ارتبطت بها - (٢٦) •

(٢٣) اى اذا كان زيد وعمرو معا فرفع وجود احدهما يعنى رفع الآخر بالسواء •

(٢٤) هذا صحيح اذا اعتبرنا الامكان سبب الحاجة الى وجود الله كما يفعل الفيضيون فان الممكن حالما يرتفع وجود علته يعود عدما لان الممكن ليس له وجود بذاته بل له وجود كواجب الوجود بغيره مثل الشمس ونورها • اما على رأى المتكلمين الذين يعتبرون الحاجة الى الله هى الاحداث اى ايجاد العالم بعد ان كان معدوما ، فيمكن تصور ارتفاع العلة - الله - مع بقاء المعلول اى العالم مثال ذلك ما يحدث للبانى قد يتصور موته ومع ذلك يبقى ما ابتناه كالدار مثلا بعده • ومن هنا يتضح قوة المبرر الذى دفع بفلاسفتنا الى رفض الامتناد الى الحدوث واسـتبداله بالامكان •

(٢٥) وهذا ايضا صحيح بالنسبة لوضع الامكان لا الحدوث فان المتكلمين يجيزون عقلا ان يكون الله بلا عالم كما يجيزون - بل يوجبون - انه كان في الازل بلا عالم • ومثل البناء والبانى واضح هنا • اما الفلاسفة فظالما ان الله واجب الوجود بذاته وهو علة تامة لا يتأخر فعلها عنها وظالما ان العالم هو واجب الوجود بغيره لانه معلول علة تامة هى الله ولا توجد بدون معلولها فان افتراض انعدام المعلول يعنى حتما ان علته ارتفعت اى انعدمت حتى صح انه ارتفع • ومن هنا يتضح الى اى حد ربط فلاسفتنا بين الله والعالم •

(٢٦) تسع رسائل ، في الحدود • ص ٦٨-٦٩ • وما بين شارحتين من وضعى للايضاح •

٢ - « الإبداع : اسم لمفهومين : أحدهما ، تأسيس الشيء لا عن شيء ولا بواسطة شيء • والثاني ، ان يكون للشيء وجود مطلق عن سبب بلا توسط وله في ذاته - اي كمكان - ان لا يكون موجودا ، وقد أفقد الذي له في ذاته افتقارا تاما» (٢٧) •

٣ - « الأحداث : يقال على وجهين أحدهما زمني والآخر غير زمني ، المعنى الأول ، ايجاد شيء بعد ما لم يكن له وجود في زمان سابق (٢٨) • ومعنى الأحداث الغير الزمني ، افادة الشيء وجودا وليس له في ذاته ذلك الوجود ، لا بحسب زمان دون زمان بل في كل زمان ••••• » •

(٢٧) هذا النص يوضح ما سبق ولاحظته في موضع آخر من هذا البحث من ان وضع الفلاسفة الفيضيين للعالم كمكان بذاته هو وضع ذهني متصور فقط لان هذا الممكن لما كان معلولا لعلة واجبة الوجود بذاتها تامة فقد فقد طبيعة الامكان وصار من صنف الواجب الوجود بالغير اي الضروري الوجود دائما • ولما كان معلولا لا تتقدمه علته الا بالذات ولا يتأخر عنها بالزمان فلا يمكن ان نتصور انه كان ثمة وقت لم يكن فيه العالم غير موجود ومن هنا فهو موجود وجودا مطلقا وافترض انه كان معدوما - اي ممكنا بالذات - هو افتراض ذهني لنتمكن من التمييز بينه وبين علته التي هي واجبة الوجود بالذات ولا علة لها • ومثل هذا العمق والغوص لا قبل لكثير من متكلمي ما قبل القرن الخامس به ومن هنا فان كثيرا من التشنيع على فلاسفتنا الاسلاميين مرجعه الى حد ما عدم الفهم من قبل المشنعيين لحصيلة اقوالهم •
وسترد فيما بعد توضيحات اخرى لمعنى ان الامكان عندهم ذهني بشهادة الطوسي وسواه •

(٢٨) تسع : حدود • ص ٦٩ • وهذا هو قول المتكلمين ويعبرون عنه بقولهم : « الله اوجد الاشياء في زمان » اما قول فلاسفتنا الفيضيين فهو انه اوجده لافي زمان • ولما كان الاخرون يقولون ان الممكن هو الذي يمكن ان يوجد ويمكن الا يوجد وان العالم ممكن وان فعل الله هو نقله من العدم الى الوجود فقد يتبادر الى الذهن انهم يقولون بالاحداث الزماني طالما انه قبل ان يوجد الممكن بالفعل لابد ان يكون العالم الممكن قد مضى عليه زمان قبل وجوده بالفعل فيصير احداثه احداثا بالزمان • والجواب على هذا هو ما سبق ووضحته في بعض العواشي المارة حتى

٤ - «القدم : يقال على وجوه : فيقال قدم بالقياس هو شيء» (٢٩) زمانه

في الماضي أكثر من زمان شيء آخر هو قديم بالقياس اليه (وهذا هو المعنى العامي • واما التقديم المطلق (وهو المطلوب هنا) (٣٠) فهو ايضا (٣١) يقال على وجهين : بحسب الزمان وبحسب الذات اما الذي بحسب الزمان فهو الذي وجد في زمان ماض غير متناه واما القديم بحسب الذات فهو الشيء الذي ليس لوجود ذاته مبدأ به وجب • فالقديم بحسب الزمان هو الذي ليس له مبدأ زمانى والتقديم بحسب الذات هو الذي ليس له مبدأ يتعلق به وهو الله» (٣٢) •

وفي نص مركز بعض الشيء ولا يمكن ايراده هنا لاتصاله بنظرية الفيض وتفصيلاتها وبهيئة العالم وتصورهم للافلاك وفعل هذه الافلاك في

انه لا توجد حالة متوسطة أو وقت متوسط بين وجود الله من جهة ووجود العالم بالفعل كان فيها الممكن معدوما لان العلة والمعلول معا دائما ، تماما كما يقول ارسطو ان الهيولى هي استعداد وقوة لحمل الصور فانه لا يوجد وقت فيه الهيولى لوحدها ثم حلت فيها الصور بل الموجودات الطبيعية دائما صورة وهيولى معا • ولكن ارسطو لكي يبين ويوضح التغير وطبيعة مبدأ الهيولى المتميز عن الصورة افتترض ان الاجسام لو كانت بدون اية صورة لكان هذا الباقي هو الهيولى • ومع ان هذا الافتراض لا يعنى ان الهيولى لا وجود لها ولا يعنى الغاء وجودها لان وجودها مؤكد كحامل في الجسم ويبقى تغير الصور والمحمولات وتعاقبها فكذلك في الموجودات بالفعل يوجد واجب الوجود بذاته كالله وواجب الوجود بغيره كالعالم ولكي نميز الأخير من الأول قال الفلاسفة ان الواجب الوجود بغيره هو الذي طبيعته بذاته الامكان اى عدم الوجود الا بموجد وان كان لم يمض ولا يوجد زمن كان فيه ممكنا بذاته لانه مرتبط دائما بعلة توجب وجوده •

(٢٩) هذا في الاصل والاصح ان تقرأ : «بالقياس لشيء» •

(٣٠) ما بين قوسين من عندى •

(٣١) اى مثل الحادث يطلق على معنيين •

(٣٢) حدود ٠٠٠ ص ٦٩ •

العالم الارضى مما يحتا في لفهمه الى شرح فلسفة ابن سينا كلها يقول : « واجب الوجود هو مبدع المبدعات ومنشئ الكل ... » ثم يبين صدور العقول والنفوس الفلكية وصدور الافلاك والعالم الارضى • والمهم انه يرى ان الابداع هو فعل الله فهو ابداع العالم كله ولكن الموجودات يفعل اعلاها في ادناها فالعقول تدبر النفوس بالامر الالهى والنفوس تدبر الافلاك وتدبر العالم الارضى بواسطة النفوس (للانسان والحيوان والنبات) وبواسطة القوى الطبيعية التى للمعادن والعناصر الاربعة • ففعل العقول والنفوس في العالم العلوى يسميه امرا وفعالها وفعل القوى الطبيعية في العالم الارضى يسميه خلقا وتكوينا وهذا هو تفسيره للآية « الاله الخلق والامر » (٣٣) •

ويؤكد ابن سينا في « النجاة » على وجود النظام في الاشياء الطبيعية وهذا الدليل هو من الادلة الشائعة في تأريخ الفكر البشرى نجده في الاديان كما نجده في الفلسفة (٣٤) • يقول ابن سينا : « جميع الاشياء الطبيعية تتساق في الكون الى غاية ... وليس فيها اتفاق الا في النردرة بل لها ترتيب حكمى (٣٥) •

ويبين بعد ذلك ان الزمان والحركة محدثة بالذات لا بالزمن واليك

(٣٣) تسع رسائل ٠٠٠ الرسالة النيروزية : ص ٩٣ • الآية : الاعراف :

٠ ٧ • ولغزالي والصوفية تفاسير طويلة فيها : انظر رشيد رضا تفسير المنار • القاهرة ١٣٦٧ ج ٨ • ص ٤٥٥ •

(٣٤) احيل القارىء الى كتاب فلنت الجامع الانتقادى عن هذا الدليل وتاريخه :

R. Flint: Theism. 13th. ed. London 1902.

وانظر نقد كانت لهذا الدليل :

كتابه : نقد العقل الخالص :

Kant. q: Critique of Pure Reason, Tr. by. J.M. D. Meiklejohn. London. 1959. P. 363ff.

(٣٥) النجاة • القاهرة ١٣٣١ • ص ١٦٤ •

النص : « لو كان حدوث الزمان زمانيا اى لو كان له مبدأ زمانى لكان حدوثه بعد ما لم يكن اى بعد زمان متقدم فكان بعدا لقبول غير موجود معه وكل ما كان كذلك فيلس مبدأ للزمان كله (٣٦) . فالزمان مبدع اى يتقدمه باريه فقط بالذات . ومعنى المحدث الزمانى انه لم يكن ثم كان . والحركة مثل الزمان ليس محدثة حدوثا زمانيا» (٣٧) .

وفي القسم الثالث من النجاة نجد نصا بينا في ان علة الحاجة الى الله هي الامكان لا الحدوث كما يتوهم ضعفاء المتكلمين على حد تعبير ابن سينا . : « اعلم ان الفاعل الذى يفيد الشئ وجودا بعد عدمه يكون لمفعوله امر ان عدم قد سبق ووجود في الحال . وليس للمفاعل في عدمه السابق تأثير بل تأثيره في الوجود الذى للمفعول منه فالمفعول انما هو مفعول لاجل ان وجوده من غيره لكن عرض ان كان له عدم من ذاته وليس ذلك من تأثير الفاعل . فاذا توهمنا ان التأثير الذى كان من الفاعل وهو ان وجود الآخر منه ، لم يعرض بعد عدمه بل ربما كان دائما ، كان الفاعل أفعالا لانه ادوم فعلا (٣٨) .

(٣٦) هذا هو دليل ارسطو في قدم الزمان ايضا انظر كتابه «الطبيعة» طبعة روس السابقة . الفصل الثالث ، والرابع ، كذلك نوت (١) ، و (٤) على ص ١٢ من ج ١ من كتاب فان دنبرغ في ترجمته لتهافت التهافت بالانكليزية الذى ذكرته سابقا .

(٣٧) النجاة . ص ١٩٠ . أمر الزمان واضح اما الحركة فبيان ذلك انها اذا كانت محدثة بحركة اخرى لما كانت محدثة لاننا ثبت وجود الحركة في الوقت الذى نفترض عدمها . فلم يبق الا القول بانها قديمة بالزمان وبيدائها هو المحرك الاول اى الله . فهي محدثة بالذات لا بالزمان لانه ليس بينها وبين الله زمان لم تكن موجودة فيه .

(٣٨) النجاة . ص ٣٤٧ . هذا نص صريح في ان الامكان الذى للعالم قبل وجوده ذهنى فقط عند الفيضيين كما اوضحت ذلك سابقا .

وفي فصل في «القديم والحديث» يعيد تعريف هذه المصطلحات ومعانيها المختلفة^(٣٩) ثم بين ان الحدوث بالمعنى الذى ذهب اليه المتكلمون غير صحيح • فيثبت اولاً ان الزمان يستحيل ان يفرض حادثاً بالزمان بل حدوثه ابداعى لا يتقدمه سوى المبدع تقدماً بالذات • ثم يثبت ان كل محدث زمانى لا بد ان تتقدمه مادة ثم يتحدث عن ضرورة الحدوث بالذات لا بالزمان استناداً على دليل العلة التامة • وفيما يلي بيان هذا كله لاهميته •

اولاً : ان الزمان يستحيل ان يفرض حادثاً بالزمان • وليس هنا جديد عما سبق ان ذكرناه في نصوصه السابقة الا انه هنا اكمل ومستفد لجميع الاحتمالات • يقول ابن سينا : « اذا كان ما لزمان وجوده بداية زمانية معدوماً ، فاما ان يكون عدمه قبل وجوده او مع وجوده والقسم الثانى محال فبقى ان يكون معدوماً قبل وجوده • فلا يخلو اما ان يكون لوجوده قبل او لا يكون فان لم يكن لوجوده قبل فلم يكن معدوماً قبل وجوده وان كان لوجوده قبل فاما ان يكون ذلك القبل شيئاً معدوماً او شيئاً موجوداً فان كان شيئاً معدوماً فلم يكن له قبل موجود ، كان فيه معدوماً فبقى ان القبل الذى كان له شيء موجود وذلك الشيء الموجود ليس الان موجوداً فهو شيء قد مضى وكان موجوداً • وذلك اما ماهية لذاته وهو الزمان واما ماهية لغيره وهو زمانه (اى انه تلك الماهية التى هى غيره) فيثبت الزمان على كل حال»^(٤٠) •

(٣٩) النجاة : ص ٣٥٥ •

(٤٠) النجاة : ص ٣٥٦ • و خلاصة هذا الدليل باسسط صورة اننا اذا فرضنا ان الزمان له بداية زمانية فقبل الزمان قبل وبعده بعد وكلاهما ظرفاً زمان وعليه فقبل الزمان زمان فلا يصح أن يكون له بداية زمانية • وللتأكد من صحة هذا الدليل وما يتعلق به من حدوث او قدم العالم اقول ان الزمان اما يراد به زمان العالم وهو في هذه الحالة يعرف بانه مقياس حركة الفلك او الليل والنهار فلا وجود له بدون وجود العالم فهو حادث بحدوث العالم وقديم اذا كان العالم قديماً • والمعنى الثانى

ثانياً : يحاول ابن سينا - بعد ان بين استحالة حدوث الزمان في رده على قول المتكلمين بحدوث العالم بالزمان وان الاخير له بداية - ان يثبت خطأ قول المتكلمين هذا بوجه آخر • وهو ان كل حادث زمني فهو مسبوق بالمادة لا محالة اى ان كل حادث يوجد قبله وبعده زمان لا بد ان يحدث من مادة • ويبنى ابن سينا على هذا ان عالم ما تحت فلك القمر اى عالم العناصر الاربعة ومركباتها مثل المعادن والنبات والحيوان وهو العالم الارضى الذى نعيش فيه مكون ليس من عدم بل من هيسولى اولى • اما العالم العلوى عالم ما فوق

زمان موجود ثابت ويسميه الرازى الفيلسوف بالزمان المطلق • انظر ص ١١ حاشية ٦ من هذا الكتاب • ويسميه ابن سينا بالدهر والسرمد • وهو كما يقول ابو البركات البغدادي : مدة وجود الكائن الثابت اى الله • (انظر : كتاب المعبر • حيدرآباد ، ١٣٥٨ ، ج ٢ • ص ٦٩-٧٧ • وابن سينا يرى ان زمان العالم قديم على اساس ان قبل الزمان - لو فرضناه له بداية - زمان هو القبل وهو ظرف زمان وينتهى الى : اما ان نقول ليس قبل زمان العالم زمان ومعنى ذلك انه مبدع لا في زمان اى لا يوجد زمان يفضل على زمان العالم من جانبيه لا من طرف الماضى ولا من طرف المستقبل فيكون الزمان محدثاً بالذات اى لا يتقدمه سوى الله مبدعه كعلة : واما ان نقول ان الزمان قبله زمان آخر فلم يعد للزمان بداية وفي هذه النقطة لا يمكن التسليم بما يقول ابن سينا لان ابن سينا هنا يستعمل كلمة زمان بمعنيين • فاذا قلنا ان زمان العالم له بداية اى حدث وابتدأ بحدوث العالم فان الذى يسبقه - اذا فرضنا ان قبل الزمان زمان - هو ليس زمان العالم بل زمان الله • اى ان الله مضت عليه مدة وهو غير خالق فلم يكن في تلك الفترة لا العالم ولا زمانه وان وجد زمان هو مقياس وجود الله نفسه • ولا يلزم من فرض قدم زمان او مدة لله قدم العالم لان هذه المدة ليست مقياس وجود او حركة العالم بل العالم وحركته وزمانه غير موجودين انذاك ولكن في هذه الحالة اى عندما يثبت وجود مدة تمتد من الازل بين الله وبين العالم الحادث ولكنها غير مفيدة قدم العالم لانها ليست مدته ، ينتقل النقاش الى مسألة العلة التامة ولماذا تأخر احداث العالم ؟ كما ينتقل الى مسألة الترجيح بلا مرجح فيقال : اذا كان الله موجوداً ومعه زمانه ولم يكن معه العالم فلماذا اختار الله ان يوجد العالم في هذا الزمان الذى اوجده فيه وليس قبله ولا بعده ؟ •

فلك القمر وهو عالم الافلاك والعقول الفلكية والنفوس الفلكية وهو غير
مكون من العناصر الاربعة ولا هو مركب منها ، فانه مبدع ابداعا لا من شيء .
وقد يظن ان قوله بوجود هيولى اولى منها تتكون الاشياء واليها تفسد وتحل
الموجودات في عالمنا الارضى هذا دليل على قوله بقدم الهيولى على نمط ما نجده
عند ارسطو . والحال غير ذلك لانه يصرح - وقد اوردنا نصوصا ناطقة
بذلك - على ان الهيولى تصدر اما من العقل العاشر او من العقل العاشر
والافلاك العليا بتأثير العقل الكلى . ويؤيد ذلك انه يوضح في كل موضع وفي
اول النص التالى ان ما ليس حدوثه زمانيا (مثل الافلاك والعالم العلوى والعالم
ككل) فهو مبدع من لا شيء ولا تتقدمه مادة ولا زمان بل تتقدمه علته
تقدما بالذات فقط .

واليك النص : «لا يمكن ان يحدث حادث زمانى^(٤١) مالم يتقدمه

وقد فطن المتكلمون الى هذه المسائل ولذلك ردوا على دليل قدم الزمان
السينائى اعلاه بجوابين : الاول : ان القبل والبعد هما عقليان وهميان
وكما يقول الغزالى (التهافت . ص ٥٢-٥٣) كان الله ولا عالم ثم كان ومعه
عالم دون الاشارة الى زمان . واقول ان هذا غير مفيد للغزالى لانه اما يعنى
انه لا فاصل زمانى سواء زمان الله او زمان العالم بينهما فيكون العالم
غير متأخر عن الله بمدة اى معه كما لاحظ ابن رشد بحق (تهافت التهافت .
ص ٦٨ ، ٧١) ، ويكون العالم كذلك قديما بالزمان كما لاحظ الفلاسفة
في رداهم على الغزالى (النجاة . ص ٤١٨-٤٢٠ والاشارات ج ٢ . ص ٣٧٨-
٣٨٠) . واما ان نقول - وهذا هو الجواب الثانى للمتكلمين - بوجود
الله مدة طويلة بلا احداث وعندئذ ينتقل الكلام الى مسألة العلة التامة
والترجيح كما بينت اعلاه . وسنأتى على تفصيل هذا كله فيما بعد .
من كل هذا يتبين ان الاستناد على فكرة الزمان لن تفيد بحد ذاتها كلا
الفريقين فهى لا تثبت قدم العالم بالزمان ولا حدوثه بالزمان ان لم
ترتبط بفكرة العلة التامة واستحالة الترجيح بلا مرجح .

(٤١) قوله : حادث زمانى : اى أن ما ليس حدوثه بالزمان لا ينطبق عليه
هذا الحكم مثل العالم ككل والعقول الفلكية المفارقة والافلاك
ونفوسها .

وجود القابل وهو المادة • البرهان : ان كل كائن^(٤٢) فيحتاج ان يكون - قبل كونه - ممكن الوجود في نفسه فانه ان كان متمتع الوجود في نفسه لم يكن البتة • وليس إمكان وجوده هو ان الفاعل قادر عليه بل الفاعل لا يقدر عليه اذا لم يكن هو في نفسه ممكنا • الا ترى انا نقول ان المحال لاقدرة عليه • [وهنا يناقش ابن سينا قضية مهمة أضعها بهذه الصيغة : هل الشيء ممكن لانه مقدور^(٤٣) عليه ومستحيل لانه غير مقدور عليه ام انه مقدور عليه لانه ممكن في ذاته وغير مقدور عليه لانه مستحيل بذاته ؟] الجواب عند ابن سينا هو الثاني • وحجته انه لو كان الاول^(٤٤) « لكان امكان كون الشيء هو نفس القدرة عليه وكأنا نقول ان القدرة انما تكون على ما عليه القدرة والمحال ليس عليه قدرة لانه ليس عليه قدرة وعليه فالممكن هو ممكن في نفسه باعتبار ذاته ومقدور عليه باعتبار اضافته الى موجد • فاذا تقرر ذلك نقول ان كل حادث فانه قبل حدوثه اما ان يكون في نفسه ممكنا أن يوجد او محالا ان يوجد

(٤٢) قوله : ان كل كائن : معنى الكائن هنا المعنى الارسطي اى المتكون عن شيء والى شيء بالانتقال من القوة الى الفعل ، مثل البذرة والشجرة والحديد والسيف الخ • فيجب الا يؤخذ بمعنى «ان كل موجود» • فكل كائن موجود وليس كل موجود كائن •

(٤٣) السؤال : ام انه مقدور عليه لانه ممكن : المقصود ما للاشياء من امكان لان تصير شيئا آخر مثلا الصوف ممكن ان يصير بساطا بينما يستحيل ذلك على الحديد فكان للاشياء خصائص ترتبت عليها نتائج ولو أبطلنا وجود هذه الخصائص الذاتية بأن لا يكون في ذهن الله متميزا ان الحديد يختلف عن الصوف وان البياض غير السوداء لما اصبح بإمكانه تعقلها قبل وجودها او عند وجودها وليبيان ذلك انظر (مجلة كلية الاداب عدد ٩ • سنة ١٩٦٦ مقال عن المعدوم) •

(٤٤) ما بين اقواس من اختصارى

والاخير لا يوجد أبدا • والممكن ان يوجد قد سبقه امكان وجوده^(٤٥) ، فلا يخلو
امكان وجوده من ان يكون معنى معدوما او معنى موجودا ،
ومحال الاول والا فلم يسبقه امكان وجوده فهو اذا معنى
موجود ، وكل معنى موجود فاما قائم لا في موضوع أو قائم
في موضوع • وكل ماهو قائم لا في موضوع فله وجود خاص لا يجب ان يكون
به مضافا • وامكان الوجود هو ماهو بالاضافة الى ماهو امكان وجود له فهو ليس
جوهر الا في موضوع فهو اذا معنى في موضوع وعارض لموضوع ونحن نسمى
امكان الوجود قوة الوجود ونسمى حاملها موضوعا وهيولى ومادة وغير ذلك •
فاذا كل حادث^(٤٦) فقد تقدمته المادة^(٤٧) •

ثالثا : وبعد هذا يثبت ابن سينا في «النجاة» ايضا ان الحدوث بالذات
لا مفر منه ردا على قول المتكلمين بالحدوث الزمانى • فبعد ان يتحدث ابن
سينا عن حدوث الاجسام الطبيعية في عالمنا الارضى يتكلم عن حدوث العالم

(٤٥) قوله : والممكن ان يوجد قد سبقه امكان وجوده : مثل ان يعير الماء
حارا قد سبقه امكان ان يصير حارا والا لم يقبل ان يصير حارا مثلا
الصوف لا يصير سيفا لانه ليس فيه امكان لان يصير سيفا • ولا بد ان
نميز عند ابن سينا بين نوعين من الامكان : امكان وجود العالم ككل
فهذا ذهنى كما بينت سابقا وامكان وجود الحرارة في الماء مثلا اى
الامكان في الاجسام الطبيعية وهذا يقابل القوة عند ارسطو وهو
حقيقى وكلام ابن سينا هنا عن الامكان الارسطى •

(٤٦) فقد تقدمته مادة : بالمعنى الارسطى • فالهيوولى قديمة كما عند ارسطو
ولكن ابن سينا يفضل نفسه عن ارسطو فصلا قويا لانه يعتبر قدم
المادة قدما بالزمان بينما هى حادثة بالذات لانه يصرح مرارا بانها
تفيض بلا زمان عن العقل العاشر وتأثير الافلاك العليا • وبين القول
بقدم الهيوولى بالذات وهذا قول ارسطو وبين حدوثها بالذات فاصل
منيع • ومما يؤسف له ان الباحثين في مذهب ابن سينا لا يفتنون في
الغالب الى هذا الفارق الدقيق •

(٤٧) النجاة : ٣٥٦-٣٥٧ • وانظر الدليل الرابع في القسم الثالث • من
هذا الكتاب •

ككل فيبين استنادا على دليل العلة التامة وجوب الحدوث بالذات بحيث لا يتأخر العالم في الوجود بمدة عن وجود الله^(٤٨) . ثم يبين ان هذا الحدوث للعالم كمثل لا يحتاج الى مادة ولا زمان قبله . وسأكنفى بالنص المتعلق بالنقطة الاخيرة دون حاجة لذكر النص المتعلق بالعلة التامة . يقول ابن سينا : « فصل في الحدوث الذاتي . كما ان الشيء قد يكون محدثا بحسب الزمان فكذلك قد يكون محدثا بحسب الذات فان المحدث هو الكائن بعد ان لم يكن فالبعدي كالتقبلية قد تكون بالزمان وقد تكون بالذات فاذا كان الشيء له في ذاته ان لا يجب له وجود بل هو باعتبار ذاته وحدها بلا علتها لا توجد [اي لا يوجد المعلول]^(٤٩) وانما توجد [اي ذات المعلول] بالعلة . والذي بالذات قبل الذي من غير الذات . فيكون لكل معلول في ذاته : اولا انه ليس ، ثم عن العلة . وثانيا انه ليس . فيكون كل معلول محدثا اي مستفيد الوجود من غيره بعدما له في ذاته ان لا يكون موجودا . فيكون كل معلول في ذاته محدثا ، وان كان مثلا في جميع الزمان موجودا مستفيدا لذلك الوجود عن موجد فهو محدث لان وجوده من بعد لا وجوده بعديه بالذات . وليس حدوثه انما هو في آن من الزمان فقط بل هو محدث في جميع الزمان والدهر . فلا يمكن ان يكون حادث بعد ما لم يكن بالزمان الا وقد تقدمته المادة التي منها حدث » .

وفي فصل آخر يعرض لدليل العلة التامة ويبين ان المعلول لا يتأخر عن علته التامة على اساس ان كل ما لم يكن واجب الوجود سواء بذاته او بغيره لم يوجد . وبيان ذلك واضح في نصوصه كما يلي : « قد بان ان كل واجب الوجود بغيره فهو ممكن الوجود بذاته وهذا ينعكس فيكون كل ممكن الوجود بذاته فان حصل وجوده كان واجب الوجود بغيره »^(٥١) . ثم

(٤٨) النجاة . ص ٣٦١ .

(٤٩) ما بين قوسين في هذه الصفحة من اضافتي .

(٥٠) معنى : انه ليس . اي كان غير موجود . ومعنى قوله : ثم عن العلة :

اي كان غير موجود ثم وجد بفعل وتأثير العلة التي هي الله .

يثبت ذلك بما ملخصه : « ان الممكن الوجود ان وجد فوجوده من غيره فاما ان يجب وجوده مع وجود السبب ، واما ان يبقى على ما كان عليه قبل وجود السبب ، وهذا محال ، فاذا يجب ان يكون وجود مع وجود السبب . فكل ممكن الوجود بذاته فهو انما يكون واجب الوجود بغيره » (٥١) . وواضح ان ابن سينا يريد ان يثبت في هذا الفصل ان وجود الممكن ازلي - بمعنى القدم بالزمان لا بالذات - طالما ان الواجب الوجود بذاته وهو السبب موجود دائما والممكن على حال واحدة من تعلق الواجب به . ولكن لا يلزم اذا كان الواجب بذاته موجودا ان يكون تعلقه بالموجب ازليا اذا لم تثبت ان تعلق الواجب بالموجب او باسلوب آخر تعلق الواجب الوجود بذاته بالممكن الوجود بذاته يجب ان يكون ازليا . وباسلوب المتكلمين المتأخرين ، اذا لم تثبت ان ازلية الامكان تعنى امكان الازلية . وهذا امر يثبته ابن سينا في الفصول الاخيرة من كتاب النجاة - وفي كتبه الاخرى كما سنرى - فيورد مذهب المتكلمين الذين يقولون بان الله واجب الوجود بذاته وان العالم ممكن بذاته ولكنهم لا يرون وجوب ان يكون التعلق بينهما ازليا ، بل هم يحيلون ذلك كما سنرى ويوضحون ان الله مع انه علة تامة وواجب الوجود بذاته فانه حر شاء ان يفعل بعد ان لم يكن فاعلا موجدا مدة من الزمان . ولهم اجوبة اخرى سنأتى عليها وكلها تسير في هذا الخط المنكر لتعلق الله بوجود العالم تعلقا ازليا والمثبت انه مع صحة القول بازلية الامكان فان امكان الازلية مستحيل . اقول يورد ابن سينا مذهب المتكلمين هذا ثم يثبت ان التعلق يجب ان يكون ازليا بين الله والعالم . واليك احد ادلته واهمها وهو صيغة اخرى من دليل العلة التامة : « واجب الوجود بذاته واجب الوجود بجميع جهاته . لا يتأخر عن وجوده وجود منتظر بل كل ما هو ممكن له فهو

(٥١) النجاة . ص ٣٦٨ .

(٥٢) النجاة . ص ٣٦٨ .

واجب له . فلا له ارادة منتظرة ولا طبيعة ولا علم منتظرة ولا صفة من الصفات التي تكون لذاته منتظرة» . ودليل ابن سينا على هذا انه : ان كان واجب الوجود بذاته ولم يكن واجب الوجود بجميع احواله فانه يكون من جهة واجبا ومن جهة ممكن الوجود . فكانت تلك الحالة تكون له ولا تكون وكل منهما - اى الكون تارة وعدمه اخرى - بعلة فكانت ذاته متعلقة بعلة فلم يكن واجب الوجود بذاته (٥٣) .

ثم يعيد ابن سينا قوله هذا في موضع آخر من النجاة (٥٤) . ولكن هذا الرد يوضع باقوى صورة في نص لاحق ورغبة في الايضاح اورده هنا : « مبدأ الكل ذات واجبة الوجود . واجب الوجود واجب ان يوجد ما يوجد عنه والا فله حال لم تكن فليس واجب الوجود من جميع جهاته . فان وضعت الحال الحادثة لا في ذاته بل خارجة عن ذاته كما يضع بعضهم الارادة للكلام على حدوث الارادة عنه ثابت اهو بالارادة او طبعاً او لامر آخر (٥٥) . والعقل

(٥٣) النجاة . ص ٣٧٢ .

(٥٤) النجاة . ص ٤١٢ . ومثله في الهيات الشفاء . ج ٢ . ص ٣٧٤ .

(٥٥) يرى البعض مثل العلاف من المعتزلة ان الله يحدث المحدث بارادة حادثة قائمة لا في ذاته والا صار الله متصفا بالتغير والحدوث فلم يعد الها لان القدم صفة الله هي القدم بل هي قائمة لا في محل وهي حادثة لا بارادة اخرى . (الاشعري : مقالات : ج ١ ن ١٨٩-١٩٠ وتفصيل مذاهب المسلمين في الارادة موضح في اطروحتي . القسم الثاني . ص ٣٧٩ فما بعد) . وهنا يقدم ابن سينا قوله : فالكلام على حدوث الارادة عنه ثابت الى قوله او لامر آخر . والذي يفهم من هذا القول المختصر ما يلي : هذه الارادة هل حدثت بارادة ام بلا ارادة ام لسبب آخر خارجي؟ وفي كل هذه الحالات يلزم تغير ذات الله . فان كان بارادة فهي أما قديمة فيلزم ان تكون الارادة الحادثة عنها قديمة ايضا واما انها حادثة فيعود السؤال كالاول . وان كانت بالطبع فهل هذا الطبع صفة قديمة فيه ام حادثة فان كان الاول لزم قدم الارادة الحادثة لا في محل وان كان صفة حادثة فلماذا حدثت الآن؟ وان كان بشئ آخر كعلة خارجية فهذا مستحيل لان الواجب بذاته لا علة له وان صارت له علة قاهرة صارت هي الواجب بذاته .

الصريح الذى لم يكذب يشهد ان الذات الواحدة اذا كانت من جميع جهاتها كما كانت ، وكان لا يوجد عنها فيما قبل شىء وهى الان كذلك فلان ايضا لا يوجد عنها شىء فاذا صار الان يوجد عنها شىء فقد حدث في الذات قصد او ارادة او طبع او قدرة وتمكن او شىء مما يشبه هذا لم يكن • ومن انكر هذا فقد فارق مقتضى عقله لسانا ويعود اليه ضميرا فان الممكن ان يوجد وان لا يوجد لا يخرج الى الفعل ولا يترجح له ان يوجد الا بسبب واذا كانت هذه الذات التى للعلة كانت ولا يترجح ولا يجب عنها هذا الترجيح ولا داعى ولا مصلحة ولا غير ذلك فلا بد من حادث يوجب الترجيح في هذه الذات ان كانت هى الفاعلة والا كانت نسبتها الى ذلك الممكن على ما كان قبل ولم يحدث لها نسبة اخرى فيكون الامر بحالة ويكون الامكان امكانا صرفا بحاله واذا حدثت لها نسبة فقد حدث أمر» (٥٦) • ولما كان بعض المتكلمين يرى ان سبب كون الله غير محدث للعالم ثم احداثه في وقت معين هو ان الله رأى ان بعض الاوقات اصلح للعباد من بعض - كما سنبين عند الكلام عن موقف المتكلمين - اجاب ابن سينا قائلا : « ثم كيف يجوز ان يتميز في العدم وقت ترك ووقت شروع وبما يخالف الوقت الوقت؟ » (٣٧) •

ويكرر في موضع آخر من النجاة ان الله ليس فاعلا على سبيل الطبع وانما هو عارف راض بما يصدر عنه ولكن العالم لازم وجوده عن وجود الله لان الله علة تامة وواجب الوجود بذاته وما هذا شأنه فهو واجب الوجود من جميع جهاته (٥٨) •

وللمسألة ابعاد أخرى سنأتى عليها وستتضح من خلال هذا البحث

واجوبة المتكلمين •

(٥٦) النجاة • ص ٤١٧ • وتجد مثله في : الهيئات الشفاء • ج ٢ • ص ٣٧٧ •

(٥٧) النجاة • ص ٤١٨ •

(٥٨) النجاة • ص ٤٤٩ • والالهيات من الشفاء • تحقيق . سعد زايد •

القاهرة ١٩٦٠ • ص ٤٠٢-٤٠٣ •

ويوضح في موضع آخر ان الهيولى المشتركة للعناصر الاربعة تصدر من اشتراك الاجرام السماوية في شىء واحد • فلا يبقى مجال للشك في ان العالم عنده موجود من لاشىء عن طريق ابداع متواصل وهنا اكرر انه يرى ان الهيولى وان كانت قديمة فقدمها بالزمان فقط اما بالذات فانها مبدعة^(٥٩) .

وفي كتاب الشفاء - قسم الالهيات - نجد تفصيلات لكثير من النقاط اعلاه وقد اشرت سابقا الى مواضع هذه النقاط في هذا الكتاب ويهمنى الان ان اقف عند بعض النصوص المهمة • ففى فصل في «القوة والفعل» وايهنا اسبق على نمط ما نجده عند ارسطو يتحدث عن مسألة قدرة الله وعلاقتها بارادة الله وبالفعل او العمل والتنفيذ فيوضح - ردا على المتكلمين - ان جوهر حجة المتكلمين في اتهامهم لابن سينا والآخرين من انهم يجعلون الله بلا ارادة ان الاخيرين يرون ان فعل الله متعلق به منذ الازل بحيث لم تمر فترة كان الله فيها غير فاعل • فكان من شرط الفعل الارادى عند المتكلمين ان يكون الفاعل غير فاعل ثم يفعل ليتضح انه اراد ففعل • اما ابن سينا فلا يرى تناقضا بين ان يكون الفاعل حرا وبين ان يكون فعله معه دائما على اساس انه شاء ان يفعل منذ الازل لاعتبارات اهمها انه علة تامه • واليك النص :

«وقد يشكل من هذه الجملة امر القوة التى بمعنى القدرة^(٦٠) فانها يظن انها لا تكون موجودة الا لما من شأنه ان يفعل ومن شأنه الا يفعل^(٦١) فان

(٥٩) النجاة • ص ٤٦٠ ، ٤٦١ • والالهيات • ص ٤١٠-٤١١ •

(٦٠) عرفنا سابقا معنى القوة والفعل عند ارسطو ومثلها عند ابن سينا بمعنى «الامكان» مثل ان يصير الحديد سيفا والبيذرة شجرة • اما هنا فيتحدث ابن سينا عن «القوة» بمعنى القدرة كما اصطلح عليها المتكلمون •

(٦١) هذا التعريف هو تعريف المتكلمين للقدرة ويوافقهم ابن سينا عليه ولكن بتعديل مهم كما سنرى في الملاحظة التالية • والمهم هنا ان المتكلمين يرون ان القدرة لا تكون الا لمن هو حر وعنده مشيئة ومن هنا فان النار التى تحرق لا تعتبر قادرة •

كان لما من شأنه ان يفعل فقط. فلا يرون ان له قدرة (٦٢) . وهذا ليس
بصادق فانه ان كان هذا الشيء الذى يفعل فقط ، يفعل من غير ان يشأ ويريد
فذلك ليس له قدرة ولا قوة بهذا المعنى وان كان يفعل بارادة واختيار الا انه
دائم الارادة ولا يتغير وارادته وجودا انفاقيا او يستحيل تغيرها استحالة ذاتية
فانه يفعل بقدرة (٦٣) . وذلك لان حد القدرة التى يؤثر (٦٤) هؤلاء ان
يحددوها (٦٥) به موجودة ههنا (٦٦) ، وذلك لان هذا يصح عنه انه يفعل اذا
شاء وان لا يفعل اذا لم يشأ . وكلا هذين شرطيان اى انه اذا شاء فعل واذا لم
يشأ لم يفعل وانما هما داخلان في تحديد القدرة على ما هما شرطيان وليس

(٦٢) ومن تعريفهم هذا للقدرة استنتجوا ان الفاعل الذى هو فاعل دائما
مثل ان يكون دائم الجود والاضاءة الخ . لايعتبر قادرا بل من نوع
الفاعل المطبوعة التى لا مشيئة لها . ولكن ابن سينا يخطئ هذا ويقول
انه قد يكون الفاعل مريدا ولكنه شاء ان يفعل دائما فيها فاعل يفعل
فقط ومع ذلك فهو قادر طالما ان القادر هو المريد المشيئ . وعليه
فليس الجوهر في التمييز بين القادر وغير القادر ما اذا كان الفاعل
دائم الفعل ام فاعلا بعد عدم فعل بل جوهر المسألة هو ماذا كان مريدا
للفعل ام لا سواء كان الفعل دائما ام مؤقتا .

(٦٣) وعلى هذا فليس كل فاعل دائم الفعل ليس بقادر لان الفاعل الدائم
الفعل قد يكون مشيئا مريدا فهذا فاعل له قدرة وقد يكون غير دار
بفعله ولا له مشيئة على ايقافه فهذا فاعل بلا قدرة . ونفس الشيء
يقال عن الفاعل الذى فعله مؤقت قد يكون بلا ارادة منه فيعتبر بلا
قدرة وقد يكون بارادة فيعتبر مريدا قادرا .

(٦٤) في الاصل : التى يؤثرون هوثرون هؤلاء .

(٦٥) في الاصل : ان يحددها به .

(٦٦) وذلك ان حد المتكلمين للفاعل القادر هو : انه ان شاء فعل وان شاء
لم يفعل . وهذا الفاعل الذى يفعل فقط وليس بتارك للفعل صار فعله
دائما لانه شاء الفعل الدائم فصفة القدرة متوفرة فيه طالما ان الارادة
والمشيئة متوفرة فيه .

من صدق الشرطي ان يكون هناك استثناء (٦٧) بوجه من الوجود او صدق
حملي فانه ليس اذا صدق قولنا : اذا لم يشأ لم يفعل يلزم ان يصدق : لكنه
لم يشأ وقتا ما * * * * فان هذا يقتضى انه لو كان لايشاء لما كان يفعل كما انه
اذا يشاء فيفعل * واذا صح انه اذا شاء فعل صح انه اذا فعل فقد شاء اي اذا
فعل فعل من حيث هو قادر» (٦٨) *

وليس أدل على ايمان ابن سينا بان العالم مبدع لا من شيء وان الله انما
يتقدمه بالذات من تكراره ما سبق ان وجدناه عند الفارابي وهو ان الامكان
الذي للعالم هو امكان عقلي متصور فقط ، وان العالم هو بالفعل دائما ، وباسلوب
آخر ان العالم واجب الوجود بغيره دائما وان افتراض انه ممكن الوجود
بذاته امكان افتراضى عقلي للتمييز بينه وبين الواجب الوجود بلااته * واليك
النص الذى يذكره ابن سينا بصدد مناقشته لرأى بعض فلاسفة اليونان قبل
سقراط ومنهم انكسا غوراس الذين قالوا : « ان القوة تكون قبل الفعل كما
في البذور والمنى» (٦٩) * فيقول ابن سينا ردا على قولهم هذا : « الامر في
الاشياء الجزئية الكائنة الفاسدة كما قالوا فان القوة فيها قبل الفعل قبلية في
الزمان ، واما الامور الكلية او المؤبدة غير الفاسدة وان كانت جزئية فانها

(٦٧) الاستثناء هنا مثل ان نقول : لكنه لم يشأ ان يفعل وقتا ما فلا يفعل
وقتا ما * لان المسألة هنا اما ان يشاء أن يفعل دائما واما ان يشاء الا
يفعل ابدا وذلك لانه علة تامة * وهذا امر لم يصرح به ابن سينا هنا
ولكنه مر علينا سابقا عنده وعند الفارابي وسنأتى نصوص اخرى
صريحة عند ابن سينا *

(٦٨) الالهيات * ج ١ * ص ١٧١-١٧٣ *

(٦٩) يعرض ارسطو في كتاب الطبيعة ومواضع من «ما بعد الطبيعة» موقف
الفلاسفة قبل سقراط وموقف افلاطون من هذه المسألة ويرد عليهم
بان الفعل سابق للقوة وان ما بالقوة لايصير بالفعل الا بواسطة شيء
هو بالفعل (انظر * ص ١١ حاشية ٧) *

لا تتقدمها التي بالقوة البتة ••••• ثم قد يكون الشيء بالفعل دائما كالأبداعات
فلا يحتاج الى ان يكون بالقوة ، فمن هذه الجهة حقيقة ما بالفعل قبل حقيقة
القوة بالذات •••••» (٧٠) • والمقصود بالجزئيات الغير الفاسدة نفس معنى
الأبداعات وهي الافلاك والكواكب وما شابه من الموجودات العليا غير
القانية •

وفيما يلي نصوص مهمة جدا • وسأكتفى بالتعليق عليها في الحواشي :
«والفاعل الذي يسميه العامة (٧١) ، فليس هو بالحقيقة علة من حيث يجعلونه
فاعلا من حيث يجب ان يعتبر فيه انه لم يكن فاعلا ، فلا يكون فاعلا من
حيث يجب ان يعتبر فيه انه لم يكن فاعلا ، فلا يكون فاعلا من حيث هو
علة (٧٢) ، بل من حيث هو علة وامر لازم معه ••••• اى يشترطونه ان يكون
بالضرورة قد كان مرة غير فاعل ثم اراد أو قسر او عرض له حال •••••
فيكون فاعلا عندهم من حيث هو علة بالفعل بعد كونه علة بالقوة لا من
حيث هو علة بالفعل فقط (٧٣) ، فيكون ما يسمونه فاعلا يلزم ان يكون
ايضا ما يسمونه منفعلا (٧٤) عن مقارنة ما يقارنه من حال حادثة لاجلها ما صدر
عنه وجوده بعد ما لم يكن» (٧٥) • « فاذا كان العلة دائم الوجود كان معلوله

(٧٠) الالهيات • ج ١ • ص ١٨٣-١٨٤ •

(٧١) المقصود بالعامة « المتكلمون » •

(٧٢) اى ليس من حيث هو علة وكفى فحيثما تكون يكون معلولها بل من
حيث هو علة محددة بشروط وهي ان يكون الله علة غير فاعلة في الازل
ثم عرض له لسبب ما ان يترك عدم الفعل فيفعل •

(٧٣) وهذا واضح لان العلة بالفعل هي العلة الكاملة ، ولا تكون كاملة الا
ان تكون فاعلة وذات معلول او مفعول • فكأن الله عند المتكلمين كان
علة بالقوة اى علة ناقصة تنقصها شروط الفعل ثم كملت لسبب طارئ
فصارت فاعلة •

(٧٤) وذلك انه اذا فعل بعد ما لم يكن فاعلا فقد تغير واستجد فيه شرط
كقدرة او ما شابه ، وكل متغير منفعل •

دائم الوجود (٧٦) وهذا هو المعنى الذى يسمى ابداعا عند الحكماء وهو تأييس اشيء بعد «ليس» مطلق ، فان للمعلول في نفسه ان يكون «ليسا» (٧٧) ويكون له عن علته ان يكون «أيسا» (٧٨) ، والذى يكون للشيء في نفسه اقدم عند الذهن بالذات لا في الزمان من الذى يكون عن غيره (٧٩) ، فيكون كل معلول «أيسا» بعد «ليس» بعديّة بالذات ثم المحدث بالمعنى الذى لا يستوجب الزمان (٨٠) لا يخلو : اما ان يكون وجوده بعد ليس مطلق ، او يكون وجوده بعد ليس غير مطلق بل بعد عدم مقابل خاص في مادة موجودة على ما عرفته . فان كان وجوده بعد «ليس» مطلق ، كان صدوره عن العلة ذلك الصدور ابداعا ويكون أفضل انحاء اعطاء الوجود لان العدم يكون قد منع البتة وسلط عليه الوجود (٨١) ، ولو مكن العدم تمكينا فسبق الوجود كان تكوينه ممتعا الا عن مادة (٨٢) ، وكان سلطان اليجاد اعنى وجود الشيء من الشيء

(٧٦) ذكر ابن سينا «العلة» لان بديلها في ذهنه هو الله وهو مذكور .
 (٧٧) في الاصل «ليس» . والمراد اى ان يكون معدوما وذلك ان ممكن الوجود بذاته ، وقد عرفنا حكم الممكن بالذات وان وجوده من غيره .
 (٧٨) في الاصل «ايس» .

(٧٩) المراد هنا ان حالة العدم التى للممكن هى اقدم في الذهن والتصصور فقط من وجود الممكن بالفعل . اى اننا نتصور ذهنيا انه قبل وجود الممكن كان غير موجود مع ان عدم وجوده لم يكن واقعا بل حالة افتراضه فقط : وربما فهم النص فهما آخر وهو ان الذى يكون للشيء من وجود من ذاته وهذا حال الواجب الوجود بذاته اقدم من الوجود الذى للمعلول المستمد وجوده من سواه قدمية بالذات لا بالزمان وقد اوضحت معنى التقدم بالذات وبالزمان مرارا .

(٨٠) اى المحدث بالذات لا بالزمان .

(٨١) وقد اوضحت سابقا ان الممكن اذا تعلق وجوده بعلة دائمة كان وجوده دائما وكان امكانه فرضيا ذهنيا فقط .

(٨٢) وهذا اتمام للفقرة السابقة فان العدم او الامكان لا يسبق وجود الشيء ، لان الشيء دائم الوجود ، فلو فرضنا ان عدم شيء ما كان حقيقيا وسابقا لوجوده زمنيا ، فان اليجاد لا يكون في هذه الحالة الا عن مادة اى عن «امكان» خاص بالمعنى الارسطى للامكان ، وقد عرفنا معناه سابقا

ضعيفا قصيرا مستأنفا (٨٣) . ومن الناس من لا يجعل كل ما هذا صنفته مبدعا ، بل يقول اذا توهمنا شيئا وجد عن علة اولى بتوسط علة وسطى فاعلية وان لم تكن عن مادة ولا كان لعدمه سلطان ولكن كان وجوده عن العلة الاولى الحقيقية بعد وجود آخر اساق اليه ، فليس تأييسه عن «ليس» مطلق ، بل عن ايس وان لم يكن ماديا (٨٤) .

ومن الناس من يجعل الابداع لكل وجود صوري (٨٥) كيف كان ، واما المادى وان لم تكن المادة سبقته فيحصل نسبتته الى العلة باسم التكوين (٨٦) . ونحن لا تناقش في هذه الاسماء البتة بعد ان تحصل المعاني متميزة ، فتجد بعضها له وجود عن العلة دوما بلا مادة (٨٧) ، وبعضها

(٨٣) وهذا النوع من الابداع - اى ايجاد شيء من شيء - لا يرضاه ابن سينا ، ومن هنا يتضح بعده عن ارسطو وافلاطون .

(٨٤) وهذا كلام واضح لمن يعرف نظريتهم الفيضية ، فان الله يفيض عنه ازلا وبصورة مباشرة موجود اول يسمونه العقل الاول ، وبتوسطه تفيض عن الله بقية العقول الفلكية ونفوس الافلاك . فكان هذا الفريق يقصر الابداع على الفائض الاول الذى هو العقل الاول ، لان الابداع عندهم هو ان يفيض او يوجد شيء عن علة لا عن مادة ولا بتوسط شيء آخر بينهما ، وهذا ينطبق على العقل الاول فقط . اما وجود بقية العقول الفلكية ونفوسها فهو وان لم يكن عن مادة كذلك الا انه عن «ايس» اى عن موجود متوسط وهو العقل الاول وبقية العقول بالتدرج الذى يكون السابق منها واسطة للتالى . ولذلك لا يسمى هذا الوجود الذى لها ابداعا عند هذا الفريق .

(٨٥) اى ان من الناس من يسمى ابداعا ايجاد كل الموجودات غير المادية .

(٨٦) وعند هؤلاء يسمى كل ايجاد للماديات تكوينا وان كان بعضه مثل ايجاد الافلاك لا عن مادة سابقة .

(٨٧) الذى دوما وبلا مادة هو العقول الفلكية ونفوسها والافلاك ، اى جميع موجودات ما فوق فلك القمر .

بمادة^(٨٨) ، وبعضها بواسطة^(٨٩) ، وبعضها بغير واسطة^(٩٠) . ويحسن ان يسمى كل عالم بوجود عن مادة سابقة غير متكون بل مبدعا^(٩١) ، وان نجعل أقصى ما يسمى مبدعا ما لم يكن بواسطة عن علته الاولى مادية كانت او فعلية او غير ذلك^(٩٢) .

ويكرر ابن سينا شيئا بهذا النص في موضع آخر من الشفاء^(٩٣) .

ومن الطريف ان نتعرف على رأى ابن سينا في طريقته ومدى اختلافها عن الطرق الاخرى في اثبات وجود الله بالاستناد على قضية الامكان والوجوب . فيذكر في «الاشارات والتنبيهات» ان طريقة اثبات الواجب - اى الله - من كونه العلة للممكن - اى العالم - هى اثبت من الطريقة الاخرى وهى الاستدلال بالمعلول - اى حدوث الاشياء - على العلة او الله^(٩٤) . ويعرض الطوسى في شرحه للاشارات لقول ابن سينا هذا فيبين انه توجد طرق ثلاث : الاولى طريقة المتكلمين وهى التى ذكرها ابن سينا اعلاه واتبعها المعتزلة وسواهم من المتكلمين ، وهى النظر في الموجودات والمحدثات والمصنوعات

(٨٨) والذى دوما وبمادة هو وجود العناصر الاربعة ومركباتها في عالم ما تحت فلك القمر .

(٨٦) والذى بواسطة هى جميع ما يلى جميع العفول التى بعد العقل الاول ونفوس الافلاك والافلاك وموجودات عالم ما تحت فلك القمر .

(٩٠) والذى بغير واسطة هو العقل الاول فقط .

(٩١) واختار ابن سينا ان كل ما لا يوجد عن مادة سواء كان بواسطة او بغير واسطة مبدعا وعليه فالمبدعات هى العقول الفلكية ونفوسها والافلاك والهيولى المطلقة والصورة والعالم ككل ، واما المكونات فهى العناصر الاربعة ومركباتها في عالم ما تحت فلك القمر ، اى العالم الارضى .

(٩٢) الالهيات ج ٢ . ص ٢٦٧ .

(٩٣) كذلك ج ٢ . ص ٣٤٢-٣٤٣ .

(٩٤) «الاشارات» القسم الثالث والرابع . ص ٤٨٢ .

للاستدلال بها على وجود الله • والثانية هي طريقة الحكماء الطبيعيين يستدلون بوجود الحركة على المحرك وبامتناع اتصال الحركات لا الى نهاية على وجود محرك اول غير متحرك • والطوسى لا يسمي ممثلا لهؤلاء، ولكن هذا انسب شىء الى قول ارسطو^(٩٥) • والثالثة هي طريقة الالهيين بالنظر في الوجود وانه واجب أو ممكن • ويقول الطوسى ان الشيخ يرجح الاخير على غيره من الطرق ، لان الاستدلال بالعلة على المعلول اولى البراهين باعطاء اليقين ، واما الاستدلال بالمعلول على العلة فربما لا يعطى اليقين^(٩٦) • ويستشهد ابن سينا بالآية «سريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق» بان هذا هو حكم القوم اى اهل الطريقة الاولى والثانية ، وبقوله «او لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد» بان هذا حكم الصديقين اى هو وجماعته من الالهيين وهى الطريقة الثالثة^(٩٧) •

وقد اورد ابن سينا في النمط الخامس من القسم الثالث والرابع من اشاراته كلاما مركزا يصلح تلخيصا لجميع ما سبق ان ذكرناه من آرائه في هذه المسألة العويصة • فاذا اوردت معه شروح الطوسى ومناقشاته لتعليقات فخر الدين الرازى على الاشارات امسكنا بخيط يصلح رأس «الشليلة» لهذا

(٩٥) هذا هو حكم المقارنة الحديثة • ولكن يلزم المبادرة الى القول بان ابن سينا - وكذلك فعل الغزالي في تصنيفه للفلاسفة في «تهافتة» وفي «المنقذ من الضلال» يعتبرون ارسطو من الفلاسفة الالهيين • انظر اول التهافت واول المنقذ من الضلال • وقد سبقنا الاشارة الى موضع كلام الغزالي عن الفلاسفة والفلسفة في موضع سابق •

(٩٦) شرح الاشارات على متن «الاشارات اعلاه» ص ٤٨٢-٤٨٣ • وهذا التقسيم الثلاثى للطرق نجده في مخطوط برقم OR. 452 بمكتبة جامعة كمبرج بعنوان : «رسالة في الكلام» واطنه لفخر الدين السباكي • مع اختلاف بسيط في الترتيب ورقة ٢ •

(٩٧) الاشارات • ص ٤٨٣ • والآيات هي من سورة فصلت ٤١ : ٥٣ •

الجدل العميق الممعن في الغموض بين ابن سينا والمتكلمين (٩٨)

يقول ابن سينا في الفصل الاول من التلخيص الخامس في الصنع والابداع (٩٩) : « تسبق الى الاوهام العامة ان معنى صنع وأوجد وفعل ان يحصل للشيء من شيء آخر وجود بعد ما لم يكن (١٠٠) . وقد يقولون : اذا وجد فقد زالت الحاجة الى الفاعل كما في فقدان البناء ، حتى ان بعضهم لا يتحاشى ان يقول لو جاز على الله العدم لما ضر عدمه وجود العالم ، لان العالم عندهم انما احتاج الى البارئ تعالى في ان اوجده اى اخرجه من العدم الى الوجود حتى كان بذلك فاعلا . فاذ قد فعل وحصل له الوجود عن العدم ، فكيف يخرج بعد ذلك الى الوجود عن العدم ، حتى يحتاج الى الفاعل (١٠١) ؟ وقالوا : لو كان يقتدر الى البارئ تعالى من حيث هو موجود ، لكان كل موجود مفتقرا الى موجد والبارئ ايضا وكذلك الى غير نهاية (١٠٢) . »

ويشرح الطوسي قول ابن سينا اعلاه بقوله : الجمهور يظنون ان احتياج المفعول الى فاعله هو حصول وجود المفعول بعد عدمه عن الفاعل ، فاذا حدث فقد استغنى عنه ، حتى ان فنى الفاعل بقى المفعول موجودا . وانما حمل اهل التمييز - من هؤلاء العامة او الجمهور - على ذلك شيئا : احدهما مشاهدة بقاء الفعل كالبناء بعد فناء الفاعل كالبناء . والثاني ، الاستدلال وذكر ابن سينا منه - على لسانهم - وجهين : احدهما ان ايجاد الفاعل للمفعل

(٩٨) فيما يلي من اقوال ابن سينا والطوسي سأشير بحرف نس الى ان هذا

(٩٩) يقول الطوسي في الفصل الاول من التلخيص الخامس في الصنع والابداع وهو ايجاد الشيء مسبوقا بالعدم

(١٠١) كذلك . ص ٤٨٦ نس .

(١٠٢) كذلك . ص ٤٨٧ نس ومن ٤٨٣-٧٨٣ ص ٤٨٣ نس (٧٠١)

حال وجوده يكون تحصيليا للحاصل وهو خلف (١٠٣) • والثاني ان الفعل
لو كان بعد حدونه محتاجا الى الفاعل لكان محتاجا اليه في وجوده ، واذن
لكان الفاعل ايضا كذلك (١٠٤) ويتسلسل (١٠٥) •

وفي الفصل الثاني من نفس النمط. يحلل ابن سينا معنى «صنع» و «فعل»
و «أوجد» الى الاجزاء البسيطة من مفهومها ، ويحذف منه ما دخوله في
تعريفها عرضي فيقول : «اذا كان شيء من الاشياء معدوما ثم اذا هو موجود
بعد العدم بسبب شيء ما ، فانا نقول «مفعول» ، ولا نبالي الان اكان احدهما
محمولا على الآخر - يعنى المحدث من عدم والمفعول - مساويا او اعم او
اخص ، حتى يحتاج مثلا الى ان يزداد فيقال : موجود بعد العدم بسبب ذلك
الشيء ، يتحرك من الشيء مباشرة وبآلة ، وبقصد اختياري ، او غيره ، او
بطبع ، او تولد او غير ذلك ، فلسنا ننتفت الا الى ذلك (١٠٦) • على ان
الحق ان هذه الامور زائدة على كون الشيء مفعولا (١٠٧) • ثم يقول ابن
ابن سينا : والذي يقابله - اى يقابل المفعول - ويكون بسببه ، فانا نقول
له : فاعل • والدليل على هذه المساواة انه لو قال قائل : فعل بآلة او بحركة

(١٠٣) اشارات • ص ٤٨٥ ح ص •

(١٠٤) لانه ايضا موجود ، فيحتاج الى موجد ويتسلسل •

(١٠٥) الاشارات • ص ٤٨٦ ح ص •

(١٠٦) يريد ابن سينا ، كما سيتضح في السطور القادمة ، ان معنى
الفاعل هو الذى يوجد شيئا لا من شيء ، ومعنى المفعول او الموجد هو
المتعلق بعلة في وجوده ، ولا يلتفت الى الاضافات كان يقال : فاعل
بالاختيار او بالطبع ، فهذه تحديدات وتخصيصات للمعنى العام
للفاعل • فقد يكون الفاعل جمادا او عاقلا ، وقد يكون مطبوعا او
مختارا • وهذا خلاف قول المتكلمين لانهم يقصرون الفاعل على الفاعل
المختار ، وكذلك في تعريفهم للمفعول انه هو الذى يكون بفعل فاعل
مختار •

(١٠٧) الاشارات ص ٤٨٧-٤٨٩ نس •

او يقصد او يطبع لم يكن اورد شيئا ينقض كون الفعل فعلا او يتضمن تكريرا في المفهوم (١٠٨) . اما النقص فمثلا لو كان مفهوم الفعل يمنع عن ان يكون بالطبع ، فاذا قال : فعل بالطبع كان كأنه قال : فعل ما فعل . واما التكرير فمثلا لو كان مفهوم الفعل يدخل فيه الاختيار ، فاذا قال فعيل بالاختيار كان كأنه قال : انسان حيوان (١٠٩) . ثم يبين ابن سينا ان في مفهوم العقل وجود وعدم ، وان العدم لا يتعلق به فعل الفاعل بل الفاعل يتعلق فعله بوجود الحادث لا بعدمه ، لان العدم ليس شيئا حتى يتعلق به فعل (١١٠) . فاذا كان الفاعل يتعلق بالموجود عند ايجاده له فالموجود المتعلق بالفاعل يسمى واجب الوجود بالغير ، فان كان تعلقه دائما كان يكون معلولا لعلة دائمة تامة كان الموجود دائم الوجود لم يسبقه عدم وجوده سبقا زمانيا ابدا ، بل هو متصور في الذهن فقط . وان كان تعلق الموجود بالفاعل تعلقا مؤقتا بان اوجده الفاعل بعد ان لم يكن موجدا ولا فاعلا له ، فهذا الموجود قد سبقه

(١٠٨) وراء هذا النقاش في معنى الفاعل والمفعول قضايا فلسفية فان الغزالي ومن قبله من المتكلمين قصروا معنى الفاعل على الفاعل المختار . ومعنى الفاعل المختار عندهم هو الذي يفعل بعد ترك للفعل . وعلى هذا اعتبروا ان قول بعض فلاسفتنا مثل ابن سينا ان الله فاعل منذ الازل ، يعنى ان الله فاعل مطبوع وليس مختارا ، وعليه فالله ليس بفاعل لان الفاعل هو المختار . ومن هنا بدعهم الغزالي في المسألة الثالثة في «تهافتة» التى عنوانها : «بيان تلبيسهم في قولهم ان الله صانع العالم ون العالم صنعه» . وهذا القصر لمعنى الفاعل المختار - مع اسباب اخرى - جعل المتكلمين ينكرون السببية الطبيعية اى ان تكون في الاشياء طبائع ، مثل ان النار تحرق والتلج يبرد وارجعوا جميع الافعال الى الله مباشرة .

(١٠٩) الاشارات ص ٤٨٩-٤٩٠ ن س . وظاهر اننا اذا قلنا : انسان ، تضمن قولنا الحيوانية لان الانسان حيوان ناطق . فلو كان مفهوم «الفعل» يتضمن الاختيار لكان قولنا فاعل بالاختيار فيه تكرار حمل كقولنا انسان حيوان .

(١١٠) اشارات . ص ٤٩١-٤٩٣ ن س .

عدم وجوده سبقا زمانيا وهو على هذا ليس دائما ولا ازلما • فبان من هذا انه لا تعارض بين دوام وجود الشيء ، مع كونه موجودا بفعل فاعل ومستمدا وجوده من غيره • كما بان معنى المفعول لا يقتصر على الموجود وجودا مؤقتا فقط ، بل المهم في تعريف الموجود بالغير ان يكون له فاعل اوجده ، سواء كان دائم الوجود أو مؤقت الوجود (١١١) •

وقد قدم الطوسي تعليقات قيمة على اقوال ابن سينا في نمطه الخامس هذا ورد على شروح الرازي لها • واهم هذه التعليقات ثلاث وهي باختصار:-

النقطة الاولى : التي هي مثار خلاف هي اصطلاح ابن سينا ان المفعول يساوي المحدث من عدم باطلاق ، وان المحدث او الفاعل هو الفاعل لشيء من عدم باطلاق دون ان يقتضى ذلك ان يكون الفاعل مختارا ، لان هذه الاشياء زائدة • ودليل ابن سينا ان قول القائل : فعل بآلة او بقصد او بطبع لا يورد شيئا ينقض كون الفعل فعلا او يتضمن تكريرا في المفهوم • ولكن الرازي يرمى غير ذلك فتمده ان هذا البحث بحث لغوي ، وان المتكلمين يشترطون في الفعل والفاعل ان يكون مختارا وليس بالطبع • ويرى الرازي ان الحق مع المتكلمين ، لان اهل اللغة لا يستعملون النار فاعلة للاحراق ، ولا الماء فاعلا للتبريد ، والمرجع في ذلك الى الادباء (١١٢) • اما موقف الطوسي فهو ان

استعمال ابن سينا للمفعول والفاعل دون اقتضاء الاختيار في الفاعل هو امر يوافق العرف والاستعمال • اما قول الرازي عن مساعدة اللغة للمتكلمين فهو ليس بشيء لان في كلام العرب : «توقوا اولك البرود وتوقوا آخرة» فانه يفعل

بكم ما يفعل باشجاركم • ويستشهد الطوسي بقول الشاعر :

توقوا اولك البرود وتوقوا آخرة
 وقولهم : توقوا اولك البرود وتوقوا آخرة

وقولهم : توقوا اولك البرود وتوقوا آخرة

وقولهم : توقوا اولك البرود وتوقوا آخرة

(١١٢) اشارات ص ٤٨٩ حص - ٤٩٠ حص (وما ساعدت واهل الفقه حصر الدين

الرازي مأخوذ عن شرح الطوسي هذا ص ١٢٣ ح ١٠١٧ (١١٧)

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر (١١٣)

يقول الطوسي : فإذا جاز من حيث اللغة ان يقال : فعل البرد والخمر ،
فما المانع من ان يقال : فعل بغير ارادة ، فلا تناقض هنا كما يدعى الرازي .
فان قيل هذا مجاز ، فعليه الدليل مع ان دعوى المجاز تقتضى تسليم صحة
الاستعمال وذلك يدل على خلو الكلام من التناقض . على ان اهل اللغة فسروا
الفعل باحداث شيء ما فقط اى ايجاده من لا شيء . وهذا يؤيد قول ابن
سينا ، اى ان الفعل لا يشترط فيه الاختيار ، بل الاختيار والطبع وغير ذلك
من الاوصاف مزيادات وتخصيصات (١١٤) .

النقطة الثانية : يقول الرازي معترضا : ان الشيخ الرئيس تكلم فيما
لا حاجة اليه ولم يتكلم فيما اليه حاجة ، وذلك انه اظن في الفصل السابق
- الفصل الثاني من نمطه الخامس - في ان المفتقر الى الفاعل هو وجود
الحادث ولا حاجة الى ذلك لعدم الخلاف فيه ، ولم يتكلم في ان علة الحاجة
هى الحدوث ام لا ؟ والدائم هل يفتقر الى مؤثر ام لا ، وهذا هو محل
الخلاف . ومعنى قوله : الواجب ينقسم الى الدائم والى غير الدائم ليس الا
ان الدائم يصح ان يكون مفتقرا الى المؤثر ، والنزاع لم يقع الا فيه ، وهو
مضادوة على المطلوب (١١٥) . ويرد الطوسي على اقوال الرازي هذه بقوله :-

(١١٣) هذا البيت للشاعر الاسلامى الاموى «ذو الرمة» من قصيدة مطلعها :
الا يا استلمي بل دار مي على البلى لسه ولا زال منهلا بجر عانك القطر
وهى في الديوان «فعالين» وهى القراءة الصحيحة . ديوان «ذو الرمة»
دمشق ١٩٦٤ . قصيدة ٢٩ ، بيت رقم ٣٣ .
(١١٤) الاستنارات لص ٤٩١ ح ٥ . وانظر حول مصادر اختراى وموقف
المتكلمين والغزالي وابن رشد على هذا الكتاب عند الكلام عن موقف
الغزالي في التفاهيت عن معنى الفعل والفاعل .

(١١٥) كذلك ص ٤٩٥-٤٩٦ ح ٥ . وبيان هذا انه عند المتكلمين كل دائم
الوجود ليس مفعولا وليس له فاعل ، فما من غيره يجب ان يكون
غير موجود منذ الازل بل له وجود طارىء وله بداية زمانية لم يكن قبلها

قوله - اى قول الرازى - : «لاخلاف فيه»، «ليس بصحيح، لان منشأ الخلاف هو ان
المفعول في اى شىء يتعلق بفاعله؟ فذهب الحكماء الى انه يتعلق به في وجوده
سواء كان المتعلق حادثا - من عدم سابق عليه - او غير حادث - من عدم
سابق عليه - ، وذهب الجمهور الى انه يتعلق به في حدوثه دون وجوده - اى
دون بقائه موجودا بعد وجوده - كما حكى الشيخ عنهم في الفصل الاول من
النمط الخامس • واعترف بهذا الرازى ثم حقق ذلك ابن سينا في الفصل
الثانى انه يتعلق به في وجوده ، واحتاج الى بيان سبب التعلق ما هو؟ ولما
ظهر ان سبب التعلق هو الوجوب بالغير ظهر ان الواجب بالغير - اى الموجود
من سواء وليس له وجود بذاته - سواء كان دائما او غير دائم متعلق بالغير
في وجوده مادام ذلك الغير موجودا ، وهذا مطلوب الشيخ • ثم يقول الطوسى:
ثم يقول الطوسى :

اما البحث في علة الحاجة اهو الامكان؟ ام هو الحدوث؟ فليس بمفيد
في هذا الموضوع لان علة الحاجة لو كان هو الحدوث وكان المحدث محتاجا في
جميع اوقات وجوده لم يكن للشيخ ههنا بضار ، كما صرح به آخر الفصل
الثالث • ولو كان هو الامكان وكان الممكن غير موجود وغير متعلق بالفاعل
لم يكن بنافع له ، فلذلك لم يتعرض الشيخ لهذا البحث • واما قول الرازى:

موجودا • اما عند ابن سينا فان الدائم قد يكون له علة وفاعل مثل
الواجب الوجود بغيره ، وقد لا يكون له علة ولا فاعل مثل الواجب
الوجود بذاته • فليس كل دائم الوجود لا فاعل له ولكن كل ما ليس
له فاعل فهو دائم الوجود • ومن هنا فليس في المسألة مصادرة على
المطلوب ، لان ابن سينا يختلف عن المتكلمين في معنى الدائم كما انه
والفارابى يبرهنون على ضرورة ان يكون ما وجوده من سواء دائم
الوجود اذا تعلق بعلة تامة هى الواجب الوجود بذاته •

انه لم يبين ان الدائم هل يفترق الى المؤثر ام لا؟ « فليس بشيء ، لانه بين (١١٦)
ان الواجب بالغير لا ينافي الدائم ، وان علة التعلق بالغير هي الوجوب بالغير •
فالدائم ان كان واجبا بغيره كان مقترا والا فلا (١١٧) •

النقطة الثالثة : يقول الرازي : والتحقيق ان الخلاف ههنا - اى فى
موضوع الازل الدائم هل يفترق الى الفاعل ام لا يفترق - بين الحكماء والمتكلمين
لفظى ، لان المتكلمين جوزوا ان يكون العالم على تقدير كونه ازليا معلولا
لعلة ازلية ، لكنهم نفوا القول بالعلة والمعلول لا بهذا الدليل بل بما دل على
وجوب كون المؤثر فى وجود العالم قادرا مختارا • واما الفلاسفة فقد اتفقوا
على الازلى يستحيل ان يكون فعلا لفاعل مختار ، فاذا حصل الاتفاق على ان
كون الشيء ازليا ينافي افتقاره الى القادر المختار (١١٨) •

يقول الطوسى رادا : هذا صلح من غير تراضى الخصمين - يعنى
الفلاسفة والمتكلمين - وذلك ان المتكلمين - وذلك ان المتكلمين باسرههم
صدروا كتبهم بالاستدلال على وجوب كون العالم محدثا من غير تعرض
لفاعله ، فضلا عن ان يكون فاعله مختارا او غير مختار ، ثم ذكروا بعد اثبات
حدوثه انه محتاج الى المحدث ، وان محدثه يجب ان يكون مختارا ، لانه لو
كان موجبا لكان العالم قديما وهو باطل بما ذكروه اولا ، فظهر انهم ما بنوا
حدوث العالم على القول بالاختيار بل بنوا الاختيار على الحدوث • واما القول
بنفى العلة والمعلول فليس بمتفق عندهم ، لان مثبتى الاحوال من المعتزلة
قائلون بذلك صريحا • وايضا اصحاب هذا الفاضل - يعنى اصحاب الرازي

(١١٦) اى ابن سينا •

(١١٧) اشارات • ص ٤٩٦-٤٩٧ ح ص •

(١١٨) كذلك ص ٤٩٧ ح ص •

من الأشاعرة - يثبتون مع المبدأ الأول قدماء ثمانية سموها صفات (١١٩)
 المبدأ الأول • فهم بين ان يجعلوا الواجب لذاته تسعة - فيتعدد الالهة - ،
 وبين ان يجعلوها معلولات لذات واجبة هي علتها ، وهذا شيء ان احترزوا
 عن التصريح به لفظا فلا محيص لهم عن ذلك المعنى • فظهر انهم غير متفقين
 على القول بنفى العلة والمعلول مع اتفاقهم على القول بالحدوث • واما الفلاسفة
 فلم يذهبوا الى ان الازلي يستحيل ان يكون فعلا لفاعل مختار ، بل ذهبوا
 الى ان الفعل الازلي يستحيل ان يصدر الا عن فاعل ازلي تام في الفاعلية ، وان
 الفاعل الازلي التام في الفاعلية يستحيل ان يكون فعله غير ازلي (١٢٠) • ولما
 كان العالم عندهم فعلا ازليا اسندوه الى فاعل ازلي تام في الفاعلية وذلك في
 علومهم الطبيعية • وايضا لما كان المبدأ الأول عندهم ازليا تاما في الفاعلية
 حكموا بكون العالم الذي هو فعله ازليا ، وذلك في علومهم الالهية • ولم
 يذهبوا ايضا الى انه ليس بقادر مختار ، بل ذهبوا الى ان قدرته واختياره
 لا يوجبان كثرة في ذاته ، وان فاعليته ليست كفاعلية المختارين من الحيوانات
 ولا كفاعلية المجبورين من ذوى الطباع الجسمانية (١٢١) •

وإذا كنا قد قاربنا على الانتهاء من اقوال ابن سينا ، فلا ينبغي ان نضرب
 صفحا عن بعض جامع مركز بوضوح ابن سينا فيه خلاصة مذهبه ومذهب
 المشككين ، ومخبر الفرقين بتمهي الأبحاث والوضوح • فبعد ان عدد
 المذاهب المختلفة في اصل العالم! ان ينكر بوجود موجد للعالم ، ومن يقول

(١١٩) يشير الطوسي الى قول الأشاعرة بان الصفات الالهية لاهي الذات
 ولا هي غير الذات • انظر تحقيق هذا في مقال عن المعلوم مجلة كلية

الاداب عدد ٩ سنة ١٩٦٦ •

(١٢٠) حسب دليل العلة التامة • وقد مرت صليخ من عند الفارابي واين

سينا • رجع ٧٦٣-٧٦٣ • تاليف (٧١١)

(١٢١) الاشارات • ص ٤٩٨-٤٩٩ ح ٧٦٣ رجع ثلاثة (٧١١)

بقديمين او أكثر مثل اصحاب الطينة - اى اصحاب الهيولى من الجزائين
كما يشرح الطوسى - وسواهم ، يعرض لمن يقول باله واحد واجب الوجود
بذاته ، ويشمل هذا المتكلمين والفلاسفة الالهيين اى ابن سينا وجماعته •
يقول ابن سينا : « وهؤلاء الذين أقرؤا بواجب وجود واحد من متكلمين
وفلاسفة افرقوا فريقين : فقال فريق منهم انه لم يزل ولا وجود لشيء عنه ،
ثم ابتداء واراد وجود شيء عنه (١٢٢) ، ولولا هذا لكانت احوال متجددة من
اصناف شتى في الماضى لانهاية لها موجودة بالفعل ، لان كل واحد منها
وجد ، فالكل وجد ، فيكون لما لانهاية له من امور متعاقبة كلية منحصرة في
الوجود • قالوا : وذلك محال • وان تكن كلية حاصرة لاجزائها معا فانها
في حكم ذلك (١٢٣) • وكيف يمكن ان تكون حال من هذه الاحوال
توصف بانها لاتكون الا بعد ما لانهاية له ، فتكون موقوفة على ما لانهاية له ،

(١٢٢) يقول الطوسى : القائلون بان الواجب واحد قسمان : فرقة ذهبت
الى ان ما عدا الله او الواجب لذاته مسبوق بالعدم سبقا زمانيا ، وهم
المتكلمون • والثانية الى ان بعض ما عداه غير مسبوق بالعدم الا سبقا
بالذات - مثل العقول الفلكية والاجرامية العليا ونفوسها - وهم
جمهور الحكماء - اى الفلاسفة - شرح الاشارات ص ٥٣٥ حص •

(١٢٣) الاشارات ص ٥٣٥ نس • والمراد بقولهم الى قوله : فانها في حكم
ذلك : هذه هى الحجة الاولى التى يضعها المتكلمون لاثبات حدوث العالم
بالزمان وهى انه لو كان ايجاد الموجودات منذ الازل ، فقد وجدت
موجودات لانهاية لها وكلها مجتمعة متحققة الوجود معا ، وبما ان
كل واحد منها محدود متناهى المدة ، فكلها كذلك طالما انها محصورة
بين الحاضر والماضى • ولهم براهين مثل دليل التطبيق • ولا يسع
المجال لاياراده هنا واذا كان لها جميعا كل حاصر فتكون متناهية ،
وقد فرضت غير متناهية ، فهذا خلف ، فلم يصح افتراض ان وجود
الاشياء ازلى لانهاية في الماضى له • وسيرد ابن سينا على هذا ردا جيدا
في رقم ١ من ردوده بعد قليل •

فينقطع اليها ما لا نهاية له (١٢٤) ؟ ثم كل وقت يتجدد يزداد عدد تلك
الاحوال ، وكيف يزداد ما لا نهاية له (١٢٤) ؟

« ومن هؤلاء من قال (١٢٦) : ان العالم وجد حين كان اصلح لوجوده .
ومنهم من قال : لا يمكن وجوده الا حينما وجد . ومنهم من قال : لا يتعق

(١٢٤) قولهم - الى فينقطع اليها ما لا نهاية له : خلاصة هذه الحجة الثانية
للمتكلمين ان وجود اى شىء مفرد يعنى ان يكون متوقفاً في وجوده على
وجود ما لا نهاية له من الافراد من جنسه اذا فرضنا ان العالم ازلياً .
ولكن بما ان ما لا يتناهى لا يمكن قطعه والانتهاى منه ، فلا يمكن وجود
هذا الشىء المفرد . ولكن هذا الشىء موجود عياناً ، فصحح اذا انه قد
سبقه افراد من جنسه محدودة العدد ، فجنس هذا المفرد ليس ازلياً كما
يزعم الفلاسفة ، بل هو وافراده محدودون لهم طرف . وهكذا في كل
موجودات العالم ، وبالتالي العالم ككل له بداية . وسيرد ابن سينا على
هذا برقم (٢) و (٣) من ردوده التى ستتبع بعد قليل .

(١٢٥) اشارات ص ٥٣٦ نس . هذه هى حجج المتكلمين في اسناد قولهم
بالخلق بعد عدم خلق وسيرد عليها ابن سينا جميعاً بعد قليل .

(١٢٦) يقول الطوسى «وهؤلاء - اى المتكلمون - اذا طولبوا بعلة
تخصيص حدوث العالم في الوقت الذى حدث فيه دون غيره من الاوقات
التي يمكن فرضها مما لا يتناهى قبله او بعده ، افترقوا بحسب الاحوال
الممكنة فيه الى ٠٠٠ ثلاث فرق : فرقة اعترفوا بتخصيص ذلك الوقت
في الحدوث ، وبوجود علة لذلك التخصيص غير الفاعل وهى مصلحة
تعود الى العالم ، وهذا التخصيص هو على سبيل الاولوية دون الوجوب ،
وهؤلاء هم جمهور المعتزلة من المتكلمين ومن يجرى مجراهم . وفرقة
قالوا بتخصيصه لذات الوقت على سبيل الوجوب وجعلوا
حدوث العالم في غير ذلك الوقت ممتنعاً لانه لا وقت قبل ذلك الوقت
وهو قول ابي القاسم البلخي وهو المعروف بالكعبى ومن تبعه منهم
- اى من المعتزلة - . وفرقة لم يعترفوا بالتخصيص خوفاً من العجز
عن التعليل بل ذهبوا الى ان وجود العالم لا يتعلق بوقت ولا بشىء آخر
غير الفاعل وهو لا يسأل عما يفعل ، أو اعترفوا بالتخصيص وانكروا
وجوب استناده الى علة غير الفاعل ، بل ذهبوا الى ان الفاعل المختار
يرجح احد مقدرية على الآخر من غير مخصص ، وتمثلوا في ذلك

وجوده بحين ولا بشيء آخر بل بالفاعل ولا يسأل عما فعل او لم يفعل (١٢٧) .
 وبازاء (١٢٨) هؤلاء قوم من القائلين بوحدانية الله يقولون : ان واجب الوجود
 في جميع صفاته واحواله الاولية ، وانه لم يتميز في العدم الصريح حال
 الاولى فيها به ان لا يوجد شيئا او بالاشياء ان لا توجد عنه اصلا ، وحال
 بخلافها (١٢٩) . ولا يجوز ان تسنح ارادة متجددة لداع (١٣٠) ولا تسنح
 جزافا (١٣١) ، وكذلك لا يجوز ان تسنح طبيعة او غير ذلك بلا تجديد
 حال (١٣٢) قالوا فان كان الداعي الى تعطيل واجب الوجود عن افاضته
 الخير والوجود هو كون المعلول مسبوقا بالعدم لا محالة ، فهذا الداعي ضعيف
 قد انكشف لذوى الانصاف ضعفه (١٣٣) . على انه قائم في كل حال ، وليس

بعطشان يحضره الماء في اناءين متساويين بالنسبة اليه من كل الوجود
 فانه يختار احدهما لا محالة ، وبغير ذلك من الامثلة . وهم اصحاب
 ابي الحسن الاشعري ومن يحدو حدوه وغيرهم من المتكلمين المتأخرين .
 وأشار الشيخ الى هذه الاقوال بقوله : « ومن هؤلاء من قال الى
 قوله ولا يسأل عما فعل او لم يفعل » . اشارات ٥٣٦-٥٣٧ ح ص .
 وسيأتي تفصيل لهذه الاقوال وممثلها .

(١٢٧) اشارات . ص ٥٣٧ نس .

(١٢٨) ذكر ان القائلين بان واجب الوجود واحد فرقتان ، وذكر الفرقه
 الاولى وهم المتكلمون ، والآن يذكر الفريق الثاني وهم الحكماء وهو
 منهم .

(١٢٩) وهذا رد على من يقول بان فعل الله في وقت معين مبنى على صلاحية
 ذلك الوقت او عدم وجود زمان قبله .

(١٣٠) وهذا هو دليل العلة التامة . ولا حاجة للتكرار .

(١٣١) اى لا يمكن ان يتجدد حال في الله بلا سبب . كما لا يمكن القول بان
 الله اختار هذا الوقت ففعل ولم يكن قبله فاعلا بلا سبب او مرجح .

(١٣٢) اشارات . ص ٥٣٨-٥٣٩ نس .

(١٣٣) وقد اوضح ابن سينا - وشرحت ذلك قبلا - ان الفاعل انما يتعلق
 فعله بالوجود لا بالعدم ، وان الممكن بالذات وهو العالم لا يسبقه عدمه
 بزمان ، بل عدمه فرضى تصورى ، بينما الممكن بالذات هو دائم الوجود

في حال اولى بايجاب السبق منه في حال (١٣٤) • واما كون المعلول ممكن الوجود في نفسه واجب الوجود بغيره فليس ينافض كونه دائم الوجود بغيره (١٣٥) كما نبهت عليه (١٣٦) • وبعد ان يرد ابن سينا على قول هذا القسم من المتكلمين (١٣٧) يعود الى حجج القسم الاول منهم ، فيرد على حججهم (١٣٨) بقوله : « ١- اما كون غير المتناهي كلاً موجوداً لكن كل واحد وقتاً ما موجوداً فهو توهم خطأ ، فليس اذا صح على كل واحد حكم صح على كل محصل ، والا لكان يصح ان يقال : الكل من غير المتناهي يمكن ان يدخل في الوجود ، لان كل واحد يمكن ان يدخل في الوجود ، فيحمل الامكان - اي امکان الدخول في الوجود - على الكل كما يحمل على كل واحد (١٣٩) • قالوا ولم يزل غير المتناهي من الاحوال التي يذكرونها معدوماً الا شيئاً بعد شيء • ٢ - وغير المتناهي المعدوم قد يكون فيه اكثر واقل ولا يتسلم ذلك كونها غير متناهية في العدم • ٣ - واما توقف الواحد منها على ان يوجد قبله ما لا نهاية له ، او احتياج شيء منها الى ان ينقطع اليه ما لا نهاية له ، فهو قول كاذب ، فان معنى قولنا : توقف كذا على كذا هو ان الشئين وصفاً معاً

لتعلقه بواجب الوجود بالذات • فلم يعد لدعوى ان يكون الله تاركاً

للفعل من مبرر • فبقى ان يكون الله وفعله قديمين بالزمان ، وان كان

العالم - لانه ممكن بالذات - حادثاً بالذات •

(١٣٤) لان الاوقات المفروضة متساوية •

(١٣٥) انظر ما سبق مراراً ونوت ١٣٣ اعلاه •

(١٣٦) اشارات ص ٥٤١-٥٤٢ نس •

(١٣٧) انظر ما بعد نوت (١٢٦) من ص ٧٨ من المتن حيث ذكرت اراءهم في

التخصيص وشرح الطوسي لها •

(١٣٨) انظر ما فوق نوت ١٢٣-١٢٥ من متن ص ٧٧ حيث ذكرنا حجج

المتكلمين وسأرقم اجوبته واضع خطاً عندما سأشرحه او اناقشه بعد

ايراد النص عليه •

بالعدم ، والثاني لم يكن يصح وجوده الا بعد وجود المعدوم الاول ، وكذلك الاحتياج . ثم لم يكن البتة ولا في اى وقت من الاوقات يصح ان يقال : ان الامر كان متوقفا على وجود ما لانهاية له ، او محتاجا الى ان يقطع اليه ما لانهاية له بل ، اى وقت فرضت وجدت بينه وبين الآخر اشياء متناهية . ففى جميع الاوقات هذه صفته ، لاسيما والجميع عندكم وكل واحد واحد . فان عنيتم بهذا التوقف : ان هذا لم يوجد الا بعد وجود اشياء كل واحد منها في وقت آخر لا يمكن ان يحصى عددها ، وذلك محال ، فهدا هو نفس المتنازع فيه : انه ممكن ، فكيف يكون مقدمة في ابطال نفسه ؟ ابلان يغير لفظها تغييرا لا يتغير المعنى له ؟ «...» (١٤٠) .

في هذا النص يقدم ابن سينا ثلاثة ردود على حججهم السابقة . وهى ردود مركزة لا يمكن ان تفتح مقاليتها الا لمن تعود هذه اللغة ، وتوضح هذه الاسطر بناء على مجموع فلسفة ابن سينا وآراء المتكلمين . ولذلك اضع بين يدي القارئ تفسيراً لكل رد حسب الارقام اعلاه ، مع اجتهادى في التحكيم والترجح بين الفريقين . وعلى القارئ ان يضع في ذهنه مقدا انه سيخوض معانى شائكة تحتاج الى تأمل ودربة .

(١) خلاصة رد ابن سينا الذى رقمته برقم ١ - في النص اعلاه هو : ان حكم الكل ليس حكم الاجزاء . اى ما ينطبق على الجزء لا ينطبق على الكل ، فاذا قلنا ان زيدا حادث ، فهذا لا يعنى بداهة ان النوع الانسانى حادث له . بداية زمانية لم يكن كائن بشرى واحد موجودا فيها . وتوضح هذا الحكم ان العدد اللامتناهى كل جزء من اجزائه ، مثل الواحد والاثنين والعشرة ، عدد محدود ولكنه اى «اللامتناهى» غير محدود . والمتكلمون لما

(١٣٩) الاشارات . ص ٥٤٣ ن .
 (١٤٠) الاشارات . ص ٥٤٣-٥٤٤ .

وجدوا ان لكل مفرد من افراد نوع ما بداية زمانية مثل وجود زيد ستين سنة فقط ، قالوا : ان افراد النوع كلها لها بداية وزمان لم تكن قبله موجودة • وهذا خطأ ، لان الكل غير المتناهي لا يمكن ان يدخل ككل في الوجود والا اصبح متناهيا ، ومعنى انه يدخل ككل في الوجود انه ينتهي في عده ، او يتلاحق واحدا بعد واحد سواء الى الماضي او الحاضر او المستقبل حتى تنتهي وتقف العملية • فقد بان من هذا ان حكم الاجزاء ليس حكم الكل •

(٢) المراد بهذا الرد الثاني من ردود ابن سينا الثلاثة المعلمة في النص اعلاه ، ان افتراض آتات لا نهاية لها في الزمان (جمع آتة) ، أو افتراض دورات في الحركة الفلكية الدائرية لا نهاية لها ايضا ليس بمستحيل ، ولا يتعارض مع كونها تكون اكثر واقل بعضها من بعض • وسنرى ان ابن رشد وقبله الغزالي والفيومي وسواهم يتمثلون بحركات الافلاك زحل والمشتري مثلا ، وان دورات زحل في مدة محدودة هي ضعف دورات كوكب آخر حسب سرعة دوران الكوكب حول دائرته وكبير او صغر فلكه الذي يدور فيه ، فهل يعارض هذا كون مجموع حركتهما واحدة ؟ ابو رشيد والغزالي ومن قبلهما يحيى النحوى - كما سنرى - حسبوا ان مجموع حركتهما ليست واحدة طالما ان دورات احدهما اكثر عددا من دورات الآخر ، وعليه استنتجوا ان ما لا نهاية له من دورات زحل مثلا هي اكثر من ما لا نهاية له من دورات الكوكب الآخر ، وبما ان ما لا يتناهي ليس اكبر ولا اصغر مما لا يتناهي ، استنتجوا ان دورات كليهما لها بداية في الماضي ، وعليه فان حركة العالم لها بداية ، وكذلك زمانه ، لان الزمان هو مقياس الحركة فاستنتجوا بالتالى حدوث العالم بالزمان •

وفي قول هؤلاء مغالطة تغمض احيانا على الكثيرين فان هؤلاء انما يشبثون التفاوت في عدد الحركات وفي جزئيات الزمان أى آتاته ، وليس في

الحركة نفسها ، فمثلا اذا فرضنا مدة معينة ولتكن يوما فمن الممكن ان
 نقسمها الى (٢٤) ساعة ، ومن الممكن ان نقسمها الى (١٤٤٠) دقيقة ومن
 الممكن ان نضاعف هذا العدد مرارا اذا قسمنا اليوم الى ثوان ، ولكن مع
 اختلاف هذه الاقسام فان مجموع كل وحدة يبقى يوما واحدا . ولو فرضنا
 عجلات صغيرة تدور ضمن هذا اليوم احدها يقطع دورة واحدة في كل
 ساعة ، والآخر دورة واحدة في كل دقيقة ، والثالث دورة واحدة في كل
 ثانية ، فان دورات الاول ستكون ٢٤ ، والثاني ١٤٤٠ ، والثالث اكبر من
 هذا بكثير ، ولكن هل يعنى التفاوت ان مدة حركة الاول مثلا أقل من مدة
 حركة الثاني او الثالث او بالعكس ؟ واضح ان كل واحد من هذه الاجسام
 او العجلات ظل يتحرك حركة متصلة تملأ ٢٤ ساعة أو يوما واحدا .
 فالحركة واحدة بين الثلاثة ولكن التقسيمات وحدها هي التي تختلف .
 وهذا امر لا يؤثر على استمرارية الحركة وتساويها في العجلات الثلاث .
 ونفس الشيء يقال عن حركات الافلاك ، فمع انها تقطع دورات متفاوتة حول
 نفسها او حول فلكها في مدة معينة مفروضة الا ان حركاتها مستمرة واحدة
 ذات زمن واحد في جميعها . وهذا هو المهم ، اعنى استمرار الحركة
 والتساوى في مجموع زمن دورات كل منها . فاذا فرضنا ان الافلاك ظلت
 تتحرك منذ الازل فان حركاتها وزمن مجموع دوراتها يبقى لا نهاية له ،
 مع اختلاف ما يقطعه كل فلك من دورات في وحدة زمنية محدودة . ولندل
 على ان الدورات لا تؤثر في تساوى الحركة الكلية ومدتها بأمثلة مشاهدة :
 لو حركنا رحا من الصخر ، كما يفعل نساؤنا بالامس القريب ، فان دورات
 قلب الرحا اى وسطه ستكون اكثر عددا من دورات محيط الرحا لصغر
 محيط دائرة القطب وكبير دائرة محيط الرحا ، ولكنهما يبدآن حركة واحدة
 في بدايتها وفي نهايتها . ولو فرضنا في الرحا عشرين دائرة تكبر كلما ابتعدنا
 عن القطب ، لتفاوت مجموع دوراتها مع ان الحركة في استمرارها ومدتها

تبقى واحدة • فليس المهم عدد الدورات عند حساب حركة جرمين او اكثر بل مدة استمرارية الحركة • وفي حالة فرض ان الافلاك تتحرك حركة غير محدودة ازلا وابدا تكون مدة حركات الافلاك جميعا متساوية • وعليه صح القول بان غير المنتهية قد يكون فيه حركات ودورات اكبر واقل ولا يثلم ذلك كونها غير متناهية في القدم •

والنتيجة ان تقسيم حركة الافلاك الازلية الابدية الى وحدات ودورات هو من عمل الذهن البشرى ، والا فان حركة كل فلك هي في الواقع حركة متصلة واحدة من الازل الى الابد ، لا وقفة فيها كلما كمل الكوكب دورة حول فلكه او نفسه • وهذه العملية التقسيمية الذهنية أشبه بمن يقسم اصبعاً من الطباشير الى اجزاء متوسطة الحجم والطول ، ثم يقسم عموداً آخر مساوياً للاول في الطول والكثافة والوزن الى اجزاء ادق واقصر ، ثم يلاحظ ان اجزاء الثاني اكثر عدداً من اجزاء الاصبع الاول ، فيستنتج ان الثاني اطول او اقصر واثقل او اخف من الاول •

من هنا يتضح نوع المغالطة والسطحية في دليل المتكلمين الذين يعتمدونه لاثبات ان حركات الكواكب محدودة ولها زمان ابتدأت منه في الماضي ، بناء على تفاوت عدد دورات ما يقطعه كل كوكب حول قطبه او حول فلكه •

(٣) ونأتى الآن الى الرد الثالث الذي يقدمه ابن سينا في حجة مع المتكلمين ، والذي اعطينا له رقم (٣) في النص المقتبس عن ابن سينا اعلاه • وما يذكره ابن سينا واضح وهو ان حصول الابن القلاني ولنرمز له بـ الحرف (أ) هو في الواقع والمشاهدة متوقف على وجود ابوه ولنفرض انه (ب) قبله ، فلو لم يوجد ابوه قبله لما وجد • وبين (أ) و (ب) ليس ما لانهاية له من الزمان بل زمان محدود • وهكذا لو اردنا ان نعرف حيثيات وجود الاب (ب) لوجدنا انه ليس متوقفاً على وجود ما لانهاية له من الاباء بل على

وجود أب مخصوص واحد قبله وهكذا • ولا استحالة في أن نستمر في هذا التسلسل الى ما لا نهاية •

فان ادعى الخصم • ان ما نريده هو ان (أ) متوقف على وجود أب له وهذا على آخر ، فاما ان يتسلسل الامر الى ما لا نهاية له من الاء ، ولما ان يقف عند اب اول ، وان الفرض الاول مستحيل ، والفرض الثاني هو الصحيح ، لان التسلسل الى ما لا نهاية له مستحيل ، وعليه فان نوع الانسان وافراده لهم بداية بدأوا منها في الماضي ، وبذلك يثبت حدوثهم بالزمان ، وهكذا لو أخذنا الحيوان والنبات وسائر الكون فيثبت حدوث الكون كله بالزمان • اقول اذا ادعى الخصم كل هذا فان جواب ابن سينا هو : ان ما اعتبره الخصم - وهو هنا المتكلمون - مستحيلا وهو فرض التسلسل الى ما لا نهاية في افراد نوع ما ، هو ما نقول به ، وهو ليس مستحيلا عندنا معشر الفلاسفة ، كما انكم ايها المتكلمون لا تستطيعون اثبات بطلانه الا بقولكم : « ان ما لا نهاية له لا ينتهي منه ، فاذا توقف وجود (أ) على وجود اشياء قبله الى ما لا نهاية لها فلا يمكن ان يتحقق وجود (أ) بالفعل والمواقع ، لان ما لا نهاية له لا ينتهي منه • ولكن وجود (أ) الحالي مثل «زيد» دليل على ان ما سبقه من الاء ليس لا نهاية لهم ، بل عدد متناه • ولكن دليلكم هذا ايها المتكلمون غير مقنع لنا ، لانه قد بان عندنا ان الله قديم ازلي وفعله لا يد ان يكون كذلك (١٤١) • فاذا قلنا انه اوجد النوع الانساني مباشرة (١٤٢) فيجب ان يكون النوع الانساني «كنوع» ازليا بالزمان مثله ،

(١٤١) كما يوضح ما سبق من نصوص عن دليل العلة التامة •

(١٤٢) يمكن ان يكون في هذا الفرض غموض • واحسن منه لو افترضنا ان المثال هو زمان فلك من الافلاك كنوع وآناته كافراد فان الفيضيين يرون - لمبررات لا محل لذكرها في هذا الكتاب - ان الموجودات العليا كالافلاك والعقول والنفوس وجدت ابدا وازلا ليس في زمان ، اما

محدثا بالذات ، اى لا يتأخر عنه تأخرا زمانيا • وبما اننا نشاهد ان كل مفرد من البشر حادث له بداية ونهاية ، فلا يمكن اذا ان يتصل القديم (اى الله) بالحادث اى زيد الحالى ، وبينها ما لا نهاية له من الزمان ، لان الفرق بين الازلى في الزمان وهو الله وزيد الحالى ، زمان لا نهاية له ، والا كان الله نفسه له بداية زمانية • اقول لا يمكن ان يتصل القديم بالحادث الا بافراض ان افراد نوع الانسان عدد لا نهاية له • كما لا يمكن تصور كيف يكون نوع من الأنواع كلبشر ازليا بالزمان الا بافراض افراده سلسلة لا نهاية لاعدادها ، بحيث لا نفرض زمانا من الازمان الا ونفرض فيه فردا من افراد التسوع الانسانى موجودا •

وعندى انه يمكن وضع جواب الفلاسفة وضعا أوضح وأكثر اقناعا بوجهين : الاول ان نطبق قولهم بان ما لانهاية له لا ينتهى منه ولا ينقطع ، وبان وجود (أ) الحالى وتحققه بالفعل يدل على ان ما قبله من آباء عدد متناه ، اقول نطبق هذا القول على وجود الله ، فلاشك ان الله موجود عندهم وعند الفلاسفة اى عند طرفي النزاع • وهو موجود ولا شك عند كليهما في اللحظة الحاضرة ، وله زمان مطلق لا بداية له (١٤٣) وهو مدة وجود الله • وهذا الزمان تتساوى في الوقوع

موجودات عالمنا الارضى كالانسان والحيوان والجماد النخ • فهى موجودات زمانية • ولذلك يجب الا يؤخذ التمثيل بالبشر اعلاه الا على سبيل توضيح الفكرة •

(١٤٣) المقصود بالزمان هنا ليس التعريف الارسطى « انه مقياس الحركة او مقياس حركة الفلك » فاذا لم تكن حركة لم يكن زمان • بل المقصود الزمان الذى هو مقياس وجود شىء ما ، كما يعرفه ابو البركات البغدادى في المعتبر : (المعتبر : ج ٢ ، ٦٩-٧٧) • وهذا الزمان يساوى الدهر والسرمد الذى هو زمان الله حتى عند من يأخذ بتعريف ارسطو مثل ابن سينا والمتكلمين • وربما سنحت فرصة للمجىء على تفاصيل اخرى بهذا الصدد في آخر هذا الكتاب • ولكن بحثنا « عن الزمان عند المفكرين المسلمين هو قيد الاعداد وسأشرح المسألة بجلاء •

فيه جميع الموجودات كلاً حسب مدتها • فإذا قبلنا بهذا نقول : اذا كان الله موجوداً في اللحظة الحاضرة فهل توقف وجوده الحالي في هذا الان على ما لا نهاية له من آتات الزمان ، ام توقف على عدد من الآتات متناه ؟ ولا بد للمتكلمين ان يقولوا استناداً على حججهم السابقة : ان وجود الآن الحاضر دليل على وجود آتات زمانية متناهية قبله ، والا لما وصلنا الى الان الحاضر ، لان ما لا نهاية لا ينقطع ولا ينتهي منه • فنثبت بذلك ان الله هو الآخر حادث وله بداية زمانية لم يكن قبلها موجوداً • فاذا امتنع عندهم هذا ، لان الله عندهم ازلي ، وجاز ان يكون الله موجوداً الآن ومع ذلك فان عدد الآتات من وجوده الماضي لا نهاية لها ، فليجيزوا ان عدد افراد الانسان او الذئب لا نهاية له في الماضي ، وان كل انسان مفرد مثل سقراط له بداية في ذاته ، ولكن نوع الانسان ازلي • أو ليحيزوا ان وجود الآن الحاضر من زمان الله لا يمنع عدم تناهي زمان العالم في الماضي ، وبذلك يسقط أقوى ادلتهم على الاطلاق • ولذلك قال ابن رشد في هذه المسألة (وسنعود الى تفصيله) لمن سأله : كم مضى من زمان العالم وافراده الخ • ؟ قال : مضى من زمانه بقدر ما مضى من زمان الله • وسأعود الى بيان حجج المتكلمين والى مزيد توضيح لردود الفلاسفة عند عرض موقف الغزالي ومن جاء بعده •

اما الوجه الثاني في الرد عليهم فهو ان اللامتناهي هو ما ليس له بداية وليس له نهاية ، فلو فرضنا ان افراد الانسان لا نهاية لهم او آخذنا زماناً لا نهائياً وآتاته عدد لا نهاية له ، فان معنى انهم لا نهاية لهم أن عددهم متوزع بين الماضي والمستقبل بحيث يكون لا بداية لهم ولا نهاية • ولكن لو آخذنا عدداً لا نهاية له من وسطه ، واردنا ان ننظر الى طرفيه من جهة اليمين ، ولنصور

هذه العملية بهذا الشكل $\infty \text{ --- } \overset{ب}{\uparrow} \text{ --- } \infty$ ، ولنفرض ان العدد أس هو لامتناه ، ونظرنا اليه من وسطه ب • ووقفنا عند ب واردنا ان نعد مفرداته او اعداده بين ب ، فان العملية بكاملها

ستكون مستحيلة ، لاننا حالما فرضنا فاصلا او حدا جعلنا اللامتناهي متناه او
 عاملنا اللامتناهي كمتناه • وتوضيح ذلك هو أننا سنجد ان المفردات او الآتات
 بين ب - أ ، اما عدد متناه او غير متناه • فان كان عددا متناه ، فان الافراد او
 الآتات بين بس هي كذلك متناهية لنفس الفرض فتكون افراد وانات أ س
 متناهية لان احدى البديهيات المعروفة تقول : اذا جمعنا كميات محدودة
 الى اخرى محدودة كانت النتائج محدودة ، وهذا عكس فرضنا الاول وهو
 ان أ س عدد غير متناه ، وزمن غير متناه ، ونوع افراده غير متناهية • اما اذا
 فرضنا ان أ ب فيه آتات لا نهاية لها ، وكذلك ب س فيه آتات لا نهاية لها ،
 فسيكون الجزء بقدر الكل اى سيكون كلا من أ ب ، ب س بقدر أ س ، لان
 كل واحد من هذه الثلاث غير متناه ، وغير المتناهي ليس اكبر ولا اصغر من
 غير المتناهي • واذا كان كلا الفرضين باطل ، اعنى افتراض ان تكون آتات
 أ ب ، ب س متناهية او غير متناهية ، فوضعنا - (ب) كحد فاصل بين أ س
 هو وضع غير مبرر ومستحيل ، لانه يحيل الى خلف • وعليه فان احسن
 وضع للمفرد في نوعه او جنسه هو رسمه بالدائرة وليس بالخط • فلو
 فرضنا ان نوع الانسان ازلي ، او ان الزمان ازلي ، ورسمنا له دائرة هي (ن)
 وفرضنا ج أحد آتاته او افراده استطعنا ان نقول : ان ج موجود ، دون
 ان نستطيع ان نحدد نسبه الزمانية هل هو في الوسط ، أم في ثلث المدة بين
 الطرفين المحيطين به ؟ لان اى تحديد معناه اننا جعلنا طرف الماضى معلوما
 وطرف المستقبل معلوما ، مع انهما ليسا معلومين ، لانهما ليس متناهيين • ان
 اقصى ما يستطيع عقلنا ان يفعله في حالة نسبة الوجود المتناهي مثل وجود «اليوم»
 او «زيد» الى اللامتناهي هو ان يقال ان زيد موجود ، وان وجوده سبقه وجود
 والده وهكذا • وان يقال ان «الآن» الحاضر موجود ، وقد سبقه «آن» قبله •
 ولا مانع ان يستمر الرجوع الى الماضى الى ما لا نهاية طالما اننا نفترض ان
 «الآن» او «زيد» حلقة او جزء من «اللا متناهي» • ولا يصح في هذه الحالة

ان نفترض العكس اى ان نقول : انه طالما امكنا الذهاب من زيد الى ما لا نهاية ، او من الآن الحاضر الى ما لا نهاية ، جاز العودة من اللانهاية الى «زيد» او الى «الآن» الحاضر - وهذا هو صلب دليل المتكلمين المسمى بدليل التطابق كما سنوضح في حينه - لاننا في الحالة الاولى نعامل اللامتاهى كلامتناه ، اما في الحالة الثانية - حالة الرجوع من الماضى اللامتاهى الى الحاضر - فاننا نجعل اللامتاهى متناهيا ونعامله كذلك ، ذلك ان ابتداءنا من اللامتاهى - وعلى القارىء ان يتأمل معنى « من » هذا - ، معناه اننا حددناه وجعلنا له

بداية • وهكنا مثلا توضيحيا :

$$\infty \text{ --- } \uparrow \text{ --- } 1,000$$
لنفرض خطأ هو أ س ،

لانهاية له وان ب وهو «الآن» الحاضر او «زيد» في موضع منه فمن غير المستحيل المتناقض لنفرض ذهابنا من ب الى أ الى ما لا نهاية له ، اى افتراض ان ب متوقف على ابيه وهكذا ، أو أنه متوقف على آتات لانهاية لها قبله • ولكن يستحيل العودة ، لان العودة تعنى ان أ طرف معلوم محدد يمكن الابتداء منه • ونحن في حالة ذهابنا من ب الى أ لم نقل اننا وقفنا وانتهينا بل قلنا ان ل ب آنا قبله وهكذا الى ما لا نهاية في الماضى • فغلط المتكلمين انهم يجعلون اللامتاهى متناهيا ، فيقولون : اذا فرضنا ان «ب» آن حاضر ، ولا يوجد الا اذا وجد قبله آن آخر وهكذا الى ما لانهاية ، فهذا مستحيل طالما لا نستطيع العودة من أ الى ب • هذه حججهم مع انه لا تناقض بين الحالتين فان من المنطقى تماما الذهاب في اللامتاهى من ب الى ما لانهاية له في الماضى فطرف ب محدود ، ولكن طرف أ وهو الماضى غير محدود ، ولكن من غير المنطقى ان نعود من اللامتاهى أ الى ب ، لاننا في الحالة الاخيرة نجعل للماضى الذى هو في الحالة الاولى ليس بنى طرف ولا حد ولا ابتداء ، طرفا وحدا وابتداء منه نبتدىء للوصول الى الحاضر •

ان جمع حجج المتكلمين - كما سنرى - لا يثبت ان العالم وزمانه

وحر كاته لها بداية في الماضي مبنية على مغالطة وهي : لكي يثبتوا ان للماضي طرفا يبدأون بافتراض ان للماضي طرفا • ولكي يثبتوا ان لحركة الافلاك طرفا يبدأون بافتراض ان للحركة في الماضي بداية للماضي طرفا • وذلك حينما يفترضون امكان العودة من الماضي الى الحاضر في الشيء الذي يفرض الفلاسفة انه غير متناه ، وهذه مصادر على المطلوب ، ومقدمة يراد اثباتها • اما الفلاسفة فهم لا يفترضون ازلية انواع الموجودات او ازلية حركات العالم وزمانه اعتبارا بل على اساس ومقدمات طبيعية وميتافيزيقية متعددة ، أحدها دليل العلة التامة المار ذكره • وأملى ان اوفق في المستقبل لاجلاء بقية حججهم في هذا السبيل •

واذا كنت قد بلغت من توضيح موقف ابن سينا هذا المبلغ فاننى اتاماما للفائدة ولكي اجعل معظم اقوال ابن سينا في هذا الصدد تحت متناول القارئ اضع ادناه نصوصا أخرى من كتبه الاخرى مقتصدا في التعليق ما امكن •

لقد قلت في مطلع هذا البحث ان فلاسفتنا ، الذين يتهمهم المتكلمون والفقهاء والمحدثون بالمرور احيانا كثيرة ، هم في واقع الامر ممن يقولون بوجود الاله • ويمكن ان ندلل على هذا بالنص التالى اضافة الى ما سبق • يقول ابن سينا في رسالته في «سر القدر» : «سر القدر مبنى على مقدمات ••• ، منها ان تعلم ان العالم بجملته واجزائه العلوية والسفلية ليس فيه ما يخرج عن ان يكون الله سبب وجوده وحدوثه ، وعن ان يكون الله عالما به ومدبرا له ومريدا لكونه بل كله بتدييره وتقديره وعلمه و ارادته • وهذا على الجملة والظاهر ، وان كنا نريد بهذه الاوصاف ما يصح في وصفه دون ما يعرفه المتكلمون» (١٤٤) •

(١٤٤) ابن سينا : مجموعة الرسائل ، رسالة في سر القدر رقم (٣) •
حيدرآباد ١٣٥٣ • ص ٢ •

وهذا نص يكرر فيه ابن سينا معنى ان يكون الله موجد الاشياء على اساس ما سبق ان اوضحه سابقا ، اعنى تقسيمه للموجودات الى ممكن وواجب فيقول : « ما كان له سبب فهو الممكن ، سواء كان قبل الوجود اذا فرضناه في الذهن او في حالة الوجود ، لان ما يمكن وجوده فدخله في الوجود لايزيل عنه امكان الوجود » (١٤٥) .

وقد اتهم المتكلمون الفلاسفة الفيضيين بانهم يجعلون الله غير مرید وانه عندهم مطبوع . وفيما يلي نص يؤكد فيه ابن سينا بطلان هذه الدعوى . فبعد ان يقول ابن سينا ان الله « مرید » ، يوضح معنى هذا فيقول : « وذلك انه منه وجود الكل وبه قوامه . فكل ما سواه هو فعله وهو موجد ، والفاعل الذى يفعل ما بفعل وهو شاعر به اول (١٤٦) ، والاول كمال والآخر نقص (١٤٧) . فالله عالم بما يصدر عنه علما لا يشوبه جهل ولا تغير . وكل فعل صادر عن العلم بنظام الاشياء وكمالاتها على احسن ما يكون فذلك يكون بارادة » (١٤٨) .

ويوضح ابن سينا اقسام الفاعلين حسب شعورهم يفعلهم او عدم شعورهم به على الوجه التالى :-

١ - ما يفعل بلا شعور على وجه متفق (وهو الفاعل بالطبع) ، مثل النار تحرق ، او تسجى الى اعلى .

٢ - ما يفعل بلا شعور على وجه مختلف (وهو النفس النباتى) ، مثل افعال النباتات .

(١٤٥) ابن سينا : مجموعة الرسائل ، الرسالة العريشة . رقم (٤) حيدرآباد ١٣٥٣ . ص ٣ .

(١٤٦) فى الاصل اولاً .

(١٤٧) يقصد بالآخر - كما سنبين فيما بعد - بلا شعور بفعله .

(١٤٨) الرسالة العريشة ، ص ١٠ .

٣ - ما يفعل بشعور بلا تعقل وعلم (مبدأ الافعال الحيوانية) ، مثل
• افعال الحيوانات

٤ - ما يفعل بشعور وبتعقل وعلم على وجه مختلف (النفس الانسانية) ،
مثل افعال الانسانية الارادية •

٥ - ما يفعل بشعور وبتعقل وعلم على وجه متحد (النفس الفلكية) ،
التي تحرك كل واحدة منها فلذا من الافلاك وفعالها واحد ليس مختلفا •

٦ - ما يفعل بشعور وبتعقل وعلم لا يشوبه جهل ولا تغير (١٤٩)
• (الله)

والقسم السادس هو من وضعي ، فان ابن سينا لم يذكره ، ولكن
يفتضيه كلامه وتقسيمه للموجودات والفاعلين •

ثم يقول : «فهذا معنى العناية اى تصور نظام الخير في الكل ، فيدخل
الوجود على حسب ما علم تصورا يتعالى عن التغير (١٥٠) •

ويوضح على هذا الاساس معنى ان الله قادر فيقول : « انه قادر بمعنى
انه يصدر عنه الفعل على وفق الارادة • ومعنى القادر هو الذى ان شاء فعل
وان شاء لم يفعل • ولا يلزم من هذا انه لا بد ان تكون مشيئته وارادته مختلفة
حتى يشاء تارة ولا يشاء اخرى (١٥١) ، لان اختلاف الارادات لاختلاف

(١٤٩) الرسالة العرشية ص ١٠ •

(١٥٠) كذلك ص ١١ •

(١٥١) هذا تعريض بالمتكلمين الذين سبق ان ذكرنا انهم يفهمون من
المريد انه الذى يفعل الفعل وضده • وهم بذلك يقيسون الغائب على
الشاهد اى يقيسون الله وصفاته على الانسان الذى تتغير افعاله وارادته
وفقا لتغير اغراضه ، ولما كان الله شأنه كذلك انكروا أن يفعل الله منذ
الازل ، لان هذا يقتضى عدم اختلاف وتبدل افعاله • ويسمون الفاعل
للفعل الواحد على وتيرة واحدة ودائما بالفاعل المطبوع او الفاعل
بالطبع ، وهو فهم خاطيء لما يريد الفلاسفة كما موضح في المتن اعلاه •

الاعراض ، وقد ذكرنا انه لا غرض له في فعله ، فاذا مشيئته و ارادته متحدة ،
ولان هذه القضية شرطية فلا يلزم من قولنا : ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ،
انه لا بد ان يشاء وان يفعل (١٥٢) ، ، ، ، ، لانه علم نظام الخير على الوجه الابغ
الاكمل فلا تتغير ارادته ومشئته (١٥٣) .

ولكى يدل ابن سينا على هذا المعنى وعلى معارضته لتفسير المتكلمين
للاول والآخر في الآية القرآنية « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو
بكل شىء عليم (١٥٤) » ، بمعنى الاولوية بالزمان بحيث لا يوجد معه شىء في
الازل ، والآخرية في الزمان بحيث لن يوجد معه شىء في الابد (١٥٥) ، وهو

(١٥٢) يوضح ابن سينا في هذا النص : ان القضية الشرطية هنا هي ان
الله ان شاء فعل منذ الازل وان شاء لم يفعل ابدا ، لانه لا يتغير اى لانه
علة تامة . ولكن المتكلمين يفهمون الشرطية فهما آخر فيقولون :
معنى قولنا ان شاء فعل وان شاء لم يفعل هو : انه ان شاء فعل بعد
مدة وليس منذ الازل وان شاء لم يفعل . ومعنى الشرط الاول ان
حللناه «هو» ان شاء لم يفعل منذ الازل وان شاء فعل بعد مدة .
وكلا القولين «ان شاء لم يفعل منذ الازل» و «وان شاء فعل بعد مدة»
شىء واحد ومعنى واحد بصيغتين . فالذى يتضح هنا ، ان المتكلمين
يخالفون نص تعريفهم للمريد والقادر اعنى ان يفعل وان لا يفعل .
بان يجعلوا الله ملزما بعدم الفعل في الازل ثم بالفعل بعد ذلك بلا موجب
سوى اصرارهم على ان يكون الحدوث بعد عدم حقيقى ، بحيث يكون
بين الله وبين العالم المحدث زمان ، الله فيه غير فاعل ، وبحيث يتقدم
الفاعل على مفعوله تقديما زمانيا .

(١٥٣) الرسالة العرشية . ص ١١ .

(١٥٤) القرآن ٥٧ : ٣ .

(١٥٥) احسن يمثل هذا التفسير جهم بن صفوان المتوفى سنة ١٢٨ هـ .
فيذكر لنا الخياط المعتزلى في كتابه «الانتصار» نشر نيبرج القاهرة
١٩٢٥ ص ١٨ «وانما الذى نقل ابن الراوندى قول جهم ، لان جهم كان
يزعم ان الله يفنى الجنة والنار وما فيهما ، ويبقى وحده كما كان وحده ،
وحجته الآية (هو الاول والآخر) . ويقول الملطى المعتزلى في كتابه «التنبيه
والرد على اهل الاهواء والبدع» نشر سميغن ديدرنغ . اسطنبول ١٩٣٦

تفسير يتعارض مع اعتبار الله عند ابن سينا كعلة تامة ومع اعتباره العالم متأخرا عن الله بالذات فقط. وانهما ازليان ابديان بالزمان ، يقول ابن سينا : «انه اول : اى انه باعتبار ذاته هو الذى لا تركيب فيه ، وانه منزه عن العلل ، وباضافته الى الموجودات هو الذى تصدر عنه الاشياء • وهو آخر : اى هو الذى ترجع اليه الموجودات في سلسلتى الترقى والنزول وفي سلوك السالكين» (١٥٦) • وتجدر الاشارة هنا الى ان ابن سينا وجميع الفلاسفة المسلمين القائلين بقدم العالم بالزمان لا يجيزون ، ان يكون الله اولا بالزمان وبعده بمدة جاء العالم ووجد ، على اساسين •

الاول : ان سبقه اى سبق الله للعالم بالزمان يلزم ان يكون الله معطلا عن الفعل والايجاد ، ثم فعل بعد ان ظل غير فاعل • وهذا يخالف دليل

ص ١٠٦ «ان جهنم اخذ قوله بفناء الجنة والنار واهليهما من قوله (هو الاول والآخر) ، وقد كذبه الله بقوله : (لهم فيها يقيم مقيم خالدين فيها ابدا) وغير هذه من الآيات» • ونقل الاشعري في مقالاته جملة اقوال الناس في معنى «الاول والآخر» في هذه الآية كما يلي : ١ - « اكثر الناس ان الآخر معناه : ان يكون الله بعد فناء الدنيا (لا كل الموجودات) ، وان الله بعد الخلق ، فيدخل اهل الجنة الجنة ويدخل الكفار النار ، وان اهل الجنة لا يزالون متباينين ولا يزال الكفار معائبين» • ٢ - « جهنم : ان معنى الآخر : انه لا يزال كائنا موجودا ولا شيء سواه ولا موجود غيره ، وان الجنة والنار تبيدان» • ٣ - «وقال بعض المعتزلة معنى الآخر : انه الباقي • وقال البعض ان «الاول» معناه : انه لم يزل كائنا ولا شيء سواه • مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين» نشر هلمنت رتر • اسطنبول ١٩٣٠ ج ٢ • ص ٥٤١-٥٤٣ وينقل القمى (ت ٣٨١ هـ) في كتاب التوحيد طهران ١٣٧٥ • ص ٢٣١ في باب : معنى الاول والآخر عن ابي عبد الله جعفر الصادق ما يفيد ان معنى الاول انه الذى هو قبل كل شيء • وينقل البلخي المقدسى في كتابه « البدء والتاريخ» نشر كليمنت هوارت باريس ١٨٩٩ ج ٢ • ص ٢٢٢ الخلاف بين المسلمين حول هذه المسألة ومنه قول ابن عباس بصدد اشارته الى الآية ويبقى وجه ربك ••••• : يبقى العرش والكرسى والخلدان والحوار العين» •

(١٥٦) الرسالة العرشية ص ١١ •

العلة التامة عندهم • كما ان افتراض زمان قبل زمان العالم هو خلف لان اشارتنا الى القبل في قولنا : ان قبل الزمان لا يوجد زمان ، وقبل العالم لا يوجد عالم ، هي اشارة الى زمان وهو «القبل» • ولكن وجود الزمان يعنى وجود الحركة ، لان الزمان هو مقياس الحركة ، فلا بد من وجود المتحرك وهو العالم قبل وجود العالم ، ووجود الزمان قبل وجود الزمان ، وهذا مستحيل كنه ، لانه عكس الفرض • فافتراض ان للزمان بداية وللعالم بداية زمانية ، وكذلك افتراض بداية لحركة العالم مستحيل • فثبت قدم العالم ، وقدم حركته بالزمان (١٥٧) •

(١٥٧) يقول ابن سينا في «نجاته» : « ان كان الله - قد سبق - العالم - لا بدايته فقط ، بل بذاته وبالزمان ، بان كان وحده ولا تمام ولا حركه ، فلا شك ان لفظة «كان» تدل على امر مضى ، فقد كان كون تم مضى قبل ان خلق الخلق ، فاذا كان زمان قبل الحركة والزمان • فان لم يسبق الله بامر هو ماض للوقت الاول من حدوث الخلق فهو حادث مع حدوثه • وكيف لا يكون سبق على اوضاعهم بامر ماض للوقت الاول من الخلقة ، وقد كان ولا خلق ، وكان وخلق • وليس كان ولا خلق ثابتا عند كونه كان وخلق • ولا كونه قبل الخلق ، ثابت مع كونه مع الخلق • ولا كان ولا خلق ، هو وجوده مع عدم الخلق بلا شئ ثالث • لانك اذا قلت وجود ذات ، وعدم ذات ، لم يكن مفهوما منه السابق بل قد يصحح ان يفهم مع التأخر ، فانه لو عدمت الاشياء صح وجوده وعدم الاشياء ، ولم يصح ان يقال لذلك كان ، بل انما يفهم السابق بشرط ثالث (١) • فوجود الذات شئ ، وعدم الذات شئ ، ومفهوم «كان» شئ موجود غير المعنيين • وقد وضع هذا المعنى للخالق عز ذكره ممتدا لا عن بداية ، وجوز فيه ان يخلق قبل اى وقت توهم (اى فرض الخصم) فيه انه خلق • فاذا كان هذا كذلك كانت هذه القبلية مقدره مكتمة وهذا هو الذى نسميه زمان ، اذ تقديره ليس تقدير ذى وضع ولا ثبات بل على سبيل التجدد • ثم ان شئت فتأمل اقاويلنا الطبيعية اذ بينا ان ما يدل عليه معنى «كان ويكون» عارض لهيئة غير قارة ، والهئية الغير قارة هي الحركة • فاذا تحققت علمت ان الاول انما سبق الخلق عندهم (اى عند المتكلمين)

(١) الشئ الثالث هو الزمان •

ان حجة الفلاسفة الاولى مبررة - في رأيي - على اساس ما قدمناه من
تعليقات ونصوص فيما تقدم من هذا البحث • اما النقطة الثانية فهي ليست
بشيء ، لان الذي يثبت قدمه هو زمان الله لازمان العالم ، فلا تعلق له بالحركة
او بالعالم المقترض حدوثه •

الثاني والاساس الثاني الذي بموجبه يرفض بعض فلاسفتنا تأخر
العالم عن الله بالزمان او تقدم الله على العالم بالزمان هو انه ، اذا تقدم وجود
الله عن العالم بالزمان فمعنى هذا تأخر العالم عنه بمدة انقضت ، حتى خلق
الله العالم • فالله سيكون زمانيا ايضا وله بداية زمانية • وهذا النقد اختاره ابو
زكريا الرازي ، كما سأوضح فيما بعد مع النقد في الكتاب الثاني •

واستصعاب هذه المشاكل جعل بعض المتكلمين ، مثل الشهرستاني في
القرن السادس الهجري والذي هو احد القائلين بالخلق من عدم في الزمان
يعتقد باستحالة وصف الله وصفا زمانيا : بانه اول و آخر • يقول الشهرستاني
في «نهاية الاقدام» « وجود الباري لا يتطرق اليه جواز ولا عدم • فهو

ليس سبقا مطلقا بل سبقا بزمان معه وحركة واجسام او جسم
«النجاة» • القاهرة ١٣٣١ • ص ٤١٩-٤٢٠ • ونجد هذا ايضا في الهيئات
انشفاء ج ١ • ص ٣٧٨-٣٨٠ • وتجد صيغة هذا الدليل في «تهافت
الفلاسفة» للغزالي نشر بويج • بيروت ١٩٢٧ ص ٦٢-٦٣ (على لسان
الفارابي وابن سينا) • وانظر تعليق ابن رشد على موقف الغزالي منهما
وموقفه هو في تهافت التهافت • بويج • بيروت ١٩٣٠ من ٨٦ فما بعد
او ج ١ • ص ٣٧ من ترجمة فاندنبرغ بالانكليزية ، ١٩٥٤ وملاحظة
رقم (١) عليها ج ٢ • كذلك يمكن الرجوع الى «الاشارات» لابن سينا •
ص ٤٩٩-٥٠٦ • ، و «السماع الطبيعي لابن رشد ضمن «رسائل ابن
رشد» حيدرآباد ١٣٦٥ الفصل الثاني • ص ١١١ • والرازي «حصل
افكار المتقدمين والمتأخرين» القاهرة ١٣٢٣ • ص ١١٢ فما بعد •

الاول بلا اول والآخر بلا آخر ، بل اوله آخر والعكس • اى ليس وجوده
زمانيا» (١٥٨) •

وهذا غير مفيد للشهرستاني طالما انه يجعل العالم متأخرا في الوجود عن
الله تأخرا زمانيا • صحيح ان زمان الله هو زمان ثابت ، ويسميه الشهرستاني
وابن سينا الخ بالدهر والسرمد ، ويسميه ابو زكريا الرازي وافلاطون بالزمان
المطلق او الكلى كما سنوضح في مكانه ، الا اننا اذا عرفنا الزمان بأنه ليس
مقياس المتحرك بل مقياس وجود الشيء الموجود ، يكون بين الله وبين وجود
العالم المحدث عند الشهرستاني اقول يكون بينهما زمان ومدة لم يكن الله فيها
فاعلا ، فيخالف هذا دليل العلة التامة ولزوم الترجيح بلا مرجح ، كما سبق
واوضحت في عدة مناسبات من هذا البحث واستشعار هذه الصعوبة هو
الذى جعل المعتزلة يختلفون في تحديد معنى «قديم» كصفة لله • كما يخبرنا
الاشعري في «مقالاته» وفيما يلي اقوالهم في هذا الصدد :

«معنى قديم عند عباد بن سليمان • قال : معنى قولنا ان الله قديم ، انه
لم يزل ، ومعنى انه لم يزل انه قديم • وانكر عباد القول بان الله كائن متقدم
للمحدثات وقال : لا يجوز ان يقال ذلك • وقال الجبائي : الله قديم مغناه
انه لم يزل كائنا لا الى اول ، وانه المتقدم لجميع المحدثات لا الى غاية • وقال
بعض البغداديين - من المعتزلة - معنى قديم انه اله • وقيل معنى قديم اثبات

(١٥٨) الشهرستاني : «نهاية الاقدام في علم الكلام» • تصحح الفرد
غليوم مع الترجمة الانكليزية • اكسفورد ، ١٩٨٤ • ص ١٩ • ويقول
صاحب مخطوط «المقترح على كتاب الارشاد» بصدد كلامه عن معنى
«القديم» بانه : ما مضت عليه ازمان كثيرة وهذا غير جائز بالنسبة
لله لانه لا يقع عليه الزمان» • (Cambridge, Add. 3262)
ص ٥٨ • ونجد هذا عن الدواني : في شرحه للمواقف «ضمن كتاب محمد
عنده السابق» • ص ٦٤ •

قدم لله كان به قديما • وحكى عن بعض المتفلسفة انه كان لا يقول ان البارى قديم • وكان معمرا لا يقول ان البارى قديم الا اذا اوجد المحدثات» (١٥٩) •

ونعود الى النصوص التى وعدنا بتقديمها عن كتب ابن سينا تماما للبحث • لقد رأينا ان ابن سينا يبين معنى ان يكون الله الاول والآخر ثم يقول بعد هذا في نفس «الرسالة العرشية» :

«فاذا عرفت هذا (اى معنى قدرته و ارادته وعلمه) ، فان جميع ما سواه هو فعله ، وانه صدر عنه لذاته - اى ليس لتوقف على زمان او غرض - ، وانه لا يشترط ان يسبقه عدم وزمان لان الزمان تابع للحركات وهو من فعلها • نعم يشترط سبق العدم الذاتى لان كل شىء هالك ومنعدم - في نفسه اى باعتباره ممكنا بذاته - وانما وجوده منه تعالى • والذى لذاته يكون سابقا على ما يستفيد من غيره • فاذا كل شىء سوى البارى تعالى يسبقه الدم على الوجود ، سبقا ذاتيا لازما ، لا زمانيا • والفاعل الذى يفعل لذاته اشرف واجل من الفاعل الذى يفعل لسبب طارىء أو عارض» (١٦٠) • وبعد ان يوضح ابن سينا في نفس الصفحة انه يريد بهذا القول : ان الله لا يتوقف فعله على زمان هو اولى بالفعل - كما يرى المتكلمون - ، ولا على حدوث غاية او غرض لم يكونا في الازل ، او تجدد شىء لان كل هذا يعنى تغير الله ، يقول «فالذات اذا لم يصدر منه شىء وبقي على ما كان ، فلا يصدر عنه اذا • واذا صدر فلا بد من تغير لذاته بحدوث ارادة أو طبع او شىء مما يشبه هذا وهذا محال» (١٦١) • ثم يختم ابن سينا كلامه في هذا الصدد بقوله : فالكلام المليخى واللفظ المنقح ان يقال ان الله تعالى هو القديم فحسب ، لانه غير مسبوق بعدم وليس

(١٥٩) «مقالات الاسلاميين» • ج ١ ص ١٨٠ ، ج ٢ • ص ٥١٨ •

(١٦٠) الرسالة العرشية : ص ١٣-١٤ •

(١٦١) الرسالة العرشية • ص ١٤ •

وجوده من غيره ، والحادث ما سواه ، لانه مسبوق بالعدم ووجوده بالاول
عظمت قدرته» (١٦٢) .

اكون بهذا قد انتهيت من عرض رأى ابن سينا في الموضوع . وقد
نجد عن تلميذه بهمنيار بن المرزبان ترديدا لاقوال استاذة . والذي يهمنا
من رسالتيه - وهى كل ما تبقى لنا من كتاباته - قوله في رسالته المعنوية
«رسالة في مراتب الموجودات» قوله : «المعلول لا يصح ان يوجد من دون
العلة» (١٦٣) ، وبعد وجوده لا يستغنى عنها (١٦٤) ، والا يصير لو استغنى
عنها بعد وجوده واجب الوجود بذاته بعد ان كان ممكنا ومحتاجا الى
العلة» (١٦٥) . والحادث لا يفيد الوجود المعلول الواجبية بذاته ، فان الحادث
ايضا هذه صفة (١٦٦) . وبالجملة لا تأثير للفاعل في الحادث اى في سبق

(١٦٢) الرسالة العرشية . ص ١٥ .

(١٦٣) هذه يتفق عليها متكلمونا وفلاسفتنا .

(١٦٤) كما يرى المتكلمون . ولينذكر القارىء مثل البانى والبنساء الذى
يشبه الفلاسفة به صلة الله بالعالم عند المتكلمين ، وانكار الفلاسفة لان
يصح على الله مثل هذا الشعور .

(١٦٥) وذلك ان بهمنيار يأخذ بنفس تقسيمات ابن سينا والفسارابى
والفارابى للموجودات اى الى ممكن الوجود بذاته ، وهو ما يمكن ان
يوجد او لا يوجد واذا وجد فلا بد له من موجد ، الى واجب الوجود
بذاته وهو الله ، الى واجب الوجود بغيره وهو الممكن الوجود بذاته
اذا كان متعلقا بعلة دائمة اى واجبة الوجود بذاتها .

(١٦٦) معنى الحادث عند المتكلمين كما يفهمه الفلاسفة : ان يكون الشيء
قبل وجوده مسبوقا بالعدم وهذه صفة الممكن عند الفلاسفة . والامكان
ليس فعل الله ، اى كون الشيء ممكنا امر لذات الشيء الممكن وكذلك
الاستحالة اى كون الشيء مستحيلا هو ليس فعل الله اذ كيف يفعل
الله المستحيل انما هو امر لذات الشيء . فاذا كان هذا هو معنى
الحادث والممكن فكيف يكون الحادث سببا في اعطاء المحدث او المعلول
صفة الوجود بالغير ؟ فاذا لم يكن فعل الله اعطاء الشيء صفة الحادث
والامكان ، فان فعله انه يجعل الممكن واجب الوجود دائما ، اى يجعل
وجوده دائما مع وجود الله ، ومتلاشيا - اى يرجع الى الامكان - والعدم -
حالما ينفك تعلق الله به بزوال العلة او ما يشبه ذلك .

العدم اى في كون مثل هذا الوجود مسبوق بعدم بل هذا له من ذاته ، وماله من ذاته فلا سبب له» (١٦٧) •

النتيجة :

من كل ما تقدم يتضح ان موقف فلاسفتنا الفيضيين وجميع من يقول بحدوث العالم بالذات لا بالزمان يمكن ان يلخص بما يلي :

١ - يعترفون بان للعالم محدثا وموجدا • فهم بعيدون عن المذاهب المادية والالحادية البحتة • ولكنهم يرون ان الله اوجد العالم ، على طريق الابداع ، من لا شيء منذ الازل ، فالعالم قديم بالزمان محدث بالذات •

٢ - الفاعل عندهم لا يشترط فيه ان يكون متقدما على مفعوله بالزمان •

٣ - الله فاعل مختار • وليس من شرط الفاعل المختار ان يكون غير فاعل منذ الازل ، كما ليس من شرطه ان يفعل منذ الازل • ولكن بما ان الله كامل اى علة تامة ، فان مفعوله لا يتأخر عنه بالزمان • ولا يتعارض هذا مع كونه مختارا ، لان الموجبات التى تجعل الله فاعلا او غير فاعل ليس كونه مختارا فقط ، بل مجموع ما يليق به من ذات وصفات واعتبارات • فلما كان

(١٦٧) رسالة في مراتب الموجودات • ضمن «رسالتان فيما ما بعد الطبيعة»

نشرها مع تعليقات بالالمانية Dr. Salamon Poper (مع نص عربى) •
ليبزج ١٨٥١ • ص ١٨-٢٠ • والرسالة في خمسة فصول تعرض لنظرية الفيض ومقدماتها • اما الرسالة الاخرى وعنوانها «رسالة في موضوع علم ما بعد الطبيعة» فهى تضم (١٢) فصلا اشير فيما يلي الى ما يقابل ما سبق اهتمامنا به من اراء الفارابى وابن سينا في هذا البحث :

- ١ - حد الواجب والممكن والممتنع فصل ٥ ص ٥-٧ •
- ٢ - في المتقدم والمتأخر وانواعها فصل ٦ ص ٧-٩ •
- ٣ - سبق الامكان لوجود الممكن فصل ٨ ص ١١-١٢ •
- ٤ - ماهية واجب الوجود عين انيته • فصل ١١ • ص ١٦ •

كاملا وتام الشروط للفعل منذ الازل ، ولا يدحقه التغير ، كان - مع انه مختار - فاعلا منه الازل (١٦٨) .

٤ - الفاعل معنى عام يشمل الفاعل العاقل الشاعر بفعله وغير العاقل .
والله فاعل عاقل ولكن فعله على وتيرة واحدة .

٥ - المهم في معنى الحدوث ليس ان يتأخر المحدث عن المحدث بالزمان ، بل المهم مصدر الماهية نفسها ، اى مصدر وجود المحدث . فالمهم اذا الحدوث بالذات لا الحدوث الزمانى .

٦ - وجدوا ان جعل الحاجة الى الله مردها الحدوث اى ايجاد الشيء في زمن مخصوص بعد ان لم يكن ، يجعل الله كالبانى والبناء . فارادوا ان يجعلوا حاجة الموجودات الى الله دائمة ، فنظروا في طبيعة الموجودات ، فوجدوها ثلاثا ، امكان بالذات ، ووجوب بالذات ، ووجوب بالغير . فجعلوا الحاجة الى الله الامكان ، لان ما طبيعته الامكان لا ترتفع حاجته الى موجوده دائما . وبما ان الامكان ازلى ، والله كامل الشروط منذ الازل كذلك ، اصبح العالم واجب الوجود بغيره ، اى ازلى الوجود زمانا محدثا بالذات ، من حيث انه استمد ويستمد وجوبه ووجوده من الله .

٧ - ولا يعنى هذا الايجاد الازلى اذ الله فاعل مطبوع - غير مختار - لان الفاعل المطبوع قد يتأخر فعله عنه ولو لحظة ، كما اشار الرازى الطيب

(١٦٨) انظر : الفارابى . الدعوى القلبية . ص ٤ ، وعيون المسائل ص ٥٨ .
وقارن هذا مع اراء السجستاني والنوشجاني التى اقتبسها التوحيدى
في المقابسات رقم ١٠ ص ١٤٩ فما بعد ، رقم ٢٩ ص ١٨٣ ، ٣٦ ص ١٩٦ .
وانظر : ابن سينا : النجات ص ٤٤٩ ، والشفاء الالهيات ج ١ ص ١٧٣ ،
ج ٢ ص ٤٠٢ - ٤٠٣ والاشارات . القسم الثالث . ص ٤٩٩ ، ابن
رشد تهافت التهافت . ص ٥٢٦ ومحمد عبده في حاشيته على
الدوانى ص ٤٥٦ .

عرضه لمذهبه الذي سنوضحه في موضع لاحق في الكتاب الثاني •

ب - ليس حد الفاعل المطبوع : انه الذي فعله معه ، بل حده : انه الذي لا يفعل عن اختيار وروية مثل الشمس والضيء • وعليه فمع ان فعل الله معه دائما فانه فاعل مختار ، ولكن لا كاختيارنا ، لان فعلنا متبدل ، لانه متوقف على تبدل اغراضنا ، اما فعل الله فهو واحد ودائم ، لانه كامل لا يدحقه التغير ولا ينقصه شرط او ما شابه •

٨ - ان اقوى دوافع اصرار الفلاسفة على حدوث العالم بالذات وقدمه بالزمان هو : أ - دليل العلة التامة • ب - وما يترتب عليه من استحالة الترجيح بلا مرجح ، وقد مرت علينا صيغ متعددة ذات معنى واحد لهذا الدليل عند ابن سينا والفارابي وسواه • ونظرا لاهمية هذا الدليل اضعه بين يدي القارئ بصيغة مبسطة مختصرة مع ما ينتج عنه من استحالة الترجيح بلا مرجح مع الاشارة الى جميع مصادره ومواضع وروده المهمة في الكتب الاسلامية :

١ - صياغة مبسطة لدليل العلة التامة :

اذا كان الفاعل تاما وكاملا من جميع الوجوه فانه ، اما ان يكون فاعلا منذ الازل ، واما ان لا يفعل على الاطلاق • لانه اذا اصبح فاعلا او مريدا او عالما بعد ان لم يكن كذلك في الازل ، فان هذا يعنى انه لم يكن فاعلا او علة تامة ، وانه لا بد من حدوث تغير فيه لسبب من الاسباب الطارئة لم يكن معه منذ الازل ، مثل تجدد غرض ، او استكمال نقص ، او حصول صفة ما كعلم او ارادة او قدرة ، لم تكن حاصلة له في الازل • وهذا السبب الطارئ هو الذي جعله

بفعل بعد ان لم يكن فاعلا منذ الازل (١٦٩) .

ب - استحالة الترجيح بلا مرجح وملخصه :

لا يمكن ان يكون الله الا كاملا منذ الازل وارادته شاملة للمكنات جميعا على حد سواء ، فلماذا تختص ارادته بزمن معين يتبدى فيه العالم ، مع ان الازمان كلها متساوية ؟ وبأسلوب آخر لماذا لا يريد الله ايجاد العالم منذ الازل ؟ ولماذا يؤخر ايجاده الى الزمن الذى ابتداء فيه ؟ فلا بد من مرجح طارئ على الله وصفاته بما في ذلك الارادة ، جعله يرجح وقتا على باقى الاوقات . ولكن الاوقات جميعها متساوية بالنسبة لجواز ان يخلق الله فيها العالم ، فاما ان يخلق الله العالم منذ الازل ، وفي هذه الحالة لا حاجة الى المرجح ، واما ان يخلقه ليس منذ الازل بل في وقت لاحق وبعد مرور

(١٦٩) تجد هذا في : الفارابى : آراء اهل المدينة الناطقة ، ص ٣٨ ، السياسة المدنية ، ص ١٧ ، ١٨ ، التعليقات ، ص ٦ ، الفصول المدنى ، ص ٦٥-٦٦ .

ابن سينا : النجاة ، ص ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٤١٦-٤١٧ ، الهيات الشفاء ج ٢ ص ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ (وفي معظم المواضع التى اقتبسناها عن ابن سينا سابقا) من كتبه الاخرى ولا حاجة الى التكرار هنا .
بهمينيار : رسالة في مراتب الموجودات . ص ٢١ .
ابن رشد : تهافت التهافت . ص ١٣٦ .

ابو البركان البغدادي : المعتبر . ج ٢ . ص ٣٣-٣٤ . كما يمكن التعرف على هذا الدليل مع النقد في : تهافت الغزالي ، ص ٢٣ فما بعد ، ٢٦ فما بعد و «مقاصد الفلاسفة» للغزالي . ص ٢٠٣ وعند الشهرستاني : الاقدام ص ٣٦ فما بعد ، والرازي : محصل افكار المتقدمين والمتأخرين ، ص ٩١ ، و «الاربعين» . ص ٤٢ فما بعد ، وعند الدواني في شرحه للعقائد العضدية . ضمن كتاب «محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين» الذى يضم الكتابين السابقين العقائد مع شرحها للدواني مع تعليق محمد عبده نشر سليمان دنيا . القاهرة ، ١٩٥٨ . ص ٤٣-٤٧ .
وزادة : تهافت الفلاسفة القاهرة ١٣٠٢ . ص ١٠٦ ، ١١٠ .

أوقات طويلة ، وفي هذه الحالة فلا بد من حدوث شيء جعله يرجح الفعل على عدمه واختيار هذا الوقت دون سواه من بين الاوقات المتساوية (١٧٠)؛

(١٧٠) اضافة الى المواضيع التي نجدها في النوت السابقة من هذه الصفحة سأشير فيما بعد الى شرح هذا المبدأ وموقف المتكلمين منه وسنتعرف على مصادره في كل العصور الاسلامية ومن قال به . ونكتفى هنا بالاشارة الى انه متضمن في الكتب التالية المتقدمة نسبيًا والتي تنسبه بعضها الى متكلمين ومفكرين مسلمين منذ مطلع القرن الثالث الهجري : الخياط : الانتصار . نشر نيبرج القاهرة ، ١٩٢٥ . ص ٣١ ، رسائل اخوان الصفاء ، نشر الزركلي . القاهرة ١٩٢٨ ج ٣ . ص ٣٣٨ ، مقالات الاسلاميين . ج ١ . ص ٢٨٣ ، الماتريدي : التوحيد ، مخطوط (Cambridge, Add. 3651.)

ص ٩٤ . بالاضافة الى ان للرازي الطبيب كتابا «في انه لا يجوز ان يفعل الله بعد ان كان غير فاعل» . الفهرست ، القاهرة . مطبعة الاستقامة بلا تاريخ . ص ٢٦٢ .

القِسْمُ الثَّانِي

عَلَّمَ الْمَشَقَّةَ

الفصل الاول

نقد المتكلمين لدليل العلة التامة ونتائجه خصوصا مسألة الترجيح :

من خلال النصوص والتعليقات عليها ، لا بد ان القارىء اصبح على شيء من الدراية بموقف المتكلمين العام من مسألة « اصل العالم » . واذا كان هذا البحث ليس مكرسا لعرض مدارس المتكلمين في المسألة ، وانما يقتصر على تحديد موقفهم من « دليل العلة التامة » ، ويقدم عرضا موسعا للنظرية العامة التى تجمع جميع مدارس المتكلمين واعنى بها القول بان العالم « مخلوق من العدم في الزمان » Creation Exnihilo In Time ، فان خير ما نبتدىء به هذا الموقف ان نحاول تركيز موقف المتكلمين من المسائل التى سبق ان لخصنا بها موقف الفلاسفة « القدميين » في « النتيجة » ، حتى يتسنى لنا بعد ذلك التصدى لرأيهم في « دليل العلة التامة ومسألة الترجيح » بصورة تفصيلية .

والاحظ ابتداء ان الفلاسفة السابقين والمتكلمين يتفقون على ما يلى :-

- ١ - ضرورة ان يكون العالم محدثا من عدم .
- ٢ - وان يكون محدثه فاعلا مختارا .
- ٣ - وان يكون العالم متأخرا عن الله .
- ٤ - وان الله كامل .

ولكن البون شاسع بين الفريقين عندما نريد تحديد معنى كل نقطة من

هذه النقاط. عند كل منهما .

فاولا : يصير المتكلمون على ان الحادث هو الذى لم يكن - ولو جزء من
 الثانية - مع الله منذ الازل ، ثم كان • ومعنى هذا وجوب ان يتقدم الفاعل على
 فعله تقديما زمانيا ، او ان شئنا قلنا ان يكون الله وحده ، ثم يكون ومعه العالم •
 اى ان المتكلمين اصروا على الحدوث بالزمان (١) • اما الفلاسفة فقد رأينا
 انهم يجعلون سبق العدم للشئ سبقا ذهنيا فقط ، لان المعلول مع الله بالزمان
 وبتأخر الزمانى يعارض مبدأ العلة التامة •

وثانيا : ان كل ما يكون فعله معه دوما فهو فاعل مطبوع (٢)
 Disposed by Nature ، اى غير مختار ، ولذلك قالوا : ان المختار هو
 الذى يكون غير فاعل ثم يفعل ، لاننا متى قلنا انه فاعل منذ الازل فقد رفعنا
 عنه امكانيته او قدرته على الاختيار بين ان يفعل وبين ان لا يفعل (٣) •

- (١) يقول الخياط : « ان الله يفعل العدل لطبعا فيلزمه انه لم يزل فاعلا ،
 بل باختيار منه • والمختار هو الذى ان شاء فعل وان شاء لم يفعل •
 ولا بد له من ان يتقدم افعاله ويكون موجودا قبلها » • الانتصار ، ص ٣٩
 وانظر كذلك : الفيومى : الامانات والاعتقادات لبيد ١٨٨١ • ص ٤٠ ،
 والشهرستاني : نهاية الاقدام ص ١١ • وابن تيمية : الرد على
 المنطقيين ، نشر عبدالصمد شرف الدين • بومبى ١٩٤٩ • ص ٣٤٧ •
- (٢) يقول البغدادي : « وفيهم - اى الكفرة - من قال مع ذلك - اى مع قدم
 العالم - بصانع قديم كما ذهب اليه ابن قيس - اى ابرقلس - وذعب
 عليه من جهله وجوب كون الفاعل سابقا لفعله » • اصول الدين اسطنبول
 ١٩٢٨ • الاصل الخامس عشر • ص ٣١٩ وانظر كذلك كتابه الفرق
 بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم • نشر محمد بدر • القاهرة
 ١٩١٠ • ص ١٩١٠ والجوينى : الارشاد ، نشر ، لوسيانى • باريس
 ١٩٢٨ • ص ١٦-١٧ ، وابن حزم : الفصل في الملل والنحل
 القاهرة ١٣١٧ ج ١ • ص ١٠ • والاسفرائينى • التبصير في الدين ،
 نشر عزت العطار • دمشق ١٩٤٠ • ص ٧٠ ، والشهرستاني ، الملل
 والنحل ، نشر محمد فتح الله بدران : القاهرة ١٩٥٦ • ج ١ ص ٥٦ •
- (٣) انظر نوت (١) من هذه الصفحة • وقارن بنوت ١٦٨ ص ١٠١ كما
 مر سابقا •

ولذلك وهذا ثالثا : لأبد ان يتأخر العالم عن الله بالزمان • ولا يتعارض هذا عندهم وهذا رابعا مع كماله ، لان مقتضى كماله ان لا يكون معه شيء في الازل • والقول بوجود العالم معه في الزمان يعنى وجود قديم معه ، وكل قديم اله^(٤) • وقد انتقد متأخروا المتكلمين هذا المبدأ لان الالهية شيء زائد على القدم بالزمان ، فانه يلزم ليكون الشيء الها - الى جانب صفة القدم - ان يكون عاقلا حيا قادرا الخ ، فكل اله قديم ولا ينعكس^(٥) • ثم قال المتكلمون للفلاسفة وهذا خامسا : اذا صار الله فاعلا مطبوعا فليس يسمى فاعلا • لان معنى الفاعل عندنا انه عاقل شاعر بفعله^(٦) ، والفاعل المطبوع ليس حيا ولا شاعرا بفعله • ولذلك قصرنا الفعل على الفاعل ذى العقل والحياة •

ولزم عن ذلك - وبما ان الله مختار بالمعنى السابق عندهم - انهم اعتبروا الله هو الفاعل الوحيد ، واتجهوا لذلك اتجاهين : اتجاه جعل الله هو الفاعل الوحيد ، فابطلوا القوى الطبيعية مثل ان النار تحرق ، وابطلوا قوانين السببية الطبيعية ، وارجعوا كل ما يظهر من تبريد الثلج واحراق النار الى فعل الله المباشر ، فتنهوا الى القول بنظرية غريبة اسميتها «بالخلق المتجدد» ، والتي أدت بهم الى مخالفة الحس والمعتاد ، وانكار الثبات ، والى

(٤) فصلت هذا المبدأ ودواعيه ونتائجه ومصادره في مقالى «مشكلة الصفات وعلاقتها بفكرة المعدم» مجلة كلية الاداب العدد التاسع ١٩٦٦ •

(٥) يقول التفتازانى في «شرح العقائد النسفية» الاستئانة : ١٣٢٦ « ولا استحالة في قدم الممكن اذا كان قائما بذات القديم واجبا له غير منفصل عنه • فليس كل قديم الها ، حتى يلزم من وجود القدماء وجود الالهة • » وبعلق الكستلى في نفس الموضوع في حاشيته على «شرح العقائد النسفية» هذا بقوله : «قوله : فليس كل قديم الها حتى يلزم من وجود القدماء وجود الالهة ، يعنى ان البرهان انما قام على امتناع تعدد الالهة ، فكل مالم يستلزم تعددها لا يكون ذلك البرهان منافيا له ، فلا دلالة على امتناع تعدد القدماء •••» ص ٧٨-٧٩ •

القول بان العالم لايبقى لحظتين او زمانين ، بل يخلقه الله ثم يعدمه في كل لحظة . واما الاتجاه الثانى فجعل اصحابه الله هو الفاعل الوحيد كذلك ، ولكنه يفعل بوسائط هى القوى الطبيعية في الاشياء . فلم يطلوا قوانين السببية وان لم يوجبوها^(٧) . ويمثل الاتجاه الاول الاشاعرة . ويمثل الاتجاه الثانى معظم المعتزلة .

والملاحظ ان علم الكلام ومن يسايره في رفض قول الفيضيين بالقدم الزمانى للعالم ، اتخذ مواقف متعددة من اقوال الفلاسفة هذه . وكانت اكبر مشكلة تواجههم هى مشكلة العلة التامة ، ومشكلة الحاجة الى المحدث اهى الامكان ؟ ام الحدوث ؟ فاما عن الثانية : فاننا نرى ابتداء من الغزالي ان المتكلمين صاروا يعتمدون على مقولة «الامكان» بدلا من الحدوث^(٨) . وذلك لاقتناعهم

(٦) لقد بينا معنى الفاعل وهو يشمل الطبيعة مثل النار الخ عند ابن سينا والفلاسفة اعلاه ص ٧٣ . حواشى ١١٢ ، ١١٤ . وفيما يلي مصادر قول المتكلمين في معنى الفاعل انه الحي العاقل الخ ، الفيومى : الامانات . ص ٥٨ ، البلخي : البدء والتاريخ ، ج ١ . ص ٧٠ ، ج ٤ . ص ٢٥ . والباقلانى : الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به . نشر محمد زاهد الكوثرى . القاهرة ١٩٦٣ . ص ٣١ . والتهافت ص ٩٦ فما بعد - ١٠١ . وتهافت التهافت ص ١٤٨ فما بعد - ١٦٠ حيث نجد تفصيلا للمسئلة من الفلاسفة والغزالي وموقف ابن رشد منهما . وحول موقف الرازى الطيب ، وافلوطين وشراح ارسطو ، وارسطو في معنى الطبيعة ، وهل تفعل بنظام ام لا ، وتفسير ذلك : الاطروحة القسم الثانى . الفصل الثانى . ص ٢٧٧ حاشية رقم (١) .

(٧) اوضحت هاتين المدرستين ودواعيهما ومقدماتهما ونتائجهما لاول مرة في تاريخ علم الكلام في الفصل الثالث من القسم الثانى من اطروحتى بعنوان : مدارس المتكلمين في خلق العالم» . ص ٣٢٣ فما بعد .

(٨) يقول الكستلى (المتوفى سنة ٩٠١ هـ) في حاشيته على شرح العقائد العضدية للتفتازانى : « ولهذا ترك المتأخرون اعتبار الحدوث في علة الحاجة ، وجعلوا الامكان مستبدا في ذلك ، فلزمهم ترك ما تقرر فيما بينهم من ان كل ممكن محدث اى مخرج من العدم الى الوجود ، وان القديم لا يكون

معلولا البتة ، وان الله مختار في جميع افعاله (١)
اذ الممكن القديم ، صفاته مثل ذاته ، يجب استنادها (٢)
اليه بضيق الايجاب . فيكون الحدوث وكذا القدم منقسما الى الذاتي
والى الزماني « ويبدو ان التفتازاني وهو من المتكلمين يأخذ بالامكان
بدل الحدوث كما يلاحظ الكستلي فيقول : « لكنه اى التفتازاني - بنى
كلامه على ما صح عند المحدثين من المتكلمين من قوة قول الاقدمين ان علة
الحاجة هو الامكان بالضرورة وضعف ما ذهب اليه قدهاء المتكلمين
من ان الحدوث هو العلة او شرطها على اختلاف ما بينهم » ص ٥٩ .
المصدر السابق . ص ٦٧ . ويعدد صاحب مخطوط «رسالة في الكلام»
واظنه فخر الدين السباكي الطرق في الاستدلال بوجود الله او العلة
الى الموجد فيحصرها في ثلاث :

(١) طريقة المتكلمين :- قالوا علة الحاجة الى المؤثر انما هو الحدوث
فقط ، او الامكان مع الحدوث . فالاولون احوالوا تعدد اقداماء لزعمهم
انه يوجب تعدد الواجب وتقرير طريقتهم ٠٠٠٠ . واما الفريق الاخر ،
منهم فهم الذين قالوا علة الحاجة هي الامكان لكن بشرط الحدوث .
وهذا قريب من الاول توجيهها وتقريرها .

(٢) طريقة الالهيين وهي الامكان فقط مع النظر الى نفس الموجود من
حيث هو موجود .

(٣) طريقة الطبيعيين وهي الامكان مع النظر الى طبيعة الحركة . الخ
«مخطوط رسالة في الكلام» Or. 452 . ورقة ٢ ص ٣ . ويقسمهم
الطوسي في «شرح للاشارات» تقسيما ثلاثيا على هذا النمط ايضا .
«شرح الاشارات» على هامش الاشارات . ج ٣ . ص ٤٨٣ ح ص . ،
ص ٤٨٥ فما بعد نس وينسب ابن سينا في «النجاة» ص ٣٤٧ ، الاعتماد
على الحدوث لا الامكان كعلة الحاجة الى الله ، الى «ضعفاء المتكلمين» .
ويعيد ابن تيمية شبيها من التقسيم الثلاثي في «الرد على المنطقيين» ص
٣٤٥ فما بعد . انظر الملحق رقم (أ) لمعرفة التفاصيل . ويقول ابن
تيمية ان الرازي المتكلم أخذ بالامكان بدلا من الحدوث . (الموضع
السابق) والحق ان الرازي والغزالي والشهرستاني يميلون في بعض
كتبهم الى الامكان مع اشتراط تقدم الله بالزمان (تفصيل هذا في الفصل
الثاني من اطروحتي ص ٣١٥-٣٢١ . وقد اشار ابن خلدون الى

- (١) تخريجات الكستلي صحيحة على اساس المعاني التي يفهم بها
المتكلمون الاختيار والحدوث الخ . كما اوضحنا سابقا .
(٢) في الاصل «اذ الممكن القديم كصفاته يجب اسناده» .

بنقد الفلاسفة لهم بمثال البناء والبناء الذى اوردناه سابقا^(٩) ، اى بان القول بان الحاجة الى الله هى لاحداث العالم فقط ، يجعل هذه الحاجة غير لازمة بعد احداث الله للاشياء • ولذلك استبدل المتكلمون المتأخرون الجسدون بالامكان ، او الاحداث بالممكن • فجعلوا الحاجة الى الله دائمة ولكنهم أصروا - مع هذا الانعطاف نحو الفلسفة^(١٠) وتبنى اقوال خصومهم - الى وجوب ان يتقدم الله الاشياء تقدما زمانيا ، لان ازالة الامكان لاتعنى امكان الازلية^(١١) •

طريقتين للمتكلمين سماها طريقة المتقدمين وطريقة المتأخرين مقدمة ابن خلدون : (مطبعة مصطفى محمد القاهرة بلا تاريخ) ص ٤٦٦ ضمن الفصل العاشر من الباب السادس والفصل «في علم الكلام» •

(٩) اشرت سابقا الى هذه الفكرة في النصوص المقتبسة عن ابن سينا «تسع رسائل» انظر اعلاه نوت ٥ على ص ٢١ وعن «عيون المسائل» للفارابى ، انظر اعلاه نوت ٤٦ ص ٣٢ • ونجد هذا التشبيه بالبناء والبناء عند ابن سينا في «الاشارات» ج ٣ ، ٤ ص ٤٨٥-٤٨٦ • وفي «شرح الاشارات» للطوسى • ص ٤٨٥ • وعند السهروردى - شهاب الدين يحيى بن حبش - : «التلويحات اللوحية والعرشية» ضمن مجموعة في الحكمة المشرقية • تصحيح هنرى كوربان ، اسطنبول ، ١٩٤٥ ، ص ٤٢ ، وكذلك كتابة «المشارع والمطارحات» رقم (٢) نفس المجموعة • ص ٤٠٦ • وهذه هى فكرة الاسكندر الافروديسى في مقاله «في ان الفعل اعم من الحركة» ضمن «ارسطو عند العرب» نشر بدوى ، القاهرة ١٩٤٧ ص ٢٩٤ •

(١٠) لا مجال لتوضيح مظاهر هذا الانعطاف في مواقف علم الكلام في المسائل الرئيسية نحو الفلسفة وقد اوضحت مظهره في «اطروحتي» ، الفصل الثانى القسم الثانى ص ٣٢١ فما بعد وكذلك في مقدمة القسم الثانى •

(١١) المراد بازلية الامكان تعنى او لا تعنى امكان الازلية ان المفكرين المسلمين انقسموا الى فريقين : فريق يرى ان ازالة الامكان تعنى امكان الازلية • فمثلا ابن سينا ومن تابعة يقولون : طالما كان امكان الشئ ازليا ، وطالما ان الله علة تامة يجوز تعلقها بالممكن ايجادا منذ الازل ، اصبح ممكنا ايجاده للممكن ازلا بل وجب ذلك • اما المتكلمون

اما عن دليل العلة التامة فنجد الاتجاهات التالية بين المتكلمين وفي الفكر الاسلامي الفلسفي عموما :

أ - اتجه معظم المتكلمين الى نقده • وانصرف جهدهم الى مسألة الترجيح فقدموا اجوبة جديدة •

ب - وجد البعض - خصوصا من المتأخرين - ضعف هذه الاجوبة فقدموا حلا جديدا يقوم على تسلسل المحدثات • وبرز ما يظهر هذا عند ابن تيمية •

ج - اتجه البعض من الفلاسفة الذين لا يميلون الى موقف المتكلمين ولا الى موقف الفيضيين الى حل آخر ، يقوم على افتراض قدماء كثيرون • ويمثل هذا ابو زكريا الرازي واصحاب الهيولي •

وفيما يلي توضيح لهذه المواقف الثلاث • وسأقتصر في هذا الكتاب على توضيح الموقف الاول وموقف الفلاسفة المعارضين • اما بقية المواقف سأكرس لها الكتاب الثاني •

فقالوا : انه مع قولنا بازلية الامكان اي ان الممكن ممكن منذ الازل ، الا ان اعتبارتنا الاخرى التي وصفنا بها الله ، مثل ان يكون مختارا ، وان يتقدم فعله بالزمان ، تقضي ان ازلية ايجاد الممكن الازلي مستحيلة ، لانها تعارض جوهر الله ومقتضياته • فازلية الامكان لايعنى امكان الازلية • وفيما يلي بعض المصادر : ينقل الغزالي على لسان الفلاسفة - اي على لسان ابن سينا والفارابي - قولهم « وجود العالم ممكن قبل وجوده ، اذ يستحيل ان يكون ممتنعا ثم يصير ممكنا ، وهذا الامكان لم يزل اذ لا حال من الاحوال يمكن ان يوصف العالم فيه بانه ممتنع الوجود • فاذا كان الامكان لم يزل ، فالممكن على وفق الامكان ايضا لم يزل » « تهافت » ص ٦٦-٦٧ ، وقد رد الغزالي على هذا ص ٦٧-٦٨ • ونصر ابن رشد قول الفلاسفة السابق ، تهافت التهافت ص ٩٨ فما بعد ، ووجد هذا القول في كتب ابن سينا ، فقد ظهر في النصوص الطويلة السابقة ، عنه وعن الفارابي انهما يجعلان الممكنات ازلية الوجود ، اي ان الشيء الذي صفته الامكان هو على هذه الصفة منذ الازل ، وهو انه يمكن ان يوجد وان لا يوجد على عكس المستحيل •

أ - موقف المتكلمين الناقد : لاتخلو جميع الحلول التي قدمها المتكلمون من هذا الفريق لمشكلة ، لماذا يتأخر فعل الله عنه بالزمان ، مع انه كامل وعلة تامة ومختار ، عن واحد من الاجوبة التالية سواء قبل الغزالي او بعده :

١ - لا بد للفاعل من ان يسبق مفعوله بالزمان • فلا بد من نقطة زمنية يتبدى بها الخلق والايجاد ، ولو اختار اية نقطة قبلها او بعدها لورد السؤال نفسه •

٢ - لا يوجد زمان بين كون الله بلا ايجاد ولا عالم ولا خلق ، وبين كونه ومعها عالم •

وهذه الصفة للشيء من ذاته • ثم يقولون ان العالم ممكن بذاته ولكنه ازل الوجود اى واجب الوجود لانه متعلق بالعلة التامة التي هي الله فازلية الامكان تساوى عندهم امكان الازلية • وبين ابن سينا هذا عن طريق آخر فيقول للمتكلمين : اليس أيجاد الله للعالم قبل الوقت الذي اوجده فيه عندهم جائز ؟ ولا مندوحة من القول انه كذلك • وكذلك هو ممكن الوجود في اى وقت قبل هذا الوقت وهكذا ، فوجوده ممكن ازلا • وقد احتدم الجدل حول هذه المسألة في كتب الكلاميين المتأخرة فنجده عند الشهرستاني : الاقدام ص ٢٠ ، ٣٧-٣٨ ، وزاده : تهافت الفلاسفة ، القاهرة ١٣٠٢ ص ١٥ (وهو تعليق على التهافتين) • يقول زادة : في معرض ردوده على دليل العلة التامة : «والجواب الرابع على اصل دليلهم :- لا نسلم انه ان كان جميع ما لا يد منه في ايجاد البارى تعالى للعالم حاصلًا في الازل ، ان يكون الايجاد حاصلًا في الازل • وانما يلزم ذلك لو امكن وجود العالم في الازل وهو ممنوع • فان الايجاد كما يعتبر فيه وجود المؤثر ، فكذا يعتبر فيه امكان الاثر ، فاذا لم يكن الاثر ممكنا الحصول في الازل ، لم يكن الايجاد حاصلًا فيه ، لا يقال امكان العالم ازل ، والا ينقلب فيكون مستحيلًا (١) الوجود في الازل ، لاننا نقول ازلية الامكان لا تستلزم امكان الازلية • ونجد المسألة بوضوح في «شرح الدواني للمواقف حيث يرى ان ازلية الامكان لا تعنى امكان الازلية • وهذا هو رأى السيد الشريف الجرجاني • ولكن محمد عبده يخطئ قوليهما مؤيدا الفلاسفة : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، ص ٥٥-٥٨ •

(١) في الاصل : ممكن الوجود •

٣ - وجد الله ان ايجاد العالم في الزمن الذي اوجده فيه اصلح
الاقوات .

٤ - الارادة الالهية طبعها الترجيح .

٥ - انكم ايها الفلاسفة المنكرون للترجيح بلا مرجح تقولون بالترجيح
بلا مرجح في جملة من مسائلكم مثل القطبين . . . الخ . وفيما يلي موقف
المتكلمين قبل الغزالي ثم موقف الغزالي ومن جاء بعده .

اولا : قبل الغزالي :- ثمة دلائل على معرفة المسلمين «متكلمين

وفلاسفة» لدليل العلة التامة منذ بداية القرن الثالث الهجري وربما قبل
ذلك (١٢) . فان جهد المتكلمين في اثبات نظريتهم بالخلق من العدم في الزمان
قد انصب على مسألة «الترجيح» وهي ابرز نتائج وتطبيقات مبدأ العلة التامة .
فقد وجد هؤلاء المتكلمين انهم لا يستطيعون ان يقيموا قولهم بحدوث
العالم بالزمان اذا لم يبينوا لماذا لم يفعل الله منذ الازل؟ ولماذا فعله في زمن
محدد لا قبله ولا بعده؟ ويمكن الاشارة الى الحلول التالية مع ذكر الممثلين
وهي حلول ليس من السهل العثور عليها لان الكتب الكلامية قبل القرن الرابع
كان يعوزها التبويب : ولا يجد الباحث جمعا لاجوبة المتكلمين المتقدمين الا في
كتب قليلة منها «اشارات» ابن سينا وشرح الطوسي عليه (١٣) . وكتاب الاربعين
للرازي (١٤) . والتوحيد للماتريدي (١٥) . وفيما يلي ما استقطعت ان اصل
اليه وهو امر قابل لاعادة التنظيم او اضافة حلول جديدة. اذا استجدت كتب
جديدة بعد كتابة هذا البحث :

(١٢) انظر ملحق رقم (س) عن تاريخ مبدأ العلة التامة واصله .

(١٣) نقلنا نصوصهما فيما تقدم . ص ٧٨ حاشية ١٢٦ .

(١٤) الرازي . الاربعين . ص ٤٢ .

(١٥) مخطوط «التوحيد» . كمبرج (Add. 651) ص ٩٢ ، ٩٤ .

١ - يجب الخياط على السؤال لماذا اوجد الله العالم في زمن مخصوص وليس في الازل او في زمن آخر قبل او بعد زمان خلقه بان الله عرف ان ايجاده في هذا الوقت هو اصلح للبشر (١٦) .

ويضعه زاده بهذا الشكل فيقول عن المعتزلة دون ان يسمى احدهم :
« اجاب المعتزلة بان المرجح هو المصالح المتعلقة بايقاع العالم في ذلك الوقت للمكلف فان الله علم انه لو خلق العالم في الوقت الذي خلقه فيه حصل للمكلفين نوع مصلحة ولو خلقه في وقت آخر لم تحصل فلذلك تعلق ارادته بخلقه في ذلك الوقت دون سائر الاوقات» (١٧) .

٢ - وفي رسائل اخوان الصفاء جواب تسببه الرسائل الى عوام الناس «جواب العامى اذا سأل عن حدوث العالم : لم خلق الله العالم بعد ان لم يكن؟ فجوابه : ان في خلقه حكمة وخيرا ، وفعل الحكمة عن الحكيم واجب فلو لم يخلق العالم لكان تاركا للحكمة وفعل الخيرات . فان قال لم خلق في وقت دون وقت؟ فيقال : لانه كان عالما انه سيخلق في الوقت الذي خلق فيه ، فلو خلق قيل او بعد لكان فعله مخالفا لعلمه . فان قيل لم خلقها على هذه الصورة وليس على احسن منها؟ قيل لان هذه الصورة هي الاحسن والانقى» (١٨) .

وينسب الاشعري في مقالاته هذا القول للحسين بن محمد النجار الذي كان يقول : «ان الله لم يزل يريد ان يكون في وقته ، ما علم انه يكون

(١٦) الخياط : الانتصار ص ٣١ ، وهذا الجواب ينقله الفارابي : فصول المدني . ص ٦٥ ، وابن سينا «الاشارات» ج ٣ . ص ٥٣٦ مع تعليق الطوسي عليه نفس الصفحة ، والاربعين للرازي ايضا . ص ٤٢ .

(١٧) زادة : تهافت الفلاسفة . ص ١٢ .

(١٨) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

وقته ، مريدا ان لا يكون ، ما علم انه لا يكون» (١٩) . ونجد صيغة ثانية في كتاب «الاربعين» للرازي : «علم الله قديم تعلق بان العالم في اى وقت يوجد . والارادة تعلق بالشيء على وفق العلم ، فلهذا السبب تعلقت ارادة الله بهذا الوقت» (٢٠) .

٣ - واجاب الكعبي والماتريدي ، وهما من اوائل المتكلمين ، الاول معترلى ، والثانى صاحب طريقة وسطى في الكلام شبيهة بالاشعرية ومقارنة لها في الوجود : بانه لم يكن ثم زمان قبل وجود العالم ، فلا يصح السؤال لماذا لم يخلق الله لحظة قبل اللحظة التى اوجد فيها العالم (٢١)؟

٤ - وتذكر كتب الاشاعرة وسواها عن الاشعري ، وهذا ما يمكن ان نجده في كتبه ايضا ، الجواب المهم الذى سيردده جميع الاشاعرة مسن بعده بما فيهم الغزالي وهو : ان ارادة الله القديمة اقتضت ايجاد العالم في الوقت الذى وجد فيه ، ليس لغرض او دافع خارجي من وقت او مصلحة ، بل لان الارادة من شأنها التخصيص او الترجيح (٢٢) .

(١٩) «مقالات الاسلاميين» ج ١ . ص ٢٨٣ وكذلك : الاسفرائيني «التبصير في الدين» ص ١٤٨ .

(٢٠) الرازي «الاربعين» ص ٤٢ .

(٢١) نسبة هذا القول الى الكعبي عن الطوسي في شرح الاشارات : انظر اعلاه ص ٧٨ . حاشية ١٢٦ . اما نسبه الى الماتريدي فعن كتاب الاخير «التوحيد» ص ٩٤ ، انظر كذلك : زاده «التهافت» ص ١٢ .

(٢٢) ابن ابي الحديد - في شرح نهج البلاغة - تحقيق محمد ابو الفضيل ابراهيم . القاهرة ١٩٥٩ . ج ٥ . ص ١٦٣ والمشهري «الملل والنحل» ج ١ . ص ٨٦ . ويمكن ان نجد هذه الفكرة في «اللمع» للاشعري نفسه . نشر حمودة غرابة القاهرة ١٩٥٥ . ص ٤١ . وقد اعاده اتباعه : الباقلاني : التمهيد نشر مكارثي . بيروت ١٩٥٧ . ص ٣٥ - ٣٦ . وعبدالقاهر البغدادى : الفرق بين الفرق . ص ٣٢٥ ، والغزالي : تهافت الفلاسفة ص ٢٦ و «الاقتصاد في الاعتقاد» ص ٤٤ ، و «معراج السالكين» ضمن «فرائد اللآلىء في رسائل الغزالي» نشر زكي الكردي القاهرة ١٣٤٤ ص ٤٩ وكتابه «الاربعين في اصول الدين» ، القاهرة

يقول ابن ابي الحديد في «شرح نهج البلاغة»: «ومذهب الاشعري واضحا ، ان ارادته القديمة تعلقت بايجاد العالم في الحال الذي وجد فيها لذاتها ، ولا لغرض ولا لداع ، وما كان يجوز الا يوجد العالم حيث وجد ، لان الارادة القديمة لا يجوز ان تتقلب وتتغير حقيقتها . وكذلك القول عندهم في اجزاء العالم المتجددة من الحركات والسكنات والاجسام وسائر الاعراض» (٢٣).

اما في «المثل والنحل» للشهرستاني فنجده ينسب للاشعري ما يلي: (٢٤)
 « لا معنى للمريد الا انه ذو ارادة . . . ، ويحصل بالارادة التخصيص بوقت دون وقت وقدر دون قدر وشكل دون شكل» . واذا رجعنا الى «اللمع» للاشعري نفسه نجد (٢٥) يتحدث عن قدم الارادة وشمولها لسائر الجائزات دون ان يضع صيغة واضحة كما نجدها عند الشهرستاني اعلاه .

وهذه الفكرة نجدها عند يحيى النحوي والقديس اوغسطين ، الاول من رجال القرن الخامس المسيحي والثاني من رجال القرن الرابع المسيحي (٢٦) . وقد نجد هذا الجواب بصيغ أخرى ، ولكن النقطة

-
- ١٣٤٤ ص ٦ . والشهرستاني : نهاية الاقدام ، ص ٤٠-٤١ والرازي :
 «الاربعة» ص ٥٣ . ونجد هذا الحل يذكره ابن سينا والطوسي في
 الاشارات وشرحها : ج ٣ ص ٥٣٦ فما بعد .
 (٢٣) شرح نهج البلاغة (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٥٩
 ج ٥ ص ١٦٣)
 (٢٤) الملل ج ١ ص ٦٨ .
 (٢٥) اللمع ص ٣٧ فما بعد .
 (٢٦) انظر :

1. St. Augustine: The City of God: In: Great Books of the Western World, No. 18. Chicago. 1952. Ch. 14-15.
 2. Van Den Bergh: op. cit. vol. xviii, and vol. ii. note 3 on p. 3.
 3. A. Guillaume: Islam. 3rd. ed. Edinburgh: 1961. p. 139.
- وكذلك : بدوي : ذكرى الغزالي . القاهرة ، ١٩٦٢ . ص ٥١-٥٢ .
 وفالزر ، كتابه السابق . ص ٩٢ فما بعد .

الرئيسية فيها جميعا هي التأكيد على ان الترجيح بين الاشياء المتساوية لا يكون بدون مرجح ، مثل ان اكون في موقف بين قدين من الماء او رغيفين من الخبز فعلى ان اختار احدهما ، واختياري لا بد ان يكون بمرجح . واصحاب هذا الجواب يقولون المرجح ليس سببا خارجيا بل هو العطشان او الجوعان نفسه . فليس من علة للترجيح في فعل اله العالم هذا الوقت لا سواء غير ذات الفاعل ، اى الله ، لان الفاعل المختار هذا شأنه .

ان جميع هذه الحلول لا يمكن ان تكون مقبولة لانها تقصر عن اعطاء المشكلة حقها ، فهي لا تقدم حلا لمشكلة «لماذا يرجح الله وقتا على وقت أو اى وقت على الازل» :

فاولا : الجواب الذى ينقله الاخوان - وهو الثانى اعلاه - لا يفعل سوى ان ينقل المشكلة الى علم الله ، ويبقى بعدئذ السؤال قائما : لماذا يرجح علمه الازلى وقتا معينا من بين غيره من الاوقات ، مع ان جميع الازمان واحدة بالنسبة لعلمه ؟ . لقد اتتبه الفلاسفة وبعض متأخرى المتكلمين الى ضعف هذا الجواب ومنهم الفارابى (٢٧) والغزالي على لسان الفلاسفة (٢٨) وابن رشد (٢٩) وابو البركات البغدادي (٣٠) والرازي المتكلم (٣١) وزادة (٣٢) . وسيأتى موقف كل منهم مفصلا .

ثانيا : اما جواب الاشعري فهو ليس جوابا عن المشكلة انما هو تهرب من الجواب . ويستتبع مناسبات عدة لتوضيح رأى هذا عندما نستعرض

- (٢٧) الفصول المدنى ، ص ١٥٦-١٥٧ عربى .
 (٢٨) الغزالي : تهافت الفلاسفة . ص ٣٦-٣٧ .
 (٢٩) ابن رشد : تهافت الهافت . ص ٣٤ .
 (٣٠) ابو البركات البغدادي : الاعتبار في الحكمة ، حيدرآباد ١٣٥٨ . ج ٣ . ص ٤٣ ، ٤٤ .
 (٣١) الرازي : الاربعين ، ص ٤٥ .
 (٣٢) زادة : تهافت الفلاسفة ، ص ١٢ .

موقف الغزالي ومن جاء بعده مؤيدين ومعارضين لهذا الحل (٣٣) .

ثالثاً : اما جواب الخياط ومن تابعه فانه لا مبرر له « لان الاوقات متساوية في انفسها فجعل بعضها منشأ لمصالح المكلفين دون غيرها ، ان لم يكن لمخصص ، يلزم التحكم ، وان كان لمخصص فهو - اى المخصص - اما قديم ، او حادث ، فان كان قديماً (٣٤) ، تكون نسبته الى جميع الاوقات على السوية ، وان كان حادثاً تنقل الكلام فيه ويلزم التسلسل (٣٥) . ثم ان قولهم ، يجعل فعله تابعاً (٣٦) لغرض وهو مستحيل ، اذ يلزم منه استكمالها بالغير (٣٧) .

والحق انه اذا كان الله وحده - كما يرى المتكلمون - فانه ليس ثمة بشر ولا موجودات ، والازمنة المفروضة منذ الازل ليس فيها فرق ، فايجاد الخلق في اى منها سواء . ومن جهة اخرى يمكن الاستعانة بجواب الرازى في «الاربعين» (٣٨) حيث يلاحظ ان هذا الجواب يقتضى ان الله فاعل بالايجاب ، اذا كان فعله فقط في ذلك الوقت ، ونحن نعلم ان المتكلمين يكفرون الفلاسفة على اساس انهم يقولون بالايجاب . وان احسن جواب هو الذى قدمه الفارابى في فصوله المدنى والذى اقتبسناه سابقاً (٣٩) .

(٣٣) ويمكن الاشارة هنا الى جميع من يتبنى دليل العلة التامة كمؤيدين

لهذا النقد ص ٧٨ حاشية ١٢٦ . وكذلك الطوسى ص ٧٨ .

حاشية ١٢٦ . وابن تيمية : الرسائل . ج ٤ . ص ١٥٤-١٥٥ .

(٣٤) في الاصل «قديم» .

(٣٥) اى لم حدث هذا المخصص في هذا الوقت فلا بد من مخصص آخر

وهكذا .

(٣٦) في الاصل «تابع» .

(٣٧) زادة : تهافت الفلاسفة . ص ١٢ .

(٣٨) الرازى : الاربعين ٤٥-٤٦ .

(٣٩) انظر اعلاه ص ٣٥-٣٦ . حواشى ٥٣-٦٠ .

رابعاً : اما الجواب المنسوب الى الكعبي والماتريدي فانه لا يقدم ولا يؤخر شيئاً من المشكلة ، لان اساس المشكلة هي ما اذا كان العالم متأخراً عن الله بالزمان ام لا ؟ فاذا كان متأخراً عن الله بالزمان ، اى بين الله وبين العالم زمان ممتد لم يخلق الله فيه العالم ، فان السؤال يبقى : لماذا لم يفعل الله منذ الازل ؟ ولماذا اختار هذا الزمان الذى ابتدا فيه ايجاد العالم من بين الازمنة التى قبله او التى بعده ؟ • اما اذا لم يكن بين الله وبين العالم زمان ، فان العالم سيكون متأخراً عن الله ، ولكن ليس بالزمان ، بل بالذات • وهذا عين ما يقوله خصوم المتكلمين من الفلاسفة الذين سبق ان عرضنا رأيهم في هذا الكتاب • ونحن نملك ادلة كافية على ان الماتريدي والكعبي انما يريدان التأخر الزماني ، لانهما يقولان بالخلق من عدم في الزمان • فان الماتريدي يبنى كتابه «التوحيد» ، والاراء التى يذكرها فيه في المسائل الكلامية الرئيسية ، على اساس هذه النظرية (٤٠) • اما الكعبي فهو واحد من كبار المعتزلة الذين كانوا حرباً على القائلين بقدم العالم ، كما يروى لنا عبدالقاهر البغدادي ، نقلًا عن «مقالات» الكعبي (٤١) • ولهذا فان غرض الكعبي والماتريدي هو نفى قدم الزمان الذى للعالم ، على اساس ان زمان العالم يتبدى • بدئه ، طالما ان الزمان عندهم هو مقياس الحركة • وحسب هؤلاء ، ان هذا الإنكار ، او التحديد لمعنى الزمان الذى تبناه معظم المتكلمين ، فيه منجاة من المشكلة السابقة • فطالما ان الله ليس في زمان ، وزمان العالم يتبدى مع العالم ، فان هذا الجواب قد يبدو مقنعاً • فاذا لم يكن مع الله زمان ، ولم يتبدى ، فكيف يحق لنا ان نسأل : لماذا لم يختار الله زماناً قبل هذا الزمان ؟ ولكن هذا الجواب يفقد كل رونقه حينما نستعيد ما سبق ان ذكرته عن معنى الزمان المطلق ، باعتباره

(٤٠) انظر كتابه «التوحيد» خصوصاً ص ١٢ ، ٣٢ ، ٨١ ، ١٢٣ •

(٤١) انظر القسم الثانى ، الفصل الثانى من اطروحتي ص ٢٩٨ حاشية ٤ •

مدة وجود الشيء او الله نفسه ، وانه يلزم على هذا ان بين الله وبين زمان العالم الحادث زمان او سرمد او دهر ، هو مدة وجود الله منذ الازل • فتبقى المشكلة وضرورة التبرجيج قائمة (٤٢) •

ثانيا : موقف الغزالي : على الرغم من ان موقف الغزالي ليس فيسه اصالة كبيرة (٤٣) بل معظمه تزداد هذه الاقوال السابقة التي وجدناها عند المتكلمين قبله ، فان الذي يجعل الباحث يكرس وقفة تطول او تقصر عنده ، هو انه يجد عند الغزالي - وربما لاول مرة - في الكتب الكلامية تنظيما وتبويبا وجمعا يساعد على حصر المشاكل المدروسة ، والنظر اليها موحدة وبصورة متكاملة وخصوصا في «تهافتة» • بينما بدون هذا الكتاب كان من الممكن ان تظل هذه الاجوبة لمن سبقه مشتتة غير منظمة يجهد المرؤ ليجمعها ، كما فعلت فيما سبق ، وحتى لو فعل ، فستظل معلوماتنا عنها ناقصة ، لضياح معظم الكتب ، ولان ما بقي يفرض على الكاتب عدم الاجتياز حتى في احكامه وتخليها •

(٤٢) انظر ص ٣٠ حاشية ٤٠ • ومزيد تفصيل فيما يأتي عند الكلام عن موقف الغزالي ومن جاء بعده •

(٤٣) اشرت في اطروحتي الى بعض مبررات هذا الحكم بصورة سرريعة وعامة الفصل الثاني القسم الاول ص ٣٠٦ فما بعد •

موقف الغزالي بصورة عامة^(١)

يمكن اجمال موقف الغزالي في التهافت في النقاط التالية :-

- ١ - الله فاعل مختار وليس علة يكون مفعولها معها دائما .
- ٢ - وقد اوجد العالم وفعل بعد ان لم يكن موجدا ولا فاعلا له ، من دون مرجح ، جعله يفعل بعد ان لم يكن فاعلا غير ارادته ، لانه مختار ولان المفعول لايد وان يتأخر عن فاعله بالزمان .
- ٣ - ان الارادة هي التي رجحت ان يفعل بعد ان لم يكن فاعلا في الازل .
- ٤ - الزمان Time ليس له وجود قبل خلق العالم ، لان تصور وجود زمان قبل العالم هو من عمل الوهم Imagination ، ولهذا فان السؤال : كيف اختار الله وقتا معينا من بين الاوقات المتساوية ؟ يصبح لا قيمة له Invalid .
- ٥ - العالم بطبيعته ممكن Contingent ، ولذلك لايد من مرجح او مخصص له Determinant .
- ٦ - الحادث لايد له ان يصدر عن قديم ، لاستحالة التسلسل في الحوادث الى ما لا نهاية له .

ويمكن تركيز هذه النقاط في اربع مسائل :

أ - مسألة الفاعل The Concept of Agent.

ب - مسألة العلة التامة والترجيح

The Perfect Cause and the Determination.

(١) موقف الغزالي العام هذا يستند على الاطروحة بتصرف ص ٣٠٦-٣١٥ .

د - استحالة التسلسل الى ما لا نهاية • Infinite Regression

أ - مسألة الفاعل : ينتمى الغزالي الى الفكرة المعروفة عند من سبقه من المتكلمين فيما يخص التمييز بين الفاعل المختار والفاعل الطبيعي *Natural Agent* • ولكنه يرى أيضا ان كلمة «فاعل» لا يمكن ان تطلق الا على الفاعل المختار ، لان هذا في رأيه هو ما تعنيه الكلمة في حقيقتها • اما نسبة الفعل الى الفاعل الطبيعي او المطبوع فانه - على احسن الاحتمالات - ليس سوى مجاز *Metaphor* • ويورد الغزالي آراء الفلاسفة الذين ينكرون هذا التحديد لمعنى الفاعل ، والذين يوسعونه بحيث يشمل الفاعل الحر والمطبوع على السواء^(٢) • وان تفاصيل هذا النقاش يمكن ان نجدها عند ابن سينا الذي يذهب - كما رأينا - بالاستناد على شواهد من الشعر الى ان معنى الفعل والفاعل يشمل الفاعل المطبوع والمختار على حد سواء • وقد تبني ابن رشد موقف ابن سينا هذا وكذلك فعمل الطوسي في مناقشته للرازي^(٣) • ان هدف الغزالي هذا هو ان يظهر ان زعم الفلاسفة ، ان العالم مع انه قديم فانه محدث بواسطة الله ، هو مجرد مجاز • ولكن الغزالي لم يفلح في دعواه هذه : اولاً : لان الفلاسفة لا ينكرون - كما رأينا - ان الله فاعل مختار ، انما يؤكدون على انه اختار ان يفعل منذ الازل بمقتضى كماله • وثانياً : لانه مخطيء في تحديده اللغوي لمعنى «الفاعل» لان اللغة تجسيز استعمال «الفاعل» و «الفعل» فيما يخص الافعال الانسانية المختارة والافعال

(٢) الغزالي : التهافت • ص ١٠٠-١٠١ •

(٣) وضحت اعلاه رأى ابن سينا وابن رشد والطوسي ومناقشته للرازي

انظر اعلاه ص ٧٢ النقطة الاولى متن • ونوت ١١٢-١١٤ • وص ١٠٩

من النقطة الخامسة منها مع حاشية رقم ٦ •

الطبيعية للجافد والحي على حد سواء * كما لو تحدث الانسان عن فعل الماء
في تعرية الصخور او تخريب مدينة بفعل الفيضان *

٢ - مسألة العلة التامة والمرجح : يعتمد موقف الغزالي في هذه المسألة

على نقطتين : الاولى : ان ارادة الله لا تحتاج الى مرجح خارجي
External Determinant ، طالما ان جوهرها هو ان تختار وفقا لعلم الله

القديم * ان الغزالي لم يقدم جديدا في هذه النقطة (٤) * الثانية : هي
معارضته الفلاسفة الذين يميلون الترجيح بدون مرجح بانهم يفعلون نفس
الشيء ، ويخالفون هذا المبدأ في حالتين : في مسألة القطبين ومسألة تعيين جهة
حركة الافلاك * وهذه النقطة هي الاخرى قد اعيدت قبله من قبل بعض
المتكلمين - كما سنبين - وقد اوضح ابن رشد والرازي والطوسي ضعف هذه
المعارضة بالاعتماد على ارسطو كما سنفصل هذا كله بعد قليل *

وقد اعاد اليمهرستاني والرازي موقف الغزالي هذا فيسمى الشهرستاني
هذه المشكلة - مشكلة العلة التامة - «بالداهية الدهياء والمغلطة الزباء» * ويقول
بصددها محتارا : « فان قلت : انه علم وجوده - اى وجود العالم او الموجود -
في هذا الوقت ، واراد وجوده فيه ، قيل : العلم عام التعلق والارادة عامة
التعلق ، فنسبة وجوده الى الارادة العامة في هذا الوقت على هذا الشكل
كنسبة وجوده في غير هذا الوقت على غير هذا الشكل * وكذلك القول في
القدرة فلا خصوص في الصفات ، فكيف يختص الفعل ؟ وهذا الموضع
منشأ ضلال بعض المتكلمين * * * » ثم يحاول ان يقدم حلا للمعضلة فلا يفعل
سوى ان يعيد نفس الحل الذى رفضه هنا (٥) *

(٤) انظر اعلاه ضمن اجوبة المتكلمين جواب ٤ ص ١١٧ المنسوب للاشعري *

(٥) نهاية الاقدام : ص ٣٨ فما بعد *

وكذلك فان فخر الدين ابو عبدالله الرازى وقع في حيص بيص امام هذه المشكلة ، فهو - كما سنرى بالتفصيل - يضعف في كتابه «مناظرات في بلاد ما وراء النهرين»^(٦) معارضة الغزالي للفلاسفة بالقطبيين ، ولكنه يقبلها في «المحصل» و «الاربعين»^(٧) . كما انه في محصله - كما يلاحظ العلوسى بحق^(٨) - يقيم مسألة ان الله فاعل مختار على افتراض حدوث العالم ، ولكنه عندما يريد ان يقيم حدوث العالم ، يبينه على افتراض ان الله فاعل مختار . كما انه في «الاربعين» يعدد حلول المتكلمين للجواب عن : لماذا رجح الله وقتا دون سائر الاوقات ؟ ثم يفندھا ويضعفها جميعا ، ولكنه عندما يقدم جوابه بعد ذلك يعيد ما سبق ان اتقده وضعفه^(٩) .

ان هذا الغموض والتضارب في موقف كل منهما هو بداية مرحلة جديدة بدأت بالغزالي وهى مرحلة الشك في مواقف المتكلمين حيال الفلاسفة، وقد واكبها واعقبها انعطاف نحو الفلسفة كما اشرت سابقا^(١٠) . وبقدر ما يتعلق الامر بهذا المبدأ نجد ان المطاف انتهى بعدما الى رفض هذه الاجوبة الكلامية وقبول المبدأ الفلسفى وهو «استحالة الترجيح بلا مرجح» .

٣ - فكرة الزمان : لقد اوضحت في مواضع سابقة^(١١) من هذا البحث طبيعة وحدود النزاع بين المتكلمين والفلاسفة القدميين فيما يتعلق

(٦) مناظرات في بلاد ما وراء النهرين . حيدرآباد ١٣٥٥ ص ٢٢-٢٤ .

(٧) المحصل ص ٩١ ، ٩٧ ، والاربعين ص ٥٣ .

(٨) شرح المحصل طبع مع المحصل . حاشية (١) على ص ١١٠ . والاربعين ص ١٢٩ .

(٩) الاربعين ، ١٢٥ فما بعد .

(١٠) اعلاه ص ٥٥ . حاشية (٣) من هذا البحث .

(١١) انظر اعلاه ص ٣٠ حاشية ٤٠ و ص ٩٢ فما بعد ، و ص ١١٧ رقم ٣ متن ١٢١ - رابعا - متن . و ص ١١٦ حاشية ١٨ .

بالزمان • وزأينا ان بعض المتكلمين يرون ان الزمان غير موجود قبل بدء العالم ، لانه مقياس حركة العالم او الحركة الفلكية • فاذا لم يكن عالم لم تكن هناك حركة او زمان • ووضحت مدى ضعف مثل هذا الموقف كما اوضحت ما يترتب على اقوال الفلاسفة خصومهم ايضا •

ان موقف الغزالي ليس فيه جديد • وكذلك من جاء بعده مثل الشهرستاني والرازي والطوسي والدواني وزاده •

٤ - استحالة التسلسل الى ما لا نهاية : لا يقدم الغزالي جديدا في هذه المسألة ، فان المتكلمين كانوا معنيين باثبات هذا المبدأ ابتداء من القرن الثالث الهجرى على أقل تقدير ، كما يتضح ذلك عند النظام والكندى ومحمد بن شبيب والكعبى ومن تبعهم (١٢) •

ان الهدف من اثبات تناهى «الحوادث» Fintude of Temporal Object. اثبات انه كنتيجة لهذا فلا بد لها من محدث قديم ، وانها مبتدئة في الزمان • كما استخدم لاثبات احدي مقدمات دليل «الحدوث» (١٣) المشهور عند المتكلمين وهى : « ما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث » • كما انه استخدم في ابطال Refutation فكرة الفلاسفة بتسلسل حوادث لا نهاية لها ، من حركة الأفلاك الدورية الازلية Eternal Circular Movement • وهذا ما يهمننا في هذا البحث • لقد اعتقد الفلاسفة ان الأفلاك الدورية ازلية ، وان

(١٢) انظر اطروحتى • فصل ٤ قسم ثان ص ٣٦٢ فما بعد • و ص ٣٦٥
٣٦٦ فما بعد والجوينى : الشامل في اصول الدين الكتاب الاول من
الجزء الاول • تحقيق هلموت كلوبفر • القاهرة ١٩٥٩ • الاصل
الرابع • ص ١٠٧ فما بعد •

(١٣) هذا هو احد ادلة المتكلمين الشهيرة لاثبات حدوث العلم • وعرضه مع
نقد الفلاسفة له وجواب المتكلمين على النقد يستغرق اصفحات الطوال •
انظره مفصلا في اطروحتى • قسم ثان • فصل رابع ص ٣٧٢ فما بعد •

كل حادث من حوادث عالم ما تحت فلك القمر Sub-Lunar أو العالم الارضى مسبوق بحادث آخر • وبما ان الحركات الدورية لا اول لها ولا آخر ، يلزم كذلك ان سلسلة الحوادث او المحدثات لا بداية لها ولا نهاية^(١٤) • وبهذا وحده يرى الفلاسفة انه يمكن فهم صدور حادث عن قديم من دون ان يؤدى ذلك الى جعل القديم حادثا ، او جعل اى مفرد من المحدثات قديما^(١٥) •

امام هذا الموقف يرى الغزالي ، دفاعا منه عن حدوث العالم في الزمان وابتدائه بعد ان لم يكن ازلا ، انه لايد من ان يصدر الحادث عن قديم ، لاستحالة ان تكون الحوادث لا نهاية لها في العدد •

اما الشهرستاني والرازي ، فانهما يعيدان اقوال الغزالي ومن سبقه^(١٦) •

(١٤) الفارابي : التعليقات • ص ١٨ ، وابن سينا : النجاة • ص ٢٢٦ • وابن رشد : تفسير مقالة اللام ضمن : تفسير ماوراء الطبيعة • تحقيق بويج • بيروت ١٢٢٨ • ج ٣ • ص ١٦٣ • وكذلك تهافت التهافت • ص ١٩-٣٢ ، ص ٢٨٣-٢٨٤ ، والسماح الطبيعى • ص ٣٣ • وابو البركات : المعثر ج ٣ • ص ٤٦-٤٧ •

(١٥) هذه من اعمق المشاكل الفلسفية القديمة ، فان اتصال القديم بالعالم وحوادثه اليومية لايمكن ان ينظر اليها ، اذا فرضنا وجود اله الا على وجهين : ١ - اما ان نفرض ان الله لم يكن فاعلا ، وابتدأ العالم بعد ذلك وكذلك حوادثه • وفي هذا كيف يتسنى لنا ان نفسر هذا التعلق الطارىء ؟ ان في هذا مخالفة لدليل العلة التامة وقول بالترجيح بلا مرجح • ٢ - واما ان يقال : ان الله قديم وفعله قديم ، فجنس كل موجود او نوع ازلى ، ولكن مفرداته او جزئياته حادثة ، لكل منها زمان محدد منه ابتداء واليه انتهى ، وعليه فان زيد حادث ولكن النسوع الانسانى قديم ، وحدث الاجزاء لايعنى حدوث الكل • وهذا ما انتهى اليه بعض الفلاسفة مثل ابن سينا وابن رشد (انظر نوت ١٤ السابقة) وسنعرض لهذا في عرضنا لموقف ابن رشد من الغزالي عما قليل •

(١٦) سنفصل موقف الغزالي وموقف هؤلاء • اما عن الذين سبقوا الغزالي فانظر نوت ١٢ السابقة • وبصدد مناقشة المبدأ عموما ورأى فيه انظر اعلاه ٨٤ فما بعد رقم ٣ كله •

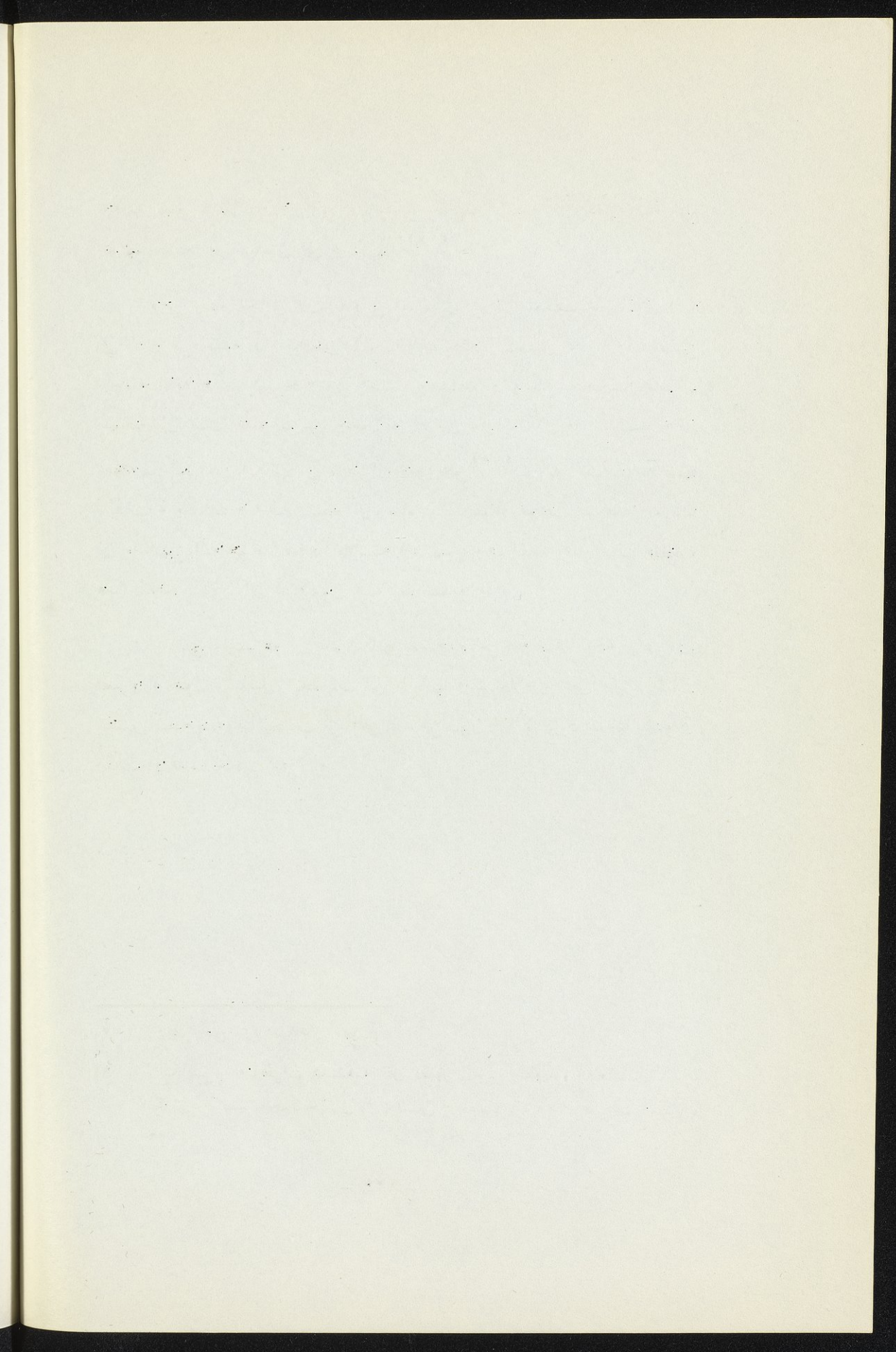
وفيما يتعلق بالفلاسفة فان ابن رشد من جانبهم استطاع ان يقضى تماما على قولهم باستحالة التسلسل الى ما لانهاية (١٧) .

ومن جهة اخرى فان الطوسي اشار الى نقاط ضعف عديدة في ادلة في ادلة من سبقه من المتكلمين لاثبات استحالة التسلسل ، وحاول من ناحيته اقامة هذه الاستحالة على اساس وطيذة . ولكن حججه هذه لم تستطع ان تثبت تقدم الله على مفعولاته بالزمان ، وانما كل ما استطاع ان يفعله - كما اشار الكاتبى في مناظراته معه بحق (١٨) - انه اثبت تقدمه عليها بالذات . ولذلك فانه لم يستطع ان يقدم شيئا لتقوية موقف المتكلمين ، طالما ان ما انتهى اليه هو ما يقوله الفلاسفة انفسهم ، وهو تقدم الله بالذات فقط ، هذا التقدم الذى كان المتكلمون قبله يعارضونه .

ان الشيء المهم هو ان علم الكلام بعد هذه المرحلة صار يتجه للاعتراف بضرورة قبول تسلسل الحوادث الى ما لانهاية - خلافا لما فعل قبل ذلك - لتفسير كيفية صدور الحوادث من القديم ، من دون ان يؤدى ذلك الى حدوث القديم او قدم الحوادث المفرد .

(١٧) انظر ص ١٤٥-١٥٨ مما يلى .

(١٨) الكاتبى : مناظرات فلسفية بين نصير الدين الطوسى ونجم الدين الكاتبى . نشر محمد حسين آل ياسين . بغداد ١٩٥٦ . ص ٤٥ فما بعد .



القِسْمُ الثَّالِثُ

شالو شقا

موقف الغزالي التفصيلي^(١)

يورد الغزالي أربعة أدلة • والذي يهنا منها يحدد بحثنا هذا بصورة خاصة هو الدليل الأول على أنه لما كان الأدلة الباقية علاقة بدليل العلة التامة فقد وجدت من الضروري إيرادها • وهذه الأدلة الأربعة نجدها في بعض كتب ابن سينا « كالحياة » و « الاشارات »^(٢) •
وعند ابن رشد^(٣) وابن سبعين^(٤) وابن ميمون^(٥) وابي البركات^(٦) وفي الكتب الكلامية في رد المتكلمين على أدلة القدميين مثل الشهرستاني^(٧) والرازي^(٨) والدواني^(٩) وزادة^(١٠) •

- (١) جل اعتمادى هنا على كتابه «تهافت» وكتب الغزالي الكلامية على الخصوص: الاقتصاد، ومغراج السالكين، وقواعد العقائد، والأربعين • وكتاب ابن رشد «تهافت التهافت» مع المقارنة بكتب ابن رشد الأخرى
(٢) النجاة: ص ٣٧١-٤٢٠، الاشارات ج ٣ • الفصل السادس - العاشر ص ٥١٧-٥٢٦ •
(٣) ابن رشد: السماع الطبيعي، المقالة الثامنة ص ١٠٧ فما بعد • واليساء والعالم، ص ٢٨ فما بعد •
(٤) ابن سبعين: الكلام على المسائل الصقلية • نشر محمد شرف الدين بيروت ١٩٤١ ص ١٦-٢٠ •
(٥) ابن ميمون:

Maimonides, M: The Guide for the Perplexed TR From the Original Arabic Text, by M. Friedlaender, London. 1904. part. I. ch. xiv. p. 175 ff.

- (٦) ابو البركات: المعتبر، ج ٣ ص ٢٨ فما بعد، وص ١٣٣ فما بعد •
(٧) الشهرستاني: نهاية الاقدام ص ٣١-٣٦ •
(٨) الرازي: المحصل، ص ٨٩-٩١ • والأربعين ص ٤٣-٥٠ •
(٩) الدواني: شرح المواقف ضمن «الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين» ص ٤٧ فما بعد •
(١٠) زاده: تهافت الفلاسفة ص ١٠-٢٩ •

والدليل الاول هو دليل العلة التامة ، وهو اهم ادلة الفلاسفة • والثاني هو دليل قدم الزمان • والثالث هو دليل قدم الامكان ، فيقتضى هذا امكان الأزلية • أما الرابع فيقوم على اثبات قدم الهيولى •

الفصل الاول

دليل العلة التامة وموقف الغزالي منه (١١)

نص الدليل كما يورده الغزالي :

ح . ف « يستحيل صدور حدث من قديم مطلقا ، لانا اذا فرضناقديم ولم يصدر منه العالم مثلا ، ثم صدر ، فانما لم يصدر لانه لم يكن للوجود مرجح ، بل كان وجود العالم ممكنا عنه امكانا صرفا ، فاذا حدث لم يحل : ان تجدد مرجح او لم يتجدد ، فان لم يتجدد مرجح بقى العالم على الامكان التصرف كما كان قبل ذلك • وان تجدد مرجح انتقل الكلام الى ذلك المرجح ، لم رجح الآن ولم يرجح قبل ؟ فاما ان يمر الامر الى غير نهاية ، او ينتهى الامر الى مرجح لم يزل مرجحا • وبالجملة فاحوال القديم اذا كانت متشابهة ، فاما ان لا يوجد عنه شىء قط ، واما ان يوجد على الدوام ، فاما ان يتميز حال الترك عن حال الشروع فهو مجال » (١٢) •

اعترافات الغزالي على هذا الدليل وموقف الفلاسفة وابن رشد منها :

يقدم الغزالي اعتراضين رئيسيين : الاعتراض الاول على دليل العلة التامة :

« ما المانع عن القول :- العالم حدث بارادة قديمة ، اقتضت وجوده

(١١) للاختصار سارمز الى كلام الغزالي بـ غ ، والفلاسفة بـ ف ، وابن

رشد بـ د : فان كان موقفا رمزت له بـ ق واعتراضا قلت (ض) وان

كان ردا رمزت له بـ ر وان كان جوابا رمزت له بـ ج وان كان حجة

فرمز ح •

(١٢) تهافت الفلاسفة ، ص ٢٣ فيما بعد •

في الوقت الذي وجد فيه ، وان يستمر عدمه الى الغاية التي استمر اليها ،،،،،
وانه لم يكن مرادا قبل ان وجد» (١٣) .

م . د : يقدم ابن رشد تفدين لاعتراض الغزالي هذا : التقيد الاول :
ان قول الغزالي هذا قول سوفسطائي «ذلك انه لما لم يمكنه ان يقول بجواز
تراخي فعل المفعول عن فعل الفاعل له وعزمه على الفعل اذا كان فاعلا مختارا ،
قال بجواز تراخيه عن ارادة الفاعل . والآخر جائز . اما تراخيه عن فعل الفاعل له
فقير جائز ، وكذلك تراخي الفعل عن العزم على الفعل في الفاعل المريد .
فالشك باق بعينه (١٤) ،،،،، والذي لا مخلص للاشعرية (١٥) منه هو انزال
فاعل اول ، او انزال فعل له اول ، لانه لا يمكنهم ان يضعوا ان حالة الفاعل
من المفعول المحدث تكون في وقت الفعل هي بعينها حالته في وقت عدم الفعل ،
فهالك ولا بد حالة متجددة ، او نسبة لم تكن
اما في الفاعل او في المفعول او في كليهما . فان كان فاعلها غير الفاعل الاول

(١٣) تهافت الفلاسفة ، ص ٢٦ ، ونجد نفس الدليل دليل العلة مع الرد
عليه بالارادة ،،،،، الخ . كما في التهافت في : الاقتصاد في الاعتقاد
ص ١٦-١٧ ، ص ٤٣-٤٦ ومعراج السالكين . ص ٤١ فما بعد .
وباختصار جدا في «الاربعين» . ص ٦ القاهرة ١٣٤٤ .

(١٤) ابن رشد يميز ثلاث حالات او درجات يتم بها فعل الفاعل المريد :
ان يريد ، وان يعزم ، وان يفعل . فاذا اراد ولم يعزم ، ولم يفعل
جاز تأخر المفعول او المراد . اما ان عزم او فعل ولم يحصل المفعول ،
فهذا ما يقتضى السؤال . فاذا كان الله تاما فلماذا لم يعزم ولم يفعل
منذ الازل ؟ وظاهر ان الجواب : بانه لم يرد منذ الازل ، لا يحل
الاشكال .

(١٥) قصر ابن رشد الكلام على الاشعرية ، لان الغزالي في كتبه الكلامية
اشعري ، ولان هذا الجواب بالذات هو ما قدمه الاشعري وتابعه عليه
الاشاعرة قبل الغزالي كما اوضحت سابقا . ولكن هذا الرد ينطبق
على المتكلمين جميعا الذين يقولون بحدوث العالم في الزمان .

لم يكن فاعلا أولا ، وان كان هو فاعلها لم يكن ذلك الفعل الذي فرض صادرا عنه اولاً ، اولاً . وهو امر لازم الا ان يجوز مجوز ان من الاحوال الحادثة في الفاعلين ما لا يحتاج الى محدث ، وهو قول الاوائل من القدماء (١٦) الذين انكروا الفاعل وهو امر بين سقوطه بنفسه» (١٧) .

التقد الثاني : الذي يوجهه ابن رشد : هو ان في هذا الاعتراض احتمال «فقولنا ارادة ازليه ، وازادة حادثه ، مقولة باشتراك الاسم» (١٨) بل متضادة ، فان الارادة التي في الشاهد هي قوة فيها امكان فعل احد المتقابلين على السواء وامكان قبوله لمرادين على السواء بعد . فان الارادة هي شوق الفاعل الى فعل ، اذا فعله ، كف الشوق وحصل المراد . وهذا الشوق والفعل متعلق بالمتقابلين على السواء . فذا قيل هنا : مرید أحد المتقابلين فيه ازلى ، ارتفع حد الارادة ، بنقل طبيعتها من الامكان الى الوجود» (١٩) .

ج . ف على اعتراض الغزالي الاول : هذا القول محال فانه يستحيل موجب قد تمت شرائط ايجابه واسبابه وازكانه ثم يتأخر الموجب . فاذا كان قبل وجود العالم ، المرید موجودا ، والارادة موجودة ، ونسبتها الى المراد

(١٦) يسجى ابن رشد هذا الفريق بـ «اعمل الكمون» ويضعهم طرفا مضادا للقائلين بالابداع من العدم المحض ويضع نفسه وارسطو في مذهب وسط بين الفريقين . تفسير ما وراء الطبيعة . مقالة حرف اللام Lam ج ٣ ص ١٤٩٥ ، ١٥٧١ .

(١٧) تهافت التهافت ص ٧-٩ .

(١٨) المقول باشتراك الاسم هو : (ان يتفق شيان بالاسم دون المعنى او الماهية . مثل عين «انسان» و «عين» ماء .

فمراد ابن رشد ان ارادة الله ليست كارادتنا ، لانها ارادة موجبة لمرادها ، اما ارادتنا فهي متعلقة بالمتقابلات ، مثل ان يأخذ احدنا هذا

القلم او ذاك او لا يأخذ . ارادة الله تتعلق بافضل المتقابلات وعلى وتيرة واحدة دائمة . وهذا التمييز بين ارادة الله و ارادة البشر اشار اليه

ابن سينا وغيره كما اوضحت في النصوص عنه .

(١٩) تهافت التهافت ص ٩ .

موجودة ، ولم يتجدد مرید ولا ارادة ، فكيف تجدد المراد ؟ وما المانع من التجدد قيل ذلك؟ (٢٠) .

ج . غ : يجيب الغزالي على قول الفلاسفة الاخير بمعارضات سوفسطائية ، كما يلاحظ ابن رشد للمرة الثانية ، فبدلا من ان يجيب على قول الفلاسفة ، يحاول ان يبين ان قولهم : باستحالة ارادة قديمة متعلقة باحداث اى شىء ، ليس مرده الضرورة العقلية . لانهم على حد تعبير الغزالي لم يقدموا الا الاستبعاد والتشليل بعزمنا وارادتنا . اما ان كان قولهم : بانه لا يتصور موجب تام من غير موجب ، مرده الضرورة العقلية فكيف نخالفهم فيه القائلون بالحدوث بارادة قديمة وهم عدد لا يحصى؟ (٢١) .

والغزالي يريد بهذا العدد ، جماعته وعموم متكلمي الاديان الثلاثة القائلين : بان الله اوجد العالم في زمان لاحق على وجوده الازلى منفردا . وقد اصاب ابن رشد في رده على الغزالي بقوله : « ليس من شرط المعروف بنفسه ان يعترف به جميع الناس ، لان ذلك ليس اكثر من كونه مشهورا . كما انه ليس يلزم قيما كان مشهورا ان يكون معروفا بنفسه » (٢٢) .

ثم يحاول الغزالي ان يبين ان الضرورة العقلية تقضى باستحالة قدم العالم بالزمان ، وذلك « لانه يؤدى الى اثبات دورات للفلك لا نهاية لاعدادها ولا حصر لآحادها ، مع ان لها سدسا وربعاً ونصفاً . فان فلك الشمس يدور في سنة وفلك زحل في ثلاثين سنة ، فتكون ادوار زحل ثلث عشر (١٠/٣) ادوار الشمس ، ثم انه كما لا نهاية لاعداد دورات زحل ، لا نهاية لاعداد

(٢٠) تهافت الفلاسفة . ص ٢٦-٢٧ .

(٢١) تهافت الفلاسفة . ص ٢٩-٣٠ .

(٢٢) تهافت التهافت . ص ١٣ .

دورات الشمس ، مع انه ثلث عشره فلو قال قائل هذا مستحيل ضرورة ،
فكيف تفصلون عنه؟» (٢٣) .

ويورد الغزالي الدليل نفسه بصيغة اخرى مستخدما فكرة الزوج والفرد
فيقول : «اعداد هذه الدورات اما شفيع او وتر ، او شفيع ووتر جميعا ، أو لا
شفيع ولا وتر . فان قلت شفيع ، فالشفيع يصير وترا بواحد . وان قلت وتر ،
فلوتر يصير بواحد شفيعا ، وكيف يعوز ما لا نهاية له واحد (٢٣)» .

ونجد هذين في كتبه الاخرى الكلامية : ففي «الاقتصاد في الاعتقاد»
يقول : «لو كان العالم قديما مع انه لا يخلو عن الحوادث لبثت : حوادث لا
اول لها ، وللزوم ان تكون دورات الفلك غير متناهية الاعداد وذلك محال
فما يفضى اليه محال» .

اما المحالات فهي ثلاثة على ذلك القول : - (١) المحال الاول : ان ذلك
لو ثبت لكان قد انقضى ما لا نهاية له ووقع الفراغ منه وانتهى ومن المحال
ان ينتهي ما لا ينتهي . (٢) المحال الثاني : ان دورات الفلك ان لم تكن
متناهية فهي اما شفيع واما وتر واما لا شفيع ولا وتر واما شفيع ووتر معا وكلها
محال فالمفضى اليه محال . (٣) المحال الثالث : يلزم عليه ان يكون عددان
كل واحد منهما لا ينتهي ثم ان احدهما اقل من الآخر وما لا ينتهي ليس
اقل مما لا ينتهي لان الاقل هو الذي يعوزه شيء وما لا ينتهي كيف يعوزه
شيء . ذلك ان دورات زحل اقل من دورات الشمس ولكن عدد دورات
كليهما لا نهاية له وبعضه اقل من بعض فذلك من المحال البين (٢٤) .

(٢٣) تهافت الفلاسفة . ص ٣١-٣٢ .

(٢٤) الاقتصاد في الاعتقاد . طبعة ثانية . القاهرة ١٣٢٧ . ص ١٧-١٦ .

ونجد الشيء نفسه في كتابه «معراج السالكين»^(٢٥) . وفي كتابه ضمن
الاحياء : المعنون بـ «قواعد العقائد»^(٢٦) .

ومن الخير قبل ان اقدم اى تعليق ان نستمر في عرض هذا الجسد
حول هذه المسألة بين الغزالي والفلاسفة ثم نعقبه برأينا ورأى ابن رشد .

ج . ف : « ان ما يوصف بالشفع والوتر المنتهى ، وما لا يتناهى لا
يوصف به » .

ج . غ : « جملة مركبة من آحاد ، لها سدس وعشر ، كما سبق ، ثم
لا توصف بشفع ولا وتر ، يعلم بطلانه ضرورة من غير نظر » .

ج . ف : « محل الغلط قولك انه جملة مركبة من آحاد ، فان هذه
الدورات معدومة ، اما الماضي فقد انقرض ، واما المستقبل فلم يوجد ، والجملة
اشارة الى موجودات حاضرة ، ولا موجودها هنا » .

ج . غ : « العدد ينقسم الى الشفع والوتر ، ويستحيل خروجه عنهما .
فاذا فرضنا عددا من الافراس لزمنا ان نعتقد انه لا يخلو من كونه شفعا او
وترا ، سواء قدرناها موجودة او معدومة . على انا نقول لهم : لا يستحيل
على اصلكم موجودات حاضرة هي آحاد متغايرة بالوصف ولا نهاية لها ،
وهي نفوس الآدميين المفارقة^(٢٧) للابدان بالموت ، فهي موجودات لا توصف
بالشفع والوتر . . . وهذا الرأى في النفوس هو الذى اختاره ابن سينا ولعله
مذهب ارسطاليس » .

(٢٥) معراج السالكين . فمن فرائد اللالى من رسائل الغزالي ، القاهرة
١٣٤٤ . ص ٤١-٤٢ .

(٢٦) احياء علوم الدين . القاهرة ١٣٤٦ . ج ١ . ص ٧٩ فما بعد .

(٢٧) تهافت الفلاسفة . ص ٣٣-٣٤ .

على الأبد إلى وقت هجرة الرسول • فإن لم يكن هذا صحيحا ، يكون إذا دار
 زحل دورة واحدة في كل ثلاثين سنة ، وزحل لم يزل يدور ، دار الفلك
 الأكبر في تلك الثلاثين سنة إحدى عشرة الف غير خمسين دورة • والفلك
 لم يزل يدور ، وإحدى عشرة الف غير خمسين دورة ، أكثر من دورة
 واحدة بلا شك • فأذن ما لا نهاية له أكثر مما لا نهاية لم بنحو إحدى عشرة
 ألف مرة ، وهذا محال لما قدمنا ، ولأن ما لا نهاية له فلا يمكن البتة أن
 يكون عدد أكثر منه بوجه من الوجوه ، فوجب أن للزمان بداية •••» (٣٠) •

على أنه ليس بمستبعد أن يكون مصدر سعدنا وابن خرم والغزالي معا
 جون فلوبونس المعروف في كتبنا القديمة بـ «يحيى النحوى» (٣١) • يقول
 البيهقي : «قال أبو علي (٣٢) : هو يحيى النحوى المموه على النصارى ••• وأكثر
 ما أورده الأمام حجة الإسلام الغزالي رحمة الله عليه في «تهافت الفلاسفة»
 تقرير كلام يحيى النحوى •••» (٣٣) • وقد ردد كثير من باحثينا المحدثين

(٣٠) ابن خرم : الفصل ج ١ • ص ١٤-١٩ •

(٣١) من رجال القرن الخامس الميلادي واحد فلاسفة مدرسة الاسكندرية •
 تختلف المصادر العربية في لمح وأخباره فخلطه بعضهم بـ يحيى بن
 عدي أحد تلامذة الفارابي • أخباره متوفرة في : الفهرست ص ٣٦٤ ،
 ٣٦٧ ، ٣٧٠ • والبيهقي : تنمة صيوان الحكمة • لاهور ١٣٥١ •
 ص ٢٣-٢٤ ، وابن القفطي : تأريخ الحكماء • ليبزج ١٣٢٠ ص ٣٥٤ ،
 وابن ابي أصيبعة : عيون الانبياء • كوتنجن ١٨٨٤ ج ١ • ص ١٠٤-١٠٥ •
 ويذكره ابن سينا في المباحثات : ضمن ارسطو عند العرب لبيدوى
 القاهرة ١٩٤٧ ج ١ • ص ١٢١ • ويذكره ابن رشد مرارا مثلا في :
 تفسير ما وراء الطبيعة ج ٣ • ص ١٤٩٧ ويقول : ان الفارابي حكى عنه
 مندهبا مفاده ان الله يبدع الموجود من لا شيء كما عند المتكلمين من اهل
 ملتنا وملة النصارى • وكذلك يذكره في : السماع الطبيعي •
 ص ١١٠ •

(٣٢) يقصد ابن سينا في كتاب المباحثات المار ذكره •

(٣٣) البيهقي : كتابه اعلاه • ص ٢٤ •

والغربيين هذا القول دون ان يتجاوز احدهم هذا القول الى تمحيصه (٣٤) .
 فان ليحيى النحوى هذا كتابا (٣٥) رد فيه على حجج بروقلس (٣٦) ، التي
 يستند عليها الاخير لاثبات قدم العالم بالزمان . وكان يحيى النحوى يعتقد
 بحدوث العالم بالزمان كما نجد عند متكلميها وعند الغزالي . ويمكن ان
 تحقق الدراسات الاسلامية تقدا مالموسا اذا تفرغ رجل مجيد للغة اللاتينية
 الى هذا الكتاب ، فترجمه فترك للمختصين بالفلسفة الاسلامية مهمة المقارنة
 بين ردود يحيى في كتابه هذا وبين ما نجده عند متكلميها من ردود على حجج
 القائلين بقدم العالم بالزمان ، مثل حجة العلة التامة وسواها . والظاهر ان
 الدكتور عبدالرحمن بدوى - اما معتمدا على غيره او مباشرة برجوعه الى

(٣٤) من الذين اشاروا الى يحيى النحوى حديثا : ولفسون وماجد فخرى
 وبدوى . ولكن اهم محاولة هي التي قام بها فاندنبرغ والى حد اقل
 فالزر في كتبهم وبحوثهم التالية على التوالي :-

- 1) H.A. Wolfson: The Kalam Arguments for Creation in Saadia, Averroes, Maimonides and st. Thomas. A.A.J.R. New York. 1943. vol. 11.
- 2) M. Fakhry: The Antinomy of the Eternity of the World in Averroes, Maimonides and Aquinas. Le Museon (66), Louvain 1953. P. 140 ff.
- 3) Bergh, Vanden: Averroes, Tahafut al-Tahafut, Oxford. 1954. part. 2.
- 4) Walzer. R: Greek into Arabic. Oxford. 1962. p. 175 ff.

بدوى : مقالة عن الغزالي في : الذكرى المئوية لميلاده . مهرجان الغزالي .
 دمشق ١٩٦١ طبع القاهرة ١٩٦٢ .
 (٣٥) الكتاب مطبوع بالاعريقية القديمة واسمه :

Philoponas. J: De Aeternitate Mundi Contra Proclum. Ed, Hugo Rabe. Lipsiac. 1899.

(٣٦) ضاعت هذه الحجج باليونانية . وقد نشر بدوى (١٢) حجة منها
 من مجموع (١٨) من الاصل بترجمة اسحاق بن حنين كما نجد بعضها
 في ملل واقدام الشهرستاني انظر نوت ١ ص ٢٨٩ من اطروحتي حول
 التفاصيل .

كتاب يحيى نفسه - قد وصل الى نتائج مؤيدة لقول البيهقي • ولكن بدوى لم يشرك القارىء بتفاصيل ما وصل اليه ، انما قدم حكما عاما يخلو من التفاصيل والادلة فقال : «••••• ولا بد ان الغزالي اعتمد عليهما - اى على حجج بروقلس ورد يحيى النجوى عليها - » وان كان لم يذكرهما ، لانه لا يذكر مصادره ، وبخصوصا ان يحيى هو الآخر فيلسوف • ولكن يكفى النظر في رد يحيى على بروقلس في قدم العالم ليكتشف ان الغزالي ينقل خلاصته ولا يضيف شيئا جوهريا اليه ، انما الخلاف في العبارات والاصطلاحات فالحجة الاولى التى يوردها الغزالي من حجج القائلين بالقدم يستحيل صدور حادث من قديم مطلقا ، هى الحجة الثالثة من حجج بروقلس ، وقد رد عليها النجوى بمثل ما اورده الغزالي باعتراضاته والزمامته والردود على الاعتراضات والالزامات • والحجة الثانية من حجج القائلين بالقدم - وهى الخاصة باستحالة التقدم بالزمان ، هى بعينها الحجة الخامسة من حجج بروقلس ، وقد رد عليها النجوى بما سيقوله الغزالي ايضا • والدليل الثالث عند الغزالي يناظر الحجة الثانية من حجج بروقلس وان اختلفت العبارة ، اذ بدأت فكرة الممكن والواجب تدخل في الالهيات بدلا من المثال والمتمول او الصورة وشبهها المحاكى» •

« وبالمثل يقال عما اورده الغزالي للفلاسفة من حجج على ابدية العالم والزمان والحركة فلها كلها نظائرها في حجج بروقلس ، خصوصا السابعة والثامنة والتاسعة وما اورده يحيى النجوى من ردود عليها» (٣٧) • وقد اشار صاحب «المقترح» الى ان يحيى النجوى في رده على بروقلس حاول ان يبطل التسلسل الى ما لا نهاية • ونص قول صاحب المقترح ليس قريبا من جزئيات دليل الغزالي ، ولكن الفكرة والمبدأ العام واضح في الجوابين • يقول صاحب المقترح : «وقد استدل صاحب الكتاب - يعنى الجوينى - بطريقة واحدة ،

(٣٧) بدوى : اعلاه • ص ٢٢٤ •

بان قال : ما مضى من الحوادث فقد انقضى وتصرم الواحد على اثر الواحد ،
وما لا يتناهي لا يتقدم ولا يتخلف . وهذه طريقة جميع اهل التوحيد ،
وطريق من سبق عليهم في ابطال هذا المذهب - اى القول بالقدم بالذات -
كيجيبى النحوى وغيره ممن رد على (برقلس) وارسطاطاليس وغيرهما» (٣٨) .

٢ - ان الاحتجاج بالشفع والوتر ، وبمقارنة دورات كوكب بآخر
لاستنتاج تناهى الحركات الفلكية ، يقوم على خطأ هو انزال اللامتناهى منزلة
المتناهى . وقد اوضحت هذا الغلط جيدا فيما سبق فيرجع اليه (٣٩) .

٣ - فيما يخص ابن سينا في قوله عن لا تناهى النفوس الانسانية
المفردة بعد الموت . اقول هذا مذهبه في بعض كتبه . ولكن ابن سينا يوضح
في اثباته لحدوث النفس ، وانها ليست قبل الجسم ، كما هي نظرية افلاطون
القائمة على ان المعرفة تذكر ، وعلى افتراض وجود مثل وعالم سابق لوجود
الانسان الارضى ، كانت فيه النفس مبرأة عن الاجساد ، وكذلك في التصيدة
العينية لابن سينا ، اقول ان ابن سينا يوضح في غير هذا الموضوع : ان النفوس
لا يمكن ان تكون قبل اتصالها بالاجسام واحدة بالنوع ثم تتجزأ في الاجساد ،
لان البسيط لا يتجزأ . ولا يمكن ان تكون نفوسا مفردة بلا مادة ، لان
الماهية واحدة والذى يعطيها الكثرة هو المادة والاجساد . ولذلك ينتهى الى
ان كل نطفة تولد يخلق الله لها نفسا بعد ان لم تكن . ولكنه في مسألة
خلودها يرى - لدوافع خلقية في نظري وليست ميتافيزيقية - ان كل نفس
تصير لها شخصية بما فعلت ومن ذكرياتها ، فتبقى مفردة بعد تركها للاجساد
بعد الموت (٤٠) .

(٣٨) مخطوط «المقترح» ص ٥١ .

(٣٩) انظر ما تقدم من هذا البحث . ص ١١٧ رقم ٢٠ (٣) متن وص ١٢١

- رابعا - متن وص ١١٧ حاشية ١٨ ، ص ٥٢ حاشية ٤٠ ، ص ٩١
فما بعد .

(٤٠) ابن سينا : النجاة ص ٣٠٠-٣٠٢ .

واليك نص ابن سينا : «الانفس الانسانية متفغة في النوع والمعنى ، فان

م د : ان هذا الذى اشترت اليه من ان الغزالي ينزل اللامتناهى
متناهيا ، قد فعله ابن رشد في نقده لدليل الشفع والوتر ومقارنة حركات
الافلاك . فبعد ان يبين ان معارضة الغزالي للفلاسفة بالشفع والوتر معارضة
سفسطائية ، لان حاصلها : « كما انكم تعجزون عن نقض دليلنا في ان العالم
محدث (وهو دليل الشفع والوتر) ، فكذلك نعجز نحن عن نقض قولكم :

وجدت قبل البدن ، فاما ان تكون متكثرة الذوات ، او تكون ذاتا واحدة
ومحال ان تكون ذواتا متكثرة ، وان تكون ذاتا واحدة - على ما يتبين -
فمحال ان تكون قد وجدت قبل البدن . اما استحالة تكثرها بالعدد ،
فنقول : ان تكثرها ومغايرة بعضها لبعض قبل الابدان ، اما ان يكون
من جهة الماهية والصورة ، واما من جهة النسبة الى العنصر . والمادة
متكثرة بالامكنة التى تشتمل كل مادة على جهة منها والازمنة التى تختص
كل نفس بواحد منها في حدوثها في مادتها . وليست متغايرة بالماهية
والصورة ، لان صورتها واحدة . فاذا تغايرها من جهة قابل الماهية
وهو البدن . واما قبل البدن فالنفس مجرد ماهية فقط . ولا يجوز ان
تكون واحدة الذات بالعدد ، لانه اذا حصل بدنان ، حصل في البدنين
نفسان ، فاما ان يكونا قسمي تلك النفس الواحدة ، فيكون الشيء
الواحد الذى ليس له عظم وحجم ، منقسما بالقوة ، وهذا باطل ، واما
ان تكون النفس ، الواحدة بالعدد ، في بدنين ، وهو ظاهر البطلان .
فقد صح انها تحدث كلما يحدث البدن .

واما بعد مفارقة البدن ، فان النفس قد وجد كل واحد منها ذاتا
منفردة باختلاف موادها التى كانت ، وباختلاف ازمنة حدوثها وهيئاتها
التى بحسب ابدانها المختلفة باحوالها . ونقول انها لا تموت بموت
البدن ، ولا تقبل الفساد اصلا . وتلزم الاشارة في هذا الصدد الى ان
ابن سينا قد كرر هذا في مواضع اخرى من النجاة وغيره من كتبه ،
ولكن المهم في تلك المواضع انه شرح كيفية حدوث النفوس تفصيلا .
وتجد بيانه فيما يأتى من هذا البحث وفي الملحق رقم (ع)
الخاص بفكرة ابن رشد عن هذه المسألة ، واءاء ابن سينا وشراح
« ارسطو وارسطو فيها ، ينقل ابن رشد » .

ويؤكد ابن سينا هذا المعنى في : رسالة اضحوية في امر المعاد .
تحقيق سليمان دنيا . القاهرة ١٩٤٩ . حيث يبين في رده على من يقول
بالتناسخ ص ٨١ فما بعد ، استحالة وجود النفس الانسانية قبل
البدن الذى هو لها . وبذلك يرد على نظرية افلاطون الشهيرة

انه اذا كان لم يزل مستوفيا شروط الفعل لا يتأخر عنه مفعوله » يقول ابن رشد : حاصل دليل الغزالي في استحالة قدم العالم ، على اساس اختلاف دورات الفلك وكونها اما شفيع او وتر ... هو : انه اذا توهمت حركتان ذواتا ادوار بين طرفي زمان واحد ، ثم توهم حد محصور من كل واحد منهما بين طرفي زمان واحد ، فأن نسبة الجزء من الجزء هي نسبة الكل من الكل (٤١) . مثلا انه اذا كانت دورة زحل في سنة $10/3$ دورات الشمس في تلك السنة ، فأن نسبة جملة دورات الشمس الى جملة دورات زحل مذوقعتا في زمان واحد ، هي نفس نسبة الجزء من الجزء اي $10/3$ ايضا . واعتراض ابن رشد هو : انه اذا لم يكن للحركتين الكليتين نسبة ، لكون كل واحد منهما بالقوة ، اي لا مبدأ لها ولا نهاية ، وكانت هنالك نسبة بين

المبنية على وجود النفس قبل الابدان ، ثم هبوطها اليها ، وعلى اساس ان المعرفة تذكر . وفي الفصول الرابع والخامس يبين وجوب استثناء النفس في القوام عن البدن بعد الموت ، وان النفس جوهر غير مادي ، وان المعاد بالنفس فقط ص ٩٤ الى نهاية الكتاب .

(٤١) خير مثل على هذا ما سبق وذكرته ، وهو مثال عجلات سيارة امامية صغيرة وخلفية كبيرة ، فأن ما تقطعه السيارة بكاملها ، هو حركة واحدة ونسبة مجموع الحركة للدورات الكلية للعجلات الامامية ، هي كنسبة مجموع الحركة للعجلات الخلفية . ولكن النسبة بين مدة ومسافة كل دورة للعجلتين الاماميتين اقل من مدة ومسافة كل دورة للعجلتين الخلفيتين ، بنسبة $5/3$ أو $6/4$ او ما شابه . فليس يلزم من وجود نسبة بين الجزء الى الجزء في متحركين او حركتين ، وجود هذه النسبة في مجموع حركتيهما الكليتين ، اذا فرضنا معا . ونفس الشيء يقال عن حركة قطب الرحى ومحيطها الخارجي . فاذا فرضنا - كما هو قول الفلاسفة - ان جميع الافلاك او الكواكب تتحرك حركة واحدة ، من حيث انها بلا بداية ولا نهاية - وهو فرض يقتضيه مذهبهم كله ، وله حججه وليس مجرد فرض اعتباطي - فأنها تبقى لا نهاية ولا بداية لها ، على الرغم من اختلاف عدد دورات كل منها ، اذا قسناها باخرى في زمن محدد ، مثل سنة او يوم اختلافا تزيد فيه احداها على الاخرى او تنقص . (انظر ص ٨٢ فما بعد) .

الاجزاء ، لكون كل واحد منهما بالفعل (٤٢) ، فليس يلزم ان تتبع نسبة الكل الى الكل نسبة الجزء الى الجزء ، كما وضع القوم في دليلهم ، لانه لا نسبة توجد بين عظيمين او قديرين ، كل واحد منهما ، يفرض لا نهاية له ويلزم على وضع نسبة الكثرة الى القلة في حركتين كليتين لا متناهيتين بالقوة لا بالفعل محال ، وهو ان يكون ما لا نهاية له اعظم مما لا نهاية له ، وانما تلزم النسبة ، واستحالة القول بعدها ان كلا الحركتين الكليتين لا متناهيتين ، اذا وضعنا غير متناهيتين بالفعل . وبهذا ينحل جميع الشكوك الواردة لهم في هذا الباب ، واعسرهما كلها : هو ما جرت به عادتهم ، ان يقولوا : انه اذا كانت الحركات الواقعة في الزمان الماضي ، حركات لا نهاية لها ، فليس يوجد منها حركة في الزمان الحاضر المشار اليه الا وقد انقضت قبلها حركات لا نهاية لها . وهذا صحيح ومعترف به عند الفلاسفة ، ان وضعت الحركة المتقدمة شرطا في وجود المتأخرة ، وذلك انه متى لزم ان توجد واحدة منها ، لزم ان توجد

(٤٢) خير مثل على المراد بالقوة والفعل في هذا المكان مع الفارق ، ان ضرب المثل بمقدورات الله ، كما فعل ابن حزم : الفصل ج ٢ . ص ١٩٣ ، ج ٤ ص ٨٤-٨٥ . فان مقدورات الله غير متناهية . فلو سأل سائل :- هل يستطيع لله ان يحقق في هذا الان كل مقدوراته ؟ فان اجيب : ان نعم ، فمعنى هذا ان مقدوراته التي فرضت غير متناهية - والا كان عاجزا - ، اصبحت متناهية ، ولم يعد ثمة مقدورات جديدة . فعليه معنى ان مقدورات الله غير متناهية ، هي انها بالقوة غير متناهية ، اى كلما فرضنا ان جزء منها تحقق ، ظل هناك مقدورات اخرى ستتحقق في المستقبل دائما . وكل ما يتحقق من مقدورات الله ، فيوجد نسميه (بالفعل) . وما تحقق من مقدورات الله بالفعل وان كان متناهيا لا يعنى ان مقدوراته من حيث هي بالقوة متناهية . اننا حين نتعامل مع اللامتناهي ، لا يمكن ان نشير الا الى اجزاء منه محددة بزمان ومكان وعدد ، اما ما يفضل من الطرفين ، فلا حصر له ، لا في الماضي ولا في المستقبل ، لاننا حالما نحصره نضعه متناهيا . (انظر ما سبق ص ٨٢-٨٩)

قبلها اسباب لا نهاية لها • وليس يجوز احد من الحكماء ، وجود اسباب لانهاية لها ، كما تجوزه الدهرية ، لانه يلزم عنه وجود مسبب من غير سبب ، ومتحرك من غير محرك • لكن القوم ، لما اداهم البرهان الى ان ههنا مبدأ محركا ازليا ، ليس لوجوده ابتداء ولا انتهاء ، وان فعله يجب ان يكون غير متراخ عن وجوده ، لزم ان لا يكون لفعله مبدأ كالحال في وجوده والا كان فعله ممكنا (٤٣) لا ضروريا ، فلم يكن مبدأ اولا • فيلزم ان تكون افعال الفاعل الذي لا مبدأ لوجوده ، ليس لها مبدأ ، كالحال في وجوده • واذا كان ذلك كذلك ، لزم ضرورة ان لا يكون واحد من افعاله الاولى شرطا في وجود الثاني ، لان كل واحد منهما هو غير فاعل بالذات ، وكون بعضها

(٤٤) الفعل الممكن هو الفعل اللازم ، الذي لا ينفك عن فاعله • فاذا كان الله ليس له بداية ، ففعله كذلك • وامام هذه الضرورة لم يجد الفلاسفة بدا من افتراض ان الاجناس قديمة بالزمان • وبما ان المشاهدة تدل على ان كل مفرد من افراد النوع او الجنس ، مثل زيد ، له زمان محدد ، اضطروا الى افتراض ان افراد كل جنس عدد لا نهاية له ، وعليه فالاجناس قديمة بالزمان محدثة بالذات ، وكل مفرد منها مثل زيد ، حادث حدوثا زمانيا • وبذلك وفق هؤلاء بين فكرة ازلية الفاعل وحدوث كل مفرد بالزمان • صحيح انه يصعب على الذهن ان يتصور عدم ابتداء شخص بالذات بفعل الله اولا ، ثم يتسلسل عنه بقية الناس ، وباسلوب آخر صحيح انه يصعب على الذهن ان يتصور مجموعة من الافراد لا نهاية لها ، تمر بين الازل والابد ، ثم لا يتصور انسانا اولا توالد منه بقية الناس ، وكان اول متصل بفعل الله وعنه ، ولكن هذا التصور هو تصور خاطيء لانه ينطبق على المحدودات ، اما عندما نتعامل مع اللامحدودات فلا يمكن وضع مسألة اتصال فاعل قديم بحادث يومي ، او بمفرد من جنس او نوع ، مثل زيد الحالي باحسن مما وضعها الفلاسفة • اما المتكلمون فيضعون الله قديما ، ويضعون الموجودات ذات بداية زمانية ، ويتركون فجوة بين الله والموجودات ، فيسيئون - شاءوا ام ابوا - الى كمال الله ويجعلون صفاته ومنها الفعل والقدرة معطلة غير مستوفاة فيه ازلا ، ثم حدثت في الله ، ففعل ، وقدر ، وكمل •

قبل بعض هو بالعرض • فجوزوا وجود ما لا نهاية له بالعرض لا بالذات • بل لزم ان يكون هذا النوع مما لا نهاية له امرا ضروريا تابعا لوجود مبدأ اول ازلي • وليس ذلك في امثال الحركات المتتابعة او المتصلة ، بل وفي الاشياء التي يظن بها ان المتقدم سبب للمتأخر ، مثل الانسان الذي يولد انسانا مثله • فلا بد ان يترقى كون انسان فاعلا له انسان ، الى فاعل اول قديم ، لا اول لوجوده ولا لاحدائه ، انسانا عن انسان فيكون كون انسان عن انسان آخر الى ما لا نهاية له ، كونا بالعرض ، والقبلية والبعديّة بالذات (٤٤) • وذلك ان الفاعل الذي لا اول لوجوده ، كما لا اول لافعاله التي يفعلها بلا آلة ، كذلك لا اول للآلة التي يفعل بها افعالها التي لا اول لها من افعالها التي من شأنها ان تكون بالآلة • فلما اعتقد المتكلمون فيما بالعرض انه بالذات (٤٥) ، دفعوا وجوده ، وعسر حل قولهم ، وظنوا ان دليلهم

(٤٤) في نص آخر يقول ابن رشد : «الاراء في الاجناس ثلاثة : ١ - من يرى ان لل جنس فهو كائن فاسد ، لانه متسامي الاشخاص • ٢ - من يرى ان من الاجناس ماهي ازلية ، اي لا اول لها ولا آخر ، من قبل انه يظهر من امرها انها من اشخاص غير متناهية • وانما يصح لهذه الاجناس الدوام من علة ضرورية واحدة بالعدد ، والا لحقها ان تعدم مرات لا نهاية لها في الزمان الذي لا نهاية له • ٣ - انها ازلية لان اشخاصها غير متناهية ، وكون اشخاصها غير متناهية ، كاف في كونها ازلية وهم الدهرية ••• وان جملة الاختلاف في كون العالم ازليا او غير ازلي ، وهل له فاعل أو لا فاعل له ، راجع الى هذه الثلاثة الاصول • وقول المتكلمين ومن يقول بحدوث العالم طرف ، وقول الدهرية طرف آخر ، وقول الفلاسفة متوسط بينهما» • تهافت التهافت ص ٢٨٣ - ٢٨٤ • ويعيد هذا بتفصيل تام في : تفسير ما بعد الطبيعة • ج ٣ • ص ١٤٩٧ فما بعد •

(٤٥) يكرر هذا في (السماع الطبيعي) المقالة الثالثة • ص ٣٢-٣٣ • والمقالة الثامنة ص ١١٠ • وانظر الحاشية السابقة على هذه • ان مسألة قدم الاشخاص بالجنس ، وعدم تناهي عدد الافراد من كل جنس توجد عند ارسطو : Phys: III, 6, 206 a, 25-29. III, 6, 206 b, 13.

انظر مقال ولفسون المشار اليه سابقا • ص ٢٢٥ فما بعد •

ضرورى وهذا من كلام الفلاسفة بين ، فإنه صرح رئيسهم الاول ، وهو
ارسطو : انه لو كانت للحركة حركة ، لما وجدت الحركة ، وانه لو كان
للاسطقس (٤٦) ، لما وجد الاسطقس . وهذا النحو مما لا نهاية له ، ليس له
عندهم مبدأ ولا منتهى ، ولذلك ليس يصدق على شىء منه انه قد انقضى ،
ولا انه قد دخل في الوجود ولا في الزمان الماضى ، لان كل ما انقضى فقد
ابتدأ ، وما لم يتبدىء فلا ينقضى . وذلك ايضا بين من كون المبدأ والنهاية

(٤٦) لهذه المسألة اهمية قصوى في حل مشكلة الشفع والوتر ، ومسألة
هل الحركة التى للافلاك ازلية ، ام انها مجموعة حركات او دورات
كل منها محدثة لها بداية ونهاية ، فمجموعها هو كذلك حركة ، لها
نهاية وبداية . ولذلك ساقف قليلا عند تصور وفهم ابن رشد لها .
ان الاشارة الى ارسطو في النص اعلاه ، نجدتها في : تفسير ابن رشد لما
بعد الطبيعة ج ٣ . ص ١٥٥٥ ، ١٥٥٨ . والنص هو « ان الجواهر
ليست جميعها فاسدة كائنة ، والا لكان كل شىء فاسدا كائنا . ولكن
الحركة ليست فاسدة ولا كائنة ، وكذلك الزمان ، فهما متصلتان .
ولا توجد حركة متصلة الا التى في المكان ، ومن هذه المستديرة» .
ونجد الشرح الكامل لهذه المسألة في مواضع من «السماع الطبيعى»
ومن الخير - لاتاحة الفرصة للقارئ لفهم هذا الموضوع الشائك - ان
انبه ان غرض ابن رشد فيما يأتى من نصوص عنه ان يبين ان الحركة
الكلية للعالم - لا حركة هذا الحجر او هذا الانسان - بل مفهوم الحركة
المطلقة ، في مقابل السكون المطلق ، ازلية مستمرة ، وهى ليست مجموعة
حركات جزئية لكل منها بداية ونهاية . وبذلك يحطم ابن رشد دليل
المتكلمين القائم على اعتبار ان للحركة بداية ، طالما انهم يتصورون انها
مجموعة دورات او حركات جزئية متلاحقة . فلنرى كيف يصل ابن رشد
الى هذا . وسأتصرف قليلا في النصوص . في صدر المقالة الثامنة من
السماع الطبيعى يبين ابن رشد : ان ارسطو يقدم فرضين :

الاول : ان تكون الحركة حادثة لم تتقدمها حركة اصلا . الثانى ،
ان تكون حركة اولى لم تزل ولا تزال . ويضع لذلك مقدمات : (١) ان
من حد الحركة ، يظهر انها لا توجد الا في متحرك . (٢) ان هاهنا حركة
اولى مشتملة على كل العالم فاما واحدة ، او أكثر من واحدة . (٣) ان
امكن ان تكون حركة اولى ازلية ، فواجب انها حركة نقلة دورا (اى
حركة الافلاك الدائرية) .

من المضاف ولذلك يلزم من قال : أنه لا نهاية لدورات الفلك في المستقبل،

ثم يفصل ابن رشد هذا كما يلي : «مما قيل في حد الحركة : انها كمال المتحرك ، يظهر انها لا توجد الا في متحرك ، ويظهر منه ايضا انه لا يكون شيء من لا شيء ، لان الكون اما ان يكون حركة ، او نهاية حركة ، فالمتكون جسم ضرورة . فلما تقرر له هذا الاصل - اى لارسطو - كان من البين انه ، ان كانت ها هنا حركة اولى متقدمة على جميع الحركات ، اما بالزمان ، واما بالطبع ، فاما ان تكون في متحرك كائن فاسد ، واما ان تكون في متحرك ازلى . ثم قال : فان كانت في متحرك كائن ، فليست هى الاولى لا بالطبع ولا بالزمان ، لانه لا يقدر احد ان يضع ان الحركة الاولى هى هيئة في متحرك متكون . ولو كانت المتحركات الاولى التى في هذا العالم حادثة متكونة ، لكان لها حركة اولى متقدمة عليها ، اما بالزمان ، واما بالطبع ، والا لم يوجد الاخير . فلما تقرر له ان المتحرك بالحركة الاولى يجب ان يكون ازليا ، اخذ يطلب : هل يمكن ان توجد هذه الحركة الاولى ، متقدمة بالزمان على جميع الحركات ، من غير ان تتقدمها حركة زمانية اصلا ؟ ام انها هى متقدمة بالطبع فقط - اى بالذات - ؟ فاما تقدمها بالزمان على جميع الحركات ، فذلك انما يتصور بان يكون المتحرك بها لم يزل ساكنا ، ثم تحرك بعد ان لم يكن متحركا . الا انه اذا وضع هذا ، لزم ان تكون قبل الحركة الاولى المفروضة ، حركة اخرى متقدمة عليها ، فلا تكون اولى لا بالزمان ولا بالطبع ، وذلك انه اذا كان المحرك موجودا لم يزل ، والمتحرك كذلك ، فاما ان تكون الحركة لم تزل ولا تزال ، واما ان يكون الساكن لم يزل ولا يزال ، واما ان يكون ها هنا سبب آخر حادث ، اقدم منهما ، هو الذى اوجب للمحرك ان يحرك ، وللمتحرك ان يتحرك بعد ان لم تكن عنهما حركة . وكل حادث فاما ان يكون حركة ، واما تابعا لحركة . واذا كان ذلك كذلك ، فليس ها هنا حركة اولى ، لا بالطبع ولا بالزمان ، وذلك مستحيل . واذا امتنع ان يوجد للمتحرك الاول الازلى حركة اولى بالزمان ، فبين ان حركته الاولى لم تزل ولا تزال» . السماع الطبيعى . المقالة الثامنة . ص ١٠٧-١٠٩ . ونست اشك ان القارىء لم ينته الى حاصل ، على طول هذا النص ، ولذلك اضعه مبسطا ومختصرا كما يلي : قصد ارسطو ان يبين ان الحركة ليس لها بداية ، لا بمعنى ان كل حركة حادثة لها حركة قبلها ، بل بمعنى ان الحركة الكلية للعالم ، ليس لها مبدأ زمانى . وبيان ذلك انه عند ارسطو ، كل حركة فهى لا بد في متحرك ، فاما ان نفرض حركة ليس

لها بداية ، واما ان تكون لها بداية ، اى حركة اولى . فاذا ابطنا الفرض
الثانى ، بقى الاول . فلنفرض ان للحركة بداية ، اى حركة
اولى متقدمة على جميع الحركات ، فانها : اما ان تكون في متكون
- المتكون هو الحادث الذى له بداية ونهاية ، مثل البخار من الماء ،
وهكذا - ، واما ان تكون في ازل . ولا يمكن ان تكون في متكون ، لانها
في هذه الحالة لا تكون حركة اولى ، وقد فرضناها ازل - اما لماذا لا يكون
اولى؟ ، فهو لان المتكون انما يتكون او يحدث بحركة ، فتكون هذه
سابقة على تلك الحركة - ، فاذا لم تكن هذه الحركة الاولى في متكون ،
فلا بد ان تكون في ازل . فاذا فرضناها في ازل ، : فاما ان تكون ليست
ازلية مثل الازلى ، واما ان تكون ازلية مثله . فان نانت ازلية مثله ،
فهذا يخالف فرضنا لها حركة اولى ، اى لها بداية . وان كانت ليست
ازلية مثله فهذا يقتضى ان الازلى كان ساكنا ، ثم حدثت فيه الحركة
الاولى ، ولكن حدوث الحركة يفتضى حركة سابقة عليها ، فلم تكن
حركة اولى ، وعليه اذا ثبت استحالة افتراض حركة اولى في متكون ، او
ازل ، ثبت بطلان الفرض كله ، وهو افتراض حركة اولى لها بداية قبل
كل الحركات . فبقى الفرض المقابل ، وهو ان الحركة ليس لها مبدأ ،
وانها ازلية ، وموضوعها او المتحرك ازل ايضا .

ونعود الى كلام ابن رشد ليقول لنا عن المغزى من كلام ارسطو
هذا ، ومخالفته لما فهمه عنه يحيى النحوى والمتكلمون والفارابى وابن
سينا وابن الصائغ .

يقول ابن رشد : « هذا هو الذى ينبغى ان يفسر به كلام ارسطو
في اول هذه المقالة ، لا ما ظنه قوم ، من ان قصده انما كان ان يبين ان
الحركة لا تخلو بالجنس . فانما كان نظره في جملة العالم ، والحركة
التي لا تخلو بالجنس هى في جزء من العالم ، وكون كل حركة مما
دون الحركات الاول ، قبلها حركة ، هو امر موجود بالعرض وتابع
لحركات الاول ، فانه لا يمكن ان يكون قبل الحركة الحادثة حركة
حادثه بالذات ، لانه لو كان كذلك لم توجد حركة حادثة ، الا بعد انقضاء
حركات لا نهاية لها ، وهو امر مستحيل . وهذا شئ قد بينه ارسطو
في الخامسة من هذا الكتاب ، حين بين انه ليس يجب ان يكون حدوث
الحركة بحركة ، ولا حدوث الكون بكون ، لانه لو كان ذلك كذلك ،
لم يوجد الكائن الاخير (١) . وافلاطون ، ومن تبعه من المتكلمين من

(١) لان الامر سيتسلسل الى ما لا نهاية من الحركات وما لا نهاية له
لا ينقطع ولا يتحقق جميعه فلا يوجد الكائن الاخير . واشارة ابن

اعل منتنا وملة النصرارى ، وكل من قال بحدوث العالم انما بوهوما
فيما بالعرض انه بالذات ، فمنعوا ان توجدنا هنا حركة قبل حركة الى
غير نهاية .

فقالوا بوجود حركة اولى في الزمان (١) ، فلزم ان يكون قبلها
حركة ، فراموا ان يجدوا انفصالا عن هذا الشك فلم يجدوه (٢) .

رشد هي الى الى الفصل الخامس من السماع الطبيعي ونصه كما
يلي: «اذا كان المقصود بان للحركة حركة على اساس ان الحركة
موضوعة للحركة ، فهذا محال ، لان التغير ليس بموضوع للتغير ،
ولا هو شيء لاث مشار اليه ، ونو جاز ذلك لان التغير ينقلب
عن طبيعته وهو التغير الى عدم التغير ، وهو ان تصير الحركة
سكونا او وضعنا لها بانها حركة او تغير . اما اذا اريد به ان
يكون للتغير المتناهي الى سكون وفي تغير واحد ، تغير ، وللحركة
حركة الى غير نهاية ، فهو ممكن وضرورى اذا كان بالعرض في
اشياء كثيرة ، وهو غير ممكن اذا كان بالذات وفي متغير واحد
بعينه ، لانه يلزم عنه خروج ما لا يتناهي بالفعل . ومستحيل
خروج شيء الى الفعل ، اذا كان متقوما باشيء لا نهاية لها» .
بتصرف . السماع . الخاصة . ص ٦١-٦٢ .

(١) لانهم جعلوا كل حركة متوقفة في وجودها على حركة سابقة
لها كعلة ومعلول ، وهذا يقتضى وجودهما معا بالفعل ، وما لا
نهاية له لا يوجد بالفعل . فافتضاهم ذلك الوقوف عند زمان
اول بدأت فيه الحركات جميعا . ولكن ابن رشد سيبين ان
الحركة التى للعالم واحدة ازلية ، وان الحركات الجزئية
عرضية ، ولذلك لم يصطدم بمسألة استحالة تحقق حركات او
اشياء لا نهاية لها ، بعضها قبل بعض بالذات .

(٢) قصد ابن رشد هنا ، انه يلزمهم على ذلك تفسير : كيف تنشأ
الحركة اذا لم تكن موجودة ازلا؟ ان قيل بوجود اله هو الذى
اوجدها ، فيلزم على هذا مخالفة دليل العلة التامة والترجيح
بلا مرجح . وان لم يفرض اله فهذا يقتضى ان النقص والقوة
سابقة على الكمال والفعل ، فلا مبدل لهذا الوضع ، لان ما هو
بالقوة لا يصير بالفعل الا بواسطة شيء هو بالفعل ، وهذا مبدأ
ارسطى :

واكثر من اوجب الشك على ارسطو ، من قال ان قصده في هذا الموضوع - اى في اثبات ازلية الحركة - انما هو ان يبين ان قبل كل حركة حركة ، وانما انى بحد الحركة لمكان هذا ، كما توهم ابو نصر عليه في كتابه في (الموجودات المتغيرة) ، وغيره ممن اتى بعده كآبى سينا وابى بكر بن الصائغ . وقد كان توهم عليه ذلك قبلهم يحيى النحوى ، فأخذ يرد على ارسطو ، من قبل انه وضع ان قبل كل حركة حركة بانذات ، فعرض للمتفلسفين من اهل ملتنا في ذلك شك ، وهو الذى اضطرب ابا نصر ان يضع في ذلك مقالته الموسومة (بالموجودات المتغيرة) ، فانه رام هنالك ان يفحص على اى نحو يمكن ان يكون قبل الحركة حركة ، وبين الممتنع من ذلك من الواجب ، وذلك انه زعم انه ان لم يكن ها هنا صنف واجب ، كان ما اخذ في حد الحركة باطلا ، لانه ظن ان حد الحركة انما اتى به ارسطو ليبين ان قبل كل حركة حركة ، وذلك كله ظن غير صحيح . فعلى هذا فليعتمد في هذا الموضوع ، لان التفسير الاول - اى تفسير غيره ممن اورد اسمهم اعلاه - يعترض فيه شك من قال بحدوث العالم ، ويظن ايضا من ارسطو انه تناقض» . السماع الطبيعى . الثامنة . ص ١٠٩-١١١ .

ولكى نيسر على البعض هذا النص الاخير ، اقول : ان هم ابن رشد وارسطو ، ان المتكلمين وغيرهم فهموا ان مقصود ارسطو هو ان قبل كل حركة حركة ، ولذلك اقاموا عليه قولهم ان هذا مستحيل ، ويلزم عنه حصول ما لا يتناهى بالفعل . وكذلك وضع عليه المتكلمون قولهم ببداية الحركة في الزمان ، ليتخلصوا من القول بتحقيق حركات لامتناهية بالفعل . وعند ابن رشد ان قصد ارسطو هو غير هذا . ان قصده حركة العالم كلها ليست عن حركة ولا تقتضى حركة سابقة عليها ، ولا يمكن تصورها حادثة ، والا لزم الاستحالات التى عرضها ابن رشد وعرضناها سابقا في اول النص . وكذلك لزم حصول ما لا يتناهى بالفعل . ولما كان ذلك كذلك ، فالحركة لا بداية لها ، ولا هى عن حركة ، كما بين ارسطو في المقالة الخامسة واقتبسته سابقا . فهكذا يسلم موقف ارسطو بعيدا عن الشبهات ، ولا تفيد في هدمه اقوال المتكلمين او يحيى النحوى عن استحالة تحقق ما لا يتناهى بالفعل . وصح ان تكون الحركة المطلقة قديمة وعنهما تنشأ حركات لا الى نهاية بالعرض .

انظر ما وراء الطبيعة
وكذلك نفس الكتاب :
وفي مقالة اللام يقول ارسطو : « فان وجد محرك ، او فاعل وهو

الا يوضع لها مبدأ ، لان ماله مبدأ فله نهاية ، وما ليس له نهاية فليس له مبدأ^(٤٧) ، وما لا اول له فلا آخر له ، وما لا آخر له فلا انتهاء لجزء من اجزائه ، ولذلك اذا سأل المتكلمون الفلاسفة : هل انقضت الحركات التي قبل الحركة الحاضرة ؟ كان جوابهم : انها لم تنقض ، لان من وضعهم انها لا اول لها ، فلا انقضاء لها . فايهام المتكلمين ، ان الفلاسفة يسلمون انقضاءها ، ليس بصحيح . فقد تبين لت انه ليس في الادلة التي حكاهما عن المتكلمين في حدوث العالم كفاية في ان تبلغ مرتبة اليقين ، وانها ليس تلحق بمراتب البرهان ، ولا الادلة التي ادخلها وحكاهما عن الفلاسفة في هذا الكتاب ، لاحقة بمراتب البرهان وافضل ما يجابوب به من يسأل : عما دخل من افعاله في الزمان الماضي ؟ ان يقل^(٤٨) : دخل من افعاله مثل ما دخل من وجوده ، لان كليهما لا مبدأ

(٤٧) هذا تعريض بمذهب افلاطون والمتكلمين ، كما يشير صراحة في آخر النص الذي انا بصدد ابراده اعلاه في الصفحة الثانية . وحول موقف افلاطون وارسطو والمتكلمين وجالينوس الخ ، والمصادر : انظر اطروحتي ص ٣٣٨ ، حاشية ٢ .

(٤٨) ليتذكر القارئ ما قلته ص ٤٣ . ونجد كلام ابن رشد هذا في كتاب آخر . يقول في كتاب : ما بعد الطبيعة . ضمن رسائل ابن رشد ، حيدر آباد ١٣٦٥ - ص ٩٤ . «ويلزم هؤلاء - اي المتكلمين - ، من اشتراطهم في الفاعل ان يكون متقدما بالزمان ، محالات اخر . فاذا سئلوا : كيف يكون تقدم فاعل الزمان على الزمان ؟ ناهت رؤوسهم لانهم : ان قالوا : بغير زمان ، فقد افروا بوجود فاعل ليس يتقدم مفعوله بالزمان . وان قالوا : بزمان ، عاد السؤال عليهم في ذلك الزمان . او يقولون : ان الزمان قائم بذاته ، وغير معلول ، وهذا مما لا يقولون به » . ويبدو ان فكرة ابن رشد هذه اعنى الاستشهاد بما تقدم من وجود الله في الماضي منذ الازل الى الوقت الحاضر ، على جواز افتراض زمان لا بداية له في الماضي ، وحركة واشخاص الخ

لا يفعل شيئاً ، لا توجد حركة ، ولا ان فعل ، مع كون جوهره بالقوة ، توجد حركة ازلية . وذلك ان الموجود بالقوة لا يمكن ان يفعل ، فيجب ان يكون جوهر مثل هذا المبدأ فعلاً « مقالة اللام . ضمن (ارسطو عند العرب) ج ١ . فصل ٦ . ص ٥ .

له» (٤٩) • ويقول ابن رشد بعد هذا ، مناقشا فكرة الشفع والوتر الغزالية المارة اعلاه : « هذا القول - اى قول الغزالي : (لابد من تصور العدد شفعا او وترا ٠٠٠) - يصدق فيما له مبدأ ونهاية خارج النفس ، او في النفس ، واما ما كان موجودا بالقوة ، اى ليس له مبدأ ولا نهاية ، فليس يصدق عليه انه شفيع ولا انه وتر (٥٠) ، ولا انه ابتدأ ولا انه انقضى ، ولا دخل في الزمان

كانت مسبوقه • فيحدثنا ابن حزم ، انه احتج على بداية الزمان بدليل مفاده : انه منذ ان كان الزمان الى الان يساوى من الان الى ما وقع من الزمان معكوسا ، وواجب فيه الزيادة بما يأتى من الزمان ، والمساوى لا يقع الا في ذى نهاية ، فالزمان متناه ضرورة» ، وانه - اى ابن حزم - الزم بهذا الدليل بعض الملحدين ، وهو ثابت بن محمد الجرجاني «فاراد ان يعكسه علي في بقاء البارى عز وجل ٠٠٠٠» الفصل ٠ ج ١ ص ١٦-١٨ • كما ان ابن سينا والفارابى استخدمتا نفس الحججة • انظر ج ٠ ف علي قول الغزالي بالشفيع والوتر الذى ساورده بعد الانتهاء من النص عن ابن رشد • كما اننا نجد في : النجاة • ص ٤١٩-٤٢٠ • والشفاء ج ٢ ، ص ٣٧٠-٣٨٠ •

(٤٩) تهافت التهافت • ص ١٧-٢٢ •

(٥٠) انظر ما سبق ص ٨٢-٨٩ • حيث اوضحت ان الخطأ في مثل اقوال الغزالي والكلاميين هو معاملتهم كمتناه ، ما هو ليس بمتناه • فعندنا نفرض ان عددا ما هو ليس متناهيًا ، فاننا نجعله متناهيًا حالما نقول : انه : اما زوج او فرد ، لان كلمة زوج او فرد ، انما تطلق بحق العدد المحدود وليس اى عدد • ان كل زوج او فرد عدد ، ولكن ليس كل عدد زوج او فرد • فاذا قال شخص : العدد المحدود : اما شفيع او وتر ، كان قوله صحيحا ، ولكن اذا قال : العدد اما شفيع او وتر ، كان كلامه مغالطا ، لان من جملة العدد ما لا يتناهى وما لا يتناهى ليس شفعا ولا وترا ، لان الشفع يصير وترا اذا زدنا او انقصنا منه واحدا • ونحن نعرف مبدئين رئيسيين يقتضيهما منطق اللامتناهى : الاول : ان ما لا يتناهى مهما اخذنا منه لا ينقص ، ومهما زدنا عليه لا يزيد • بينما اى عدد نفرضه شفعا او نفرضه وترا ، يمكن الزيادة فيه والانقاص منه • وبرهان ان ما لا يتناهى ، لا ينقص : لنفرض جدلا ان اللامتناهى اذا اخذنا منه عددا محدودا فانه ينقص ،

الماضى ولا في المستقبل ، لان ما في القوة في حكم المعدوم • وهو معنى قول الفلاسفة : ان الدورات التى في الماضى والمستقبل معدومة • وباختصار ، ان كل جملة محدودة ، ذات مبدأ ونهاية ، فاما ان يتصف بذلك ١ - من حيث له مبدأ ونهاية خارج النفس • ٢ - واما من حيث له ذلك ، من حيث هو في النفس لا خارجها • فالاول ضرورة زوج او فرد • واما ما كان منها جملة غير محدودة خارج النفس فانها لا تكون محدودة الا من حيث هى في النفس • ان النفس لا تتصور ماهو غير متناه في وجوده ، فتتصف من هذه الجهة بانها زوج او فرد ، لامن جهة كونها في الخارج ، كما في الزمان والحركة الدورية • والسبب في هذا الغلط ان الشئ اذا كان في النفس بصفة ، اوهم انه يوجد خارجها بتلك الصفة • ولما لم يكن شئ • ، مما وقع في الماضى ، يتصور في النفس الامتاهيا ، ظن ان كل ما وقع في الماضى ان هكذا

فيصير الناتج متناهيا ٩-٣ = عدد محدود • فالان اذا جمعنا الناتج مع المطروح ، يجب ان يعود المطروح منه ، حسب بديهية نقول : اذا طرح من عدد ، عدد ، واعيد اليه ، عاد كالأول • وعليه : الناتج + المطروح = المطروح منه • فبالتعويض نقول ٣ + محدود (الحاصل) = محدود • لان احدى البديهيات نقول : اذا اضيفت كميات محدودة الى اخرى محدودة ، فالنتائج محدودة • فيظهر من هذا اننا لم نحصل على اللامتناهى • وعليه فافتراض ان ما لا يتناهى ينقص باطل • وانوقوع في هذا الغلط ، هو الذى ادى بالكندى الى شحن رسائله بهذه المغالطات ، ليثبت تناهى جرم العالم ، وبالتالي حدوثه •

انظر رسائل الكندى الفلسفية ، نشر (ابو ريدة) ، القاهرة • ١٩٤٥ ج ١ • ص ١١٤ فما بعد ، ١٨٨ فما بعد ، ١٩٤ فما بعد ، ٢٠٢ فما بعد • وانظر بحثى عن هذه المسألة ضمن مقالتي : (دليل الكندى في حدوث العالم المستند على تناهى جرم العالم ، ونقده) الاقلام ج ٨ ، السنة الثالثة ١٩٦٧ ص ١٤١ فما بعد • اما المبدأ الثانى فهو ان عقولنا لا يمكن ان تتفهم اللامتناهى كشيء بالفعل (موجود كله) ، بل كشيء بالقوة ، بمعنى اننا كلما فرضنا حدا او عددا ، امكن الزيادة عليه دائما • بينما افتراض اللامتناهى شغفا او وترا ينقض هذه الطبيعة •

طباعه خارج النفس • ولما كان ما وقع من ذلك في المستقبل تعين على ما لا نهاية فيه التصور بان يتصور جزء بعد جزء ، ظن افلاطون والاشعرية ، انه يمكن ان تكون دورات الفلك في المستقبل لا نهاية لها • مع ان الاولى ان يضع ، من وضع للعالم مبدأ ، ان يضع له نهاية ، كما فعل كثير من المتكلمين» (٥١) •

وبصد احتجاج ابن رشد بمسألة النفوس ، وانها لا متناهية وموجودة بالفعل بعد الموت ، والتي سبق ان اشرت الى انها قول ابن سينا يقول ابن رشد : «واما وضع نفوس من غير هيولى - مادة - ، كثيرة بالعدد ، فغير معروف من مذهب القوم - اى الحكماء - لان سبب الكثرة العددية هي المادة عندهم ، وسبب الاتفاق - اى كونها ذات ماهية واحدة - هو الصورة • واما ان توجد اشياء كثيرة بالعدد ، واحدة بالصورة ، بغير مادة ، فمحال» (٥٢) • ويرد ابن رشد بقول آخر فيقول : «ان امتناع ما لا نهاية له على ما هو موجود بالفعل ، اصل معروف من مذهب القوم ، سواء كان اجساما او غير اجسام • ولا نعرف احدا فرق بين ماله وضع ، وما ليس له وضع في هذا المعنى الا ابن سينا فقط ••• وهو خرافة ، لان القوم ينكرون وجود ما لا نهاية له بالفعل سواء كان جسما او غير جسم ، لانه يلزم عنه ان يكون ما لا نهاية له اكثر مما لا نهاية له • ولعل ابن سينا انما قصد اقناع الجمهور فيما اعتادوا

(٥١) تهافت التهافت ص ٢٤-٢٥ •

(٥٢) تهافت التهافت • ص ٢٦-٢٧ • وهذا ما يراه ابن سينا نفسه في دليبه على ان النفوس تولد مع النطفة ولا توجد قبلها في عالم علوى ، كما هو رأى افلاطون • ولذلك استحال عنده ان يفرض انها كثيرة قبل حلولها في الاجسام ، لانها واحدة بالصورة وليس فيها مادة تكثرها ، واستحال ان تكون واحدة ثم تجزأت في الاجسام ، لان البسيط لا ينجزء ، ولذلك انتهى الى القول بانها تخلق مع كل نطفة •

سماعه (٥٣) من امر النفس ، لكنه قول قليل الاقناع ، فانه لو وجدت اشياء
بالفعل لا نهاية لها ، لكان الجزء مثل الكل ، اعني اذا قسم ما لا نهاية له على
جزئين (٥٤) .

(٥٣) قلت سابقا ص ١٤٤ حاشية ٤٠ ان اسبابا خليقة دعته الى القول بخلود
النفوس الانسانية . ان المستحيل المخالف لمبدأ : ان ما لا يتناهي لا
يوجد بالفعل ، هو ان يفرض المرؤ وجود جميع النفوس اللامتناهية
معا ، على افراد ، في زمان متناه . والظاهر المرجح عندي ان ابن سينا
انما قال بتكثر النفوس الانسانية بدون مادة واجساد ، على اساس
ما كسبته كل نفس خلال حياتها مع الجسد في هذا العالم ، من خبرات ،
فصارت بذلك لها شخصيتها المنفردة عن نوعها حتى بدون مادة . وهذا
التشخص ، بعد موتها هي ، لا بعد قيام القيامة للجميع كما في التصور
الكلامي والديني الشائع . وهذا يفسر شيئين : ١ - يفسر لماذا خالف
ابن سينا المبدأ القائل عندهم : بان مكثر الماهية الواحدة هو الهيوئى ،
وبدونها تكون او تعود الكثرة شيئا واحدا بسيطا . ٢ - يفسر لماذا
اجاز ابن سينا ان تكون هناك نفوس لا نهاية لها بعد الموت وباستمرار ،
لا على اساس انها جميعا وهي لا متناهية بالعدد - تجتمع معا ، فيصير
ما لا يتناهي موجودا بالفعل وهو مستحيل ، بل على اساس اللامتناهي
بالقوة ، لان عملية موت الناس وذهاب النفوس الى الاعلى عملية دائمة
ابدية لا نهاية لها . ومثل هذا لا يخالف مبدأ اللامتناهي بالقوة ، وهو
بعيد عن اللامتناهي المتحقق بالفعل ، تماما كما يفترض ابن سينا وابن
رشد ان اشخاص البشر في هذه الدنيا لا نهاية لعددهم ، لا باعتبار انهم
جميعا متحقق وجودهم الان معا ، بل على اساس انه في كل آن من
الزمان اللامتناهي ، يوجد اشخاص يعقب بعضهم بعضا ودائما . هذا
هو رأى ويحتاج الى مزيد نظر . ومنه يتبين ان ليس للغزالي حجة في
هذا الصدد ، لان ابن سينا لا يقول بوجود جميع النفوس الانسانية
اللامتناهية العدد بالفعل . ولعل في هذا ما يجلى بعض الغموض الذى
يبدو ان ابن رشد يراه في موقف ابن سينا من هذه المسألة .

(٥٤) قوله : لكان الجزء مثل الكل وقوله : يلزم عنه ان يكون ما لا
نهاية له اكثر يفسر عندي كما يلي : لنفرض جسما لا نهاية له
موجودا بالفعل ، فاذا قسمناه يجب ان يكون كل قسم منهما لا متناهيا ،
لان مجموعهما يجب ان يكون لامتناهيا . بينما لو كان كل منهما بعد

هذا هو موقف ابن رشد من احتجاج الغزالي على تساهي الزمان
والحركات الفلكية بالشفع والوتر • وفيما يلي جواب الفلاسفة (ابن سينا
والفارابي) حسب نقل الغزالي في التهافت :

ج • ف : « هذا ينقلب عليكم - على الغزالي والمتكلمين - في ان الله قبل
خلق العالم ، كان قادرا على الخلق بقدر سنة او سنتين ، ومدة الترك متناهية
او غير متناهية ؟ فعلى الاول ، يكون وجود الله متناهيًا ، وان قلتم : غير متناهية ،
فقد انقضت امكانات لا نهاية لاعدادها» (٥٥) •

ج • غ : « الزمان والمدة عندنا مخلوقان ، كما سنين ذلك عند الجواب
على الدليل الثاني» (٥٦) •

ج • د : « اكثر من يقول بحدوث العالم ، يقول بحدوث الزمان معه ،

القسمة متناهيا لكان الناتج من جمعها متناهيا • فعليه يكون الجزء
مثل الكل ، اى ان جزء الجسم المقسوم يكون لا متناهيا مثل كله وهو
الجسم قبل القسمة • ونحن نعلم ان الكل اكبر من جزئه فهذا يعنى
- وكل منهما لا متناه - ان اللامتناهي اكبر من اللامتناهي ويمكن
تفسيره على طريقة حجج زينون • ولعل في النص التالى عن عبدالقاهر
البغدادي ، ما يفسر قول ابن رشد السابق ويؤيد صحة تفسيره على
اساس حجج زينون في القسمة الثنائية او السهم • يقول البغدادي في
(اصول الدين) اسطنبول ١٩٢٨ ص ٣٦ : «فاما اثبات الجوهر جزء
لا يتجزأ ، فعليه جمهور المسلمين غير النظام ، فانه زعم انه لا نهاية
لاجزاء الجسم الواحد • وبه قال اكثر الفلاسفة • ولو كان كما قالوه ،
لم يكن الجبل باعظم من الخردلة ، اذا لم يكن لاجزاء كل منها نهاية ،
لان ما لا نهاية له في الوجود ، لا يزيد على ما لا نهاية له في الوجود» •

(٥٥) تهافت الفلاسفة • ص ٣٥ ونجد شبهها لهذه الصيغة عند ابن سينا :

النجاة ص ٤١٩-٤٢٠ ، والشفاء ج ٢ ص ٣٧٨-٣٨٠ •

(٥٦) تهافت الفلاسفة ص ٣٦ •

فلذلك كلام الدليل عن مدة الترك ، غير صحيح ، لان الخصم لا يسلم ان للترك مدة ، فلا يصح ان يقال : هو اما متناه او غير متناه» (٥٧) .

وقد اوضحت سابقا ، ان الجواب الذى يقدمه الغزالي ومفاده ، ان الزمان عدد حركة العالم ، فاذا لم يكن عالم ، لم يكن زمان - وهو ما سيوضحه في رده على دليل الفلاسفة الثانى فيما بعد - جواب غير مفيد . كما ان قول ابن رشد : بان الله ليس بذى زمان ، وان الترك لا يعترف به الخصم ، غير مدرك لحقيقة حجة الفلاسفة السابقة . ذلك اننا نتحدث عن زمان الله نفسه . ان الله له زمان على اساس ان الزمان هو مقياس وجود المتزمن وهو الله ، ونسميه الزمان المطلق او السرمد والدهر (٥٨) . ولاشك انه قد انقضى زمان منذ الازل حتى اوجد الله العالم ، ومعه الزمان المحصور الذى هو زمان العالم المحدث . فهذه المدة منذ اوجد الله العالم راجعين الى الوراء في الماضى عبر الازل ، هى مدة كان الله فيها تاركا ، اى غير موجد للعالم حسب مذهب المتكلمين ، فهذه المدة يلزم المتكلمين : اما ان يقولوا انها ذات بداية ، فيصير الله - لانها زمنه - ذا بداية ككل حادث له بداية ، وهذا يناقض اقرارهم بازليته ، واما ان يقولوا : ان مدة الترك هذه ، ليست ذات بداية ، فيلزم انتضاء ما لا نهاية له من الزمان ، فيجوز عندئذ للفلاسفة ان يقولوا مثل هذا القول فيما يخص الحركة والاشخاص الانسانية الامتاهية الخ .

فقد وضع قوة حجة جواب الفلاسفة هذا ، وعدم كفاية اعتراض الغزالي واعتذار ابن رشد من اجلهم .

(٥٧) انظر مما يلى : الفصل الرابع .

(٥٨) ابن سينا : تسع رسائل . ص ١٢ والنجاة . ص ١٩٢ وابو البركات : المعتبر . ج ٢ فصل ١٧ ، ١٨ الى ص ٨٠ .

وعلى كل حال فان التعديل الذى يجريه ابن رشد على قول الفلاسفة السابق ، تعديل يجعل جوابهم في نجوة من الاعتراض عليهم بمسألة كون الله في زمان ام لا ؟ يقول ابن رشد : «وانما الذى يلزمهم - اى يلزم المتكلمين بامكان افتراض دورة حالية قبلها دورات لا نهاية لها - ان يقال لهم : حدوث الزمان ، هل كان يمكن فيه ان يكون طرفه الذى هو مبدأه ابعد من الان الذى نحن فيه ، او ليس يمكن ؟ فان قالوا : ليس ، فقد جعلوا قدره الله قادرة على مقدار محدود ، وان قالوا : يمكن ، قيل وهل يمكن ان يكون طرف ابعد من الطرف الثانى وهكذا ؟ فان قالوا : نعم ، ولا بد لهم من ذلك ، قيل : فيها هنا امكان حدوث مقادير من الزمان لا نهاية لها ، ويلزمكم على قولكم في الدورات ان يكون انقضاؤها شرطا في حدوث المقدار الزمانى الموجود منها ، وان قلتم : ان ما لا نهاية له لا ينقضى ، فما الزمتم خصومكم في الدورات الزمكم (٥٩) .

(٥٩) تهافت التهافت . ص ٣٣ .

الفصل الثاني

ما مر هو الاعتراض الاول للغزالي على دليل العلة التامة ، على اساس ان الارادة الالهية القديمة اقتضت احداث العالم في الوقت الذي وجد فيه ، واجوبة الفلاسفة ، وموقف ابن رشد من الفريقين • وقبل ان نورد اعتراض الغزالي الثاني لابد من استعراض الجدل حول فرع آخر يتشعب من اعتراض الغزالي الاول ويتعلق بقول الغزالي : ان الارادة القديمة خصصت او اقتضت ان يوجد العالم في وقت مخصوص •

ض • ف : ان تخصيص الارادة لخلق العالم في زمن مخصوص أمر غير ممكن • والحجة هي : « ان الاوقات متساوية في جواز تعلق الارادة بها ، فما الذي ميز وقتا معينا عما قبله وعما بعده ، والشئ لا يتميز عن مثله الا بمخصص ؟ فان قلم : ان الارادة خصصت ، فالسؤال عن اختصاص الارادة وانها لم اختصاصت » (١) •

ج • ع : انما وجد العالم حيث وجد ، وعلى الوصف الذي وجد ، وفي المكان الذي وجد بالارادة • والارادة صفة من شأنها تمييز الشئ عن مثله ، ولولا ان هذا شأنها ، لوقع الاكتفاء بالقدرة ، ولكن لما تساوى نسبة القدرة الى الضدين ولم يكن بد من مخصص وراء القدرة ، قيل : للتقديم وراء القدرة صفة من شأنها تخصيص الشئ عن مثله ، فقول القائل : لم اختصاصت الارادة باحد المثلين ؟ كقول القائل : لم اقتضى العلم الاحاطة بالمعلوم ؟ فيقال : لان العلم عبارة عن صفة هذا شأنها ، فكذلك الارادة ذاتها تمييز الشئ عن مثله » (٢) •

(١) تهافت الفلاسفة • ص ٣٦-٣٧ •

(٢) تهافت الفلاسفة • ص ٣٨ وقد اشرت الى سبق الاشعري الى هذا الجواب • ص ١١٧ رقم ٤ متن من هذا البحث • ونجده في كتاب الغزالي « الاعتقاد في الاعتقاد » ص ٤٣-٤٦ مفصلا • معراج السالكين من ٤١ فما بعد •

ونجد تفصيلا لمسألة الارادة المخصصة في (الاقتصاد) ، فعند حديث الغزالي عن صفة الارادة وانها ضرورية لله ، يقول :

« ندعى ان الله تعالى مرید لأفعاله ، وبرهانه ان الفعل الصادر منه مختص بضروب من الجواز لا يتميز بعضها من البعض الا بمرجح ، ولا تكفى ذاته للترجيح ، لان نسبة الذات الى الضدين واحدة وكذلك القدرة لا تكفى فيه ، اذ نسبة القدرة الى الضدين واحدة ، وكذلك العلم لا يكفى ، خلافا للكعبى» (٣) .

« فان قيل : هذا ينقلب عليكم في نفس الارادة ، فان القدرة كما لا تناسب احد الضدين (اي تختص باحدهما دون الاخر) فالارادة كذلك ، ينبغي ان يكون اختصاصها بمخصص الى ما لا نهاية . قلنا : هذا سؤال غير معقول حير عقول الفرق ، ولم يوفق للحق الا اهل السنة ، فالناس فيه اربع فرق» . وهى بتصرف .

- ١ - قول الفلاسفة : الذات قديمة وليس لها صفة زائدة ، والعالم قديم كذلك ونسبة العالم الى الله كنسبة المعلول الى العلة والنور الى الشمس .
- ٢ - المعتزلة ، قالوا : العالم حادث ، حدث في الوقت الذى حدث فيه ، لا قبله ولا بعده ، لارادة حادثة ، حدثت له لا في محل اقتضت حدوثه .
- ٣ - القائل : حدث العالم بارادة حادثة ، حدثت في ذات الله ، والله محل للحوادث (٤) .

(٣) الاقتصاد ص ٤٣ .

(٤) هذا رأى الكرامية والهشامية ، واما رأى الاول فليس هو قول جميع المعتزلة بل قول العلاف منهم . والقول الرابع هو قول الاشاعرة ومتبعي الطريق الصحيح - اهل السنة - على الا تأخذ هذه التسمية بمقابلة الشيعة (تفاصيل هذه المواقف في اطروحتى القسم الثانى الفصل الثانى ص ٢٧٨-٢٨٣) .

٤ - حل اهل السنة ، وهو الذي اختاره الغزالي : العالم حدث في الوقت الذي تعلق الارادة القديمة بحدوثه في ذلك الوقت ، من غير حدوث ارادة ومن غير تغير صفة القديم . يقول : ولكل هذه الفرق اشكال الا القول الرابع .

وينتقد الحلول الثلاثة فاولا : رده على قول الفلاسفة اعلاه : قولهم بقدوم العالم محال ، لان الفعل يستحيل ان يكون قديما ، اذ معنى كونه فعلا^(٥) انه لم يكن ثم كان ، فان كان موجودا مع الله ابدا ، فكيف يكون فعلا ؟ بل يلزم من ذلك دورات لا نهاية لها ، وهو محال من وجوه على ما سبق^(٦) . ثم انهم مع اقتحام هذا الاشكال ، لم يتخلصوا من اصل السؤال وهو : ان الارادة لم تعلق بالحدوث في وقت مخصوص ، لا قبله ولا بعده مع تساوى نسب الاوقات الى الارادة ؟ فانهم ان تخلصوا عن خصوص الوقت ، لم يتخلصوا عن خصوص الصفات ، اذ العالم مخصوص بمقدار مخصوص ووضع مخصوص ، وكانت نقائضها ممكنة في العقل ، والذات القديمة لا تناسب بعض الممكنات دون بعض^(٧) . ومن اعظم ما يلزمهم فيه ، ولا عذر لهم

(٥) فهذا التعريف للفعل ، هو نقطة الخلاف بين الفلاسفة والمتكلمين القائلين بحدوث العالم بالزمان . ولذلك فهو مصادرة على المطلوب . وهذا البحث كله انما هو اجلاء لهذا الخلاف ، فان الفلاسفة لا يقولون بان العالم قديم بالذات وبالزمان ، وهو فعل الله . بل يقولون : هو محدث بالذات ، ولكنه قديم بالزمان ، لان الله علة تامة لو لم تفعل ازلا لكانت ناقصة ، على ما عرضناه في دليل العلة التامة .

(٦) المحالات ثلاثة ، ذكرها قبل ذلك في الاقتصاد نفسه ص ١٦-١٧ واوردتها فيما تقدم من هذا البحث ص ١٣٨ .

(٧) يريد الغزالي : ان كان الفلاسفة لهم بعض الحق في سؤالهم عن : لم خصصت الارادة وقتا من سائر الاوقات ، مع ان الاوقات متساوية ؟ فانهم انفسهم يقولون بتخصيص الارادة وصفات الله لواحد من

عنه ، امران ، اوردناهما في كتاب التهافت ، ولا محيص عنها البتة «...» (٨) .
والخلاصة : ان لابد من القول بوصف زائد على الذات من شأنه
تخصيص الشيء من مثله ، وهو الارادة .

اما رد الغزالي على فريق المعتزلة - جواب (٢) اعلاه - فهو :

١. - كيف يكون الله مريدا بارادة لا في محل ؟ فاذا لم تكن فيه - اى
في الله - كان القول هجرا .

٢ - لم حدثت الارادة في هذا الوقت على الخصوص ؟ فاما القول
بارادات متسلسلة ، واما القول : حدثت الارادة لا بارادة ، فليحدث العالم
في هذا الوقت على الخصوص لا بارادة .

اما رده على القائلين بحدوث الارادة في ذاته - جواب (٣) اعلاه - فهو :
دفعوا احد الاشكالين - السابقين على المعتزلة - ، وهو كونه مريدا بصفة في
غير ذاته ، ولكن زادوا اشكالا آخر ، وهو كونه محلا للحوادث ، وذلك
يوجب حدوث الله . وبقيت عليهم بقية الاشكال - الذى على المعتزلة - .

« اما اهل الحق - الحل الرابع اعلاه - فان قول القائل : لم تعلق
بها - اى لم تعلق الارادة بالحداثات - ، واضدادها مثلها في الامكان عندهم -
اى عند اهل الحق - ؟ سؤال خطأ ، فان الارادة ليست الا عبارة عن صفة
شأنها تميز الشيء عن مثله ، والسؤال مثل القول : لم اوجب العلم انكشاف
المعلوم ؟ فيقال : بلا معنى للعلم الا ما اوجب انكشاف المعلوم » (٩) .

امكانات متعددة ، بلا مخصص سوى ان الصفات الالهية شأنها
التخصيص ، مثل كون العالم عندهم على شكل وحجم معين ، مع جواز
ان يكون على غير هذا الشكل والمقدار . وسيعرض هذا مفصلا في
التهافت (انظر ما يلي ص ، ١٦٨ . ض . غ . الثانى) .

(٨) انظر ما يلي ص ، ١٦٨ ض . غ . الثانى .

(٩) جميع ما ذكرناه اعلاه عن (الاقتصاد) ص ٤٣-٤٦ .

جـنـف : « اثبات صفة شأنها تمييز الشيء عن مثله غير معقول بل هو متناقض ، فان كونه مثلا ، انه لا تمييز له ، وكونه مميزا ، انه ليس مثلا . ومن جهة اخرى ، فان ارادتنا لا تمييز الشيء عن مثله ، بل لو كان بين يدي العظشان خذ حان من الماء يتساويان من كل وجه ، لم يمكن ان يأخذ احدهما بل انما يأخذ ما يراه احسن أو اخف او اقرب الى جانب يمينه ، ان كان عادته تحريك اليمين ، او سبب من هذه الاسباب اما خفي واما جلي ، والا فلا يمكن تمييز الشيء عن مثله بحال» (١٠) .

والذي يلوح لي ان قول الفلاسفة : فان ارادتنا لا تمييز الشيء عن مثله . . . الخ . « اما ارادوا به انه بالنسبة لنا يستحيل ان يوجد مثلان (١١) » . ذلك ان الذي يحكم على شيئين بالتماثل او بالاختلاف هو نحن ، فالعلاقة بين ذاتنا وبين الموضوع ، هي التي تقرر الحكم ، ولما كان وجود شيئين بالنسبة لنا لا يمكن ان يكون واحدا من كل وجه ، لاختلافهما عن بعضهما بالنسبة لنا بالمكان او الوضع او ما شابه ، استحال وجود مثلين . وتلك هي النقطة المهمة في جواب الفلاسفة ، والتي ارى ان الغزالي في اجوبته عليها ، قد غفل عنها او تغافل . فان جوابه ينصب على افتراض صحة تسليم الفلاسفة بوجود المثليين ، وان نقطة الخلاف بينه وبينهم هل يمكن للارادة ان تميز وتختار واحدا من المثليين ام لا ؟

والى القارئ توضيح موقف الغزالي :

(١٠) تهافت الفلاسفة ص ٣٩ .

(١١) يقول زادة في (تهافته) ص ٨ : «واعترض عليه بعض الافاضل : باننا لا نسلم امكان وجود رغيف يتساوى جميع جوانبه ، ولو جاز مثل ذلك لاستحال ان يأكل الى ان يموت جوعا ، اذ المحال جاز ان يستلزم محالا آخر» . وهذا يذكرنا بمسألة حمار جوردان .

م. غ : يقوم موقف الغزالي من قول الفلاسفة هذا على اعتراضين :

ض. غ الاول : ان التمييز بين المثليين ممكن لارادتنا ، فهو ممكن بالاولوية للارادة الالهية « فانا نفرض تمرتين بين يدي المتشوق اليهما ، العاجز عن تناولهما جميعا ، فانه يأخذ احدها لا محالة ، بصفة شأنها تخصيص الشيء عن مثله ، حتى لو فرضنا المثلية بين التمرتين في الحسن والقرب وتيسر الاخذ» (١٢) .

ض. غ الثاني : يقدم الغزالي امثلة عن مذاهب خصومه ، يقولون فيها بتخصيص الارادة للشيء عن مثله بصفة في الفاعل للعالم ، فممكن ان يكون العالم بشكل وكمية غير هذه ، اكبر او اصغر . وكذلك في مسألة القطبين «على مذهبكم ، خصصتم المثليين في مسألتين : الاولى مسألة القطب ، فان السماء كرة متحركة على قطبين ثابتين ، الجنوب والشمال ، وكرة السماء متشابهة الاجزاء ، لانها بسيطة ، لاسيما الفلك الاعلى التاسع فانه غير مكوكب اصلا ، فما من نقطتين متقابلتين من النقط التي لا نهاية لها عندهم الا ويتصور ان يكون هو القطب ، فلم تعينت نقطتا الشمال والجنوب للقطبية ؟ والمسألة الثانية : تعين جهة حركة الافلاك ، بعضها من المشرق الى المغرب ، وبعضها بالعكس مع تساوى الجهات ، ما سببها ، وتساوى الجهات كتساوى الاوقات من غير فرق» (١٣) .

ملاحظات حول اقوال الغزالي (ض. غ الاول والثاني) :

حاصل اعتراضات الغزالي اربعة : الاول : ان التمييز بين المثليين ممكن . الثاني : لا بد لكم من القول بالارادة المخصصة للشيء عن مثله في تعيين شكل

(١٢) تهافت الفلاسفة . ص ٤٠ .

(١٣) تهافت الفلاسفة ، ص ٤١-٤٥ ، ومعراج ص ٤٤ والاقتصاد ص

٤٤ - ٤٥ ونجد قوله بتخصيص احوال المحدث بالوقت والمقدار الخ .

في «قواعد العقائد» ص ٩٤ .

ومقدار العالم • الثالث : وكذلك في مسألة القطبين • الرابع : وفي مسألة
الحركة المشرقية والمغربية •

وقبل ان ادخل في ردود الفلاسفة وابن رشد وحلولهم لهذه الاشكالات
احب ان اوضح بعض النقاط التاريخية •

فولاً : اوضحت - فيما يتعلق بمسألة التخصيص والجواز ، التي يدخل
فيها مسألة شكل ومقدار العالم - في اطروحتي تاريخ ظهور فكرة التخصيص
Specification وانها لا تتأخر في ظهورها عن القرن الثالث الهجري
بالتأكيد • بل انها تعود الى اسبق من هذا ، الى مطلع القرن الثالث ونهاية
القرن الثاني ، لانها تعتمد على فكرة الجواز Contingency ، التي نجدها عند
ضرار ومدرسة الاعراض^(١٤) • فقد كان ضرار ومدرسة الاعراض يرفضون
الضرورة في الاشياء ، وينكرون السببية والقوا على الطبيعية ، ويرجعون كل
علاقة مشاهدة بين سبب ومسبب الى فعل الله المباشر ، وينكرون وجوب الاصلح القائم
على اساس انه ليس في الامكان خير مما كان

No Thin, potential is better than what exists.

التي كان يعتقد بعضها بعض المعتزلة • وعلى كل حال ، فإنه من المؤكد اننا نجد فكرة
التخصيص والجواز واضحة في اواخر القرن الثالث ، فهي واضحة عند
الماتريدي والاشعري • وبذلك يتبين ليس فقط كون الغزالي قد استعارها ممن
سبقه ، بل وانها سابقة على الجويني الذي ينسبها اليه ابن رشد والشهرستاني
وونسك • وهي اقدم كذلك من الباقلاني استاذ الجويني ، الذي حاول ماجد

(١٤) انظر عن هذه لمدرسة وتاريخها «الفصل الثالث من القسم الثاني
من اطروحتي ص ٣٤٦ فما بعد • حيث يشار لأول مرة في تاريخ هذه
الدراسات الى المدارس الكلامية في اصل العالم وتفصيلها» •

فخرى ان يثبت انه اول من قال بها^(١٥) . وفيما يلي بعض النصوص المؤيدة لهذا الحكم :

يذكر الشهرستاني عن الاشعري قول الاخير : « لا معنى للمريد الا انه ذو ارادة . . . ، ويحصل بالارادة التخصيص بوقت دون وقت وقدر دون قدر وشكل دون شكل»^(١٦) . ويقول الماتريدي في واحد من استدلالاته على حدوث العالم بمحدث غيره :

(١٥) تفاصيل هذه الاحكام في الفصل الثاني من القسم الثاني من اطروحتي ص ٣٠٢ فما بعد ، ونظرا لانها مازالت قيد الترجمة الى العربية ، اضع بين يدي القارىء بعض المصادر بغية مراجعتها لمن شاء .

نظهر فكرة التخصيص عند الجويني «الارشاد» . نشر لوسيانى باريس ١٩٣٨ ص ١١ ومفصلا في الرسالة النظامية . نشر الكوتري . القاهرة ١٩٤٨ وترجمها وعلق عليها هالمون كلوبفر . القاهرة ١٩٥٨ ويستعمل الجويني كلمة مخصص في كتابه : «المع الادلة في قواعد عقائد اهل السنة والجماعة» تحقيق الدكتورة فوقية حسن محمود . القاهرة ١٩٦٥ ص ، ٨٠ فما بعد . اما اشارة ابن رشد والشهرستاني وونسك الى الجويني ، كاول من قال بالتخصيص ، فنجدها في : ابن رشد «مناهج» . ضمن : «فلسفة ابن رشد» . نشر مولر ، ميونيخ ١٨٥٩ ص ٣٧ . والشهرستاني «نهاية الاقدام» . ص ١٢ ، واشارة وونسك في كتاب : بنس «مذهب الذرة» . ترجمة ابو ريدة القاهرة ١٩٤٨ ص ٣٩ . اما اشارة ماجد فخرى الى الباقلاني ففي مقاله : The classical Islamic Argument for the exestence of God. M.W. April 1957. p. 139. Note. 29.

اما عن وجود فكرة التخصيص في اواخر القرن الثالث فنجدها في كتاب «المسائل» لابي رشيد ، ليدن ١٩٠٢ . ص ٦٥ و ٧٦ فما بعد .

و «التوحيد للماتريدي» . مخطوط . Combrdgie, Add 3691 ص ١٥-١٦ . وعن الاشعري انظر الشهرستاني «الملل» . ج ١ . ص ٨٦ . هذا بالاضافة الى عدة كتب وبحوث اخرى تؤكد النتائج اعلاه ، لم نذكرها خوف التطويل .

(١٦) الشهرستاني «الملل» ج ١ . ص ٨٦ .

« انه لو كان بنفسه - اى لو وجد العالم بنفسه - ، لم يكن وقت احق به من وقت ، ولا حال اولى من حال ، ولا صفة اليق به من صفة • واذا كان على اوقات واحوال وصفات مختلفة ، ثبت انه لم يكن به • ولو كان ، لحاز كل شىء لنفسه احسن الاحوال والصفات ، فتبطل الشرور ، فدل وجودها على كونه بغيره» (١٧) •

ويقول الباقلاني : « الحوادث متجانسة ، ولا يجوز ان يكون المتقدم منها متقدما لنفسه ، لانه لو كان متقدما لنفسه لوجب تقدم كل ماهو من جنسه ، وكذلك لو تأخر لنفسه • في العلم بان المتقدم من التماثلات لم يكن بالتقدم اولى منه بالتأخر ، دليل على انه له مقدما قدمه وجعله في الوجود •••• ، وكذلك اختصاص ما اختص من الاجسام بشكل معين مخصص ، لا يمكن ان يكون لنفسه او لصحة - أى لجواز - قبوله له ، لان ذلك لو كان كذلك ، لوجب قبوله لكل شكل يصح قبوله له في وقت واحد ، حتى يجتمع فيه جميع الاشكال المتضادة ، وفي فساد ذلك ، دليل على بطلان هذا ، واثبات أن كل ذى شكل منها ، انما حصل كذلك بمؤلف الفه وقاصد قصد كونه كذلك» (١٨) •

ولعل النص التالى عن كتاب «المسائل» • لا يبقى للغزالي سوى الاعادة والتكرار ، في قوله عن الارادة المخصصة ، لذاتها ، بين التماثلات وسواها • وهذا الكتاب صاحبه احد المعتزلة (٩٣٢-١٠٦٨م) • يقول « ان المعتزلة من البغداديين كانوا يشنعون على شيوخه من البصريين ، لقول الاخيرين بعدم جواز ان يفتى الله بعض الجواهر دون بعضها ، مع انها جنس واحد فكان البغداديون يقولون للبصريين : « جوزوا ان يفتى الفناء - الذى يوجد الله -

(١٧) الماتريدى «التوحيد» ص ١٥-١٦ •

(١٨) التمهيد • ص ٢٣-٢٤ •

بعض الجواهر دون بعض ، من غير مخصص ، كما انه يجوز ان يوجد
 القادر احد الضدين دون الآخر ، مع انه يصح منه ايجاد كل واحد منهما
 ويوجب المؤلف ابو رشيد - وهو قول ابو هاشم^(١٩) وابو علي من شيوخ
 المعتزلة ايضا : « هناك مخصص ، وهو كونه قادرا ، ولا يمكن ان يعلى بامر
 موجب ، لان ذلك يعود على تعلقه بالقادر بالنقض^(٢٠) . . . ، فأن قيل :
 ليست الارادة تتعلق بهذا المراد دون غيره ، وان كان حالها معه كحالها مع
 غيره ؟ قيل له : « ليس الامر على ما قدرت ، من ان حالها معه كحالها مع
 غيره ، وذلك انها ، لما هي عليه ، تتعلق بهذا المراد دون غيره ، فلو تعلقت بغير
 هذا المراد ، لكان في ذلك قلب جسها »^(٢١) .

ثانيا : وفيما يخص احتجاج الغزالي بمسألة القطبين والحرركات
 الشرقية والغربية ، فأن ثمة ما يدعوني الى الاعتقاد بان هذه المسألة اثرت من
 قبل الفلاسفة والمتكلمين قبل الغزالي . فنجد ابن سينا يشير صراحة الى احتجاج
 بعض خصومه بمسألة اختلاف حرركات الافلاك شرقية وغربية وما اشبه ذلك ،
 فيقول : « اما لم قيل ان هذه الاحوال هي هكذا . . . ، وما الحكمة في الحركة
 المستديرة ، ولم هي ، ولم بعضها شرقية وبعضها غربية . . . (الخ من اسئلة)
 . . . فذلك يضيق عن مثل هذا القصد . . . وان الناس اعداء ما جهلوا »^(٢٢) .

(١٩) ابو هاشم : هو «عبدالسلام بن ابي علي الجبائي . ت ٣٢١ هـ وهو
 رئيس معتزلة البصرة بعد ابيه . وابو علي : هو « ابو علي الجبائي الماز
 ذكره . ت سنة ٣٣٠ . واسمه محمد بن عبدالوهاب .

(٢٠) اي اذا اوجبنا على قدرة الله ان تتعلق بجميع الممكنات دون ان تكون
 قادرة على التعلق باى منها ، رفضنا بذلك كونها قدرة ، لانه ليس من
 معنى لان تكون القدرة قدرة ، اذا لم تكن قادرة على التخصيص لذاتها
 وليس لاي اعتبار آخر . وخلاف ذلك يجعل الله ناقصا اي غير قادر .

(٢١) المسائل . ص ٧٦ . ونص مشابهه . ص ٧٧ . وانظر كذلك ص ٦٥ .

(٢٢) تسع رسائل . ص ٣٤ الرسالة الثانية في الاجرام العلوية .

والحق ان ابن سينا يفصل الجواب على هذه الاشكالات من خلال فلسفته ، فهو يشرح ترتيب الكون والعناصر الاربعة ، وحرركاتها المستقيمة ، وكون العالم كروي ، ولماذا ، واختصاص جرم الكتل - الفلك الاخير - بحركة معينة واختصاص كل فلك وكوكب بحركة ، الخ . من المسائل ، ومنها : لماذا يكون العالم بهذا المقدار . ومن جملة اجوبته العامة : ان العالم كائن حي وسنفصل ذلك في اجوبة ابن رشد على اشكالات الغزالي هذه بعد الانتهاء من هذه الملاحظات .

على ان هذه الاسئلة موجودة قبل ابن سينا ، فانها موجودة في كتب ارسطو (٢٤) . وهذا ما يدل عليه كلام ابن رشد في شروحه على ارسطو (٢٥) .

ومما يدل على ان هذه الاشكالات اثرت قبل الغزالي ، اننا نجد عند ابن حزم صدى لها . يقول ابن حزم ، بعد ان يذكر اثارا تدل على الصانع ، مثل دوام دوران الافلاك على اختلاف مراكزها ، ودوران الافلاك كلها من غرب الى شرق ودوران الفلك التاسع الكلي على العكس ، وادارته جميع الافلاك مع نفسه ، فحدث من ذلك حركتان متعارضتان من حركة واحدة ، اقول ، يقول بعد هذا كله : «وليس يمكن البتة في حس العقل ان تكون هذه

(٢٣) فصل ابن سينا الجواب على هذه الاشكالات وسواها ضمنا في خلال عرضه لفلسفته الطبيعية ، مثل اختصاص كل كوكب بحركة معينة الخ . . .

وعرضه لهذه الفلسفة مطول فلا يمكن سوى الاشارة اليه .
النجاة ص ٤٢٤-٤٩١ ، وكذلك عن سبب كروية العالم ص ٢٢٦-٢٥٨
وفي الشفاء يعرض لهذه المسائل : الالهيات ج ٢ . ص ٢٨٢-٤١٤ .

(٢٤) فاندنبرغ

Van Den Bergh : Op. Cit. Vol. 11. Note. 2. p. 21 : Note. 4, p. 28
and Note. 3. p. 30.

(٢٥) انظر جواب ابن رشد فيما يلي . عند الكلام عن حلول اشكالات الغزالي هذه ، حل ابن رشد .

المختلفات المضبوطة ضبطاً لا تفاوت فيه ، من فعل طبيعته ، ولا بد لها من صانع
 قاصد الى صنعها» (٢٦) . وفي نص آخر نجد ادراكاً للمشكلة كما اثارها
 الغزالي . فحينما يتكلم ابن حزم عن علوم عصره ، وخصوصاً علم الفلك ،
 يقبل ما وصل اليه هذا العلم ماعداً مسائل منها : القول بان الكواكب لها
 نطق وتديبر لما دونها . فيكفر الفلكيين ومن قال بهذا القول ويقول : « ان
 كان لا تأثير - أى للكواكب - في العالم ظاهر ، فليس تأثيرها تأثير ملك
 واختيار ، يدل على ذلك ما ذكرناه في كتابنا هذا ، من ان الكواكب مضطرة
 لا مختارة» (٢٧) ، وانما تأثيرها كتأثير النار بالاحتراق والماء بالتبريد وما
 جرى هكذا وكل ذلك غير ناطق . والكواكب والافلاك جارية هذا
 المجرى ، لان تأثيرها تأثير واحد لا يختلف ، وحركتها حركة واحدة لا
 تختلف ، وليس كذلك المختارة . ولقد قال لى بعضهم - وقد عارضته بهذا -
 أن المختار الفاضل يلزم افضل الحركات فلا يتعدها ، وتلك الحركة الدورية
 هى افضل الحركات (٢٨) . فقلت له : وما دليلك على ان تلك الحركة افضل
 الحركات ؟ ومن اين صارت الحركة من شرق الى غرب او من غرب الى
 شرق ، افضل من الحركة من جنوب الى شمال ، او من شمال الى جنوب
 وكيف يكون عندكم افضل الحركات ، والافلاك الثمانية تتقل من غرب الى
 شرق ، والتاسع من شرق الى غرب ، فأى هاتين الحركتين قلت انها افضل
 عندكم وقد اختار الآخر الحركة التى ليست افضل ؟» (٢٩) .

(٢٦) الفصل ج ١ ص ٢١ - ٢٣ .

(٢٧) يشير الى النص اعلاه . انظر النص قبل هذا عنه .

(٢٨) مراد مناقش ابن حزم ان سيرها على وتيرة وحركة واحدة ليس دليلاً
 على انها غير مختارة ، لان هذه الكواكب فاضلة ، والفاضل يختار افضل
 الحركات ويواطب عليها لان تحوله عنها الى سواها تحول الى ما هو
 ليس افضل .

(٢٩) ابن حزم «الفصل» ج ٢ ص ٩٦ .

اجوبة ابن رشد والفلاسفة على هذه الاشكالات الغزالية :

سنعرض هنا لجواب ابن رشد عن ض . غ . الاول الذى يؤكد فيه الغزالي ، ان التمييز بين المثليين ممكن ، ثم جواب الفلاسفة على ض . غ . الثانى ، ونعقبه بجواب ابن رشد .

١ - ج د على ض . غ . الاول :

١ - تخصيص الارادة للمراتد المفروض انها متشابهة كاذب ، لان المرادات في هذه الحالة (٣٠) ليست متماثلة بل متقابلة (٣١) . فأن قالوا : انها اى المرادات متماثلة بالاضافة الى المرید الاول المقدس عن الاغراض ، وهذه الاغراض هى التى تخصص الشئ بالفعل (٣٢) عن غيره (٣٣) ، فان الجواب يكون هو : ان الاغراض المكملة لذات المرید مستحيلة على الله ، واما الاغراض التى لذات المراد ، مثل اخراج الشئ من العدم الى الوجود ، فانه لا شك في ان الوجود افضل له من العدم ، اعنى للشئ الخارج ، وهذه هى حال الارادة الاولى مع الموجودات ، فانها انما تختار لها ابدا افضل المتقابلين وذلك بالذات واو لا (٣٤) .

(٣٠ ، ٣١) حالة ايجاد العالم منذ الازل او عدم ايجاده . والحق ان العلاقة بين الوجود والعدم ، والايجاد وعدم اليجاد ، هى علاقة مقابلة لا ماثلة بين شيئين . ولذلك فان اختصاص ارادة الله بالايجاد او بعدمه ، هو ليس من قبيل التمييز بين المثليين . فسقط اعتراض الغزالي الاول كله .

(٣٢ ، ٣٣) اى بالايجاد . عن عدم اليجاد .

(٣٤) حاصل كلامه هنا « انه اذا سلمنا بان الله منزه عن الاغراض فيجوز ان يوجد او لا يوجد . فان اليجاد هو افضل لنا وللعالم من عدم اليجاد فمن هنا يكون اليجاد افضل من عدم اليجاد ، فيكون في هذه الافضلية ترجيح للايجاد على عدمه ، وان كانت الارادة الالهية منزهه عن الاغراض .

٢ - اما عن ارادتنا ومثل التمرتين ، فان اخذ الانسان احدى التمرتين هو ليس تمييز المثل عن مثله ، وانما هو اقامة المثل بدل مثله ، فأى منهما اخذ بلغ مراده . فارادته انما تعلقت بتمييز اخذ احديهما عن الترك المطلق ، لا بأخذ احديهما وتمييزه عن ترك الاخرى ، اعنى اذا فرضت الاغراض فيهما متساوية ، فانه لا يؤثر احديهما على الثانية وانما يؤثر اخذ واحدة منهما ايهما اتفق ويرجحه على ترك الاخذ^(٣٥) فالارادة مستحيل ان تمييز احد المثلين وترجحه على صاحبه بما هو مثل . فان كان وجودهما من حيث هما شخصان ، فكل شخصين يغاير احدهما الثاني بصفة خاصة به ، فان تعلقت الارادة بالمعنى الخاص من احدهما ، تصور وقوع الارادة باحدهما دون الثاني ، لمكان الغيرية موجودة فيهما^(٣٦) . فاذا ، لم تتعلق الارادة بالمتماثلين من جهة ما هما متماثلان^(٣٧) .

(٣٥) اما في مثل ايجاد الله للعالم او عدم ايجاده ، فمثل التمرتين لا ينطبق ، لان الايجاد ليس كعدم الايجاد ، واذا سلمنا بانطباقه ، فهو دليل على ان الايجاد - ويساوى هنا اخذ احد التمرتين - هو افضل للمريد من عدم الايجاد - ويساوى هنا الترك المطلق للتمرتين - فصح ان الارادة يستحيل ان تميز المثلين ، اذا سلمنا بإمكان وجودهما .

(٣٦) ولكن رأينا في هذا المثل «مثل الايجاد وعدم الايجاد» ، ان المسألة ليست مسألة مثلين بل متقابلين . وامكان وجود المثلين مستحيل ، لان الشئيين بما هما شيئان او شخصان ، لا بد ان يختلف احدهما عن الاخر بالمكان وبجهته منا الخ . . كما رأينا في ج . ف . انظر ص ١٦٧ أولها .

(٣٧) تهافت التهافت ص ٣٨-٤١ .

٢ - ج . ف على ض . غ . الثاني : قلنا ان اعتراض الغزالي هذا يتضمن
اشياء ثلاثة ، مسألة لماذا يكون العالم بهذا المقدار والشكل ، ومسألة القطبين ،
ومسألة الحركات المشرقية والمغربية للأفلاك .

وجواب الفلاسفة على المقدار والشكل هو : "النظام الكلي للعالم لا يمكن
الاعلى الوجه الذى وجد العالم به ، فلو كان العالم اصغر او اكبر مما هو الان
عليه ، لكان لا يتم هذا النظام . فالكبير والصغير وما شابهة مختلفة (٣٨) ،
ولا بعد في ان يتميز الشيء عن خلافه لتعلق نظام الامر به . واما الاوقات ،
فمتشابهة قطعاً بالنسبة الى الامكان والى النظام (٣٩) . ولا يمكن ان يدعى
انه لو خلق بعد ما خلق او قبله بلحظه لما تصور النظام ، فان تماثل الاحوال
يعلم ضرورة (٤٠) . ويبدو ان الغزالي اقتنع بهذا الجواب ، لانه لم يعلق
عليه وتركه الى المسألتين الاخيرتين ، مسألة القطب ومسألة الحركات .

اما جواب الفلاسفة على القطبين والحركات - كما ينقله الغزالي في
التهافت - فليس بجواب كامل ، والظاهر ان الغزالي تعمد ذلك ، لانه مطلع

(٣٨) اى ان كون العالم كبيراً او صغيراً ليس من الامور المتماثلة ، بل
المختلفة . وتمييز الارادة للمختلفات ، واختيار بعضها بسبب ما يترتب
على الاختلاف من نتائج ، مثل ان يتعلق نظام العالم به ، امر جائز .
لان مثار المشكلة هو : تمييز الارادة للمتماثلات ، وليس ها هنا في
شكل ومقدار العالم تماثل بين ان يكون على هذه الوضعية او على
وضعية اخرى .

(٣٩) اما بالنسبة للاوقات ، وهى المشكلة التى يرى الفلاسفة انه يستحيل
على الارادة ان ترجح وقتاً منها ، بسبب انه اصلح او اكمل للنظام ، او
انه ممكن ايجاد العالم فيه اكثر من غيره من الاوقات ، لانها متماثلة
قطعاً من حيث لا يوجد الا الله ، وانه لا غرض له يتم بوقت دون وقت ،
كما انه لا فرق على المخلوقات في ان توجد في أية لحظة ، بل وجودها
ازلا افضل لها من عدم الوجود ازلا . فالاوقات متماثلة لا متضادة او
متقابلة او مختلفة ، فلا مرجح فيها لترجيح وقت على آخر .

(٤٠) تهافت الفلاسفة . ص ٤١-٤٢ .

على فلسفة ابن سينا على اقل تقدير ، فكان من الممكن ان يجد فيها الجواب
لهما . ان كل ما فعله هو انه قدم لمسألة القطبين شبيها لا جوابا حقيقيا . اما
عن مسألة الحركات المشرقية والمغربية ، فقدم جزء الجواب عليها ، لا كلة
وحاصلة : « - لو كان الكل - اى كل الكواكب والافلاك - يدور من جهة
واحدة لما تباينت اوضاعها ، ولكان الكل على وضع واحد من الحركة ،
وهذه الاوضاع المختلفة مبدأ الحوادث في العالم » (٤١) .

حقا ان هذا واحد من اوجه التخلص من هذا الاشكال ، ولكنه مرتبط
بمسألة كون العالم جسما حيا ، وكل فلك كذلك . ومرتبطة بهيكل فلسفتهم
الطبيعية . وما سنعرضه من جواب ابن رشد ، هو جواب ابن سينا والفلاسفة
قبله ، كما يتضح ذلك من الرجوع الى فلسفتهم الطبيعية . ولذلك ساكتفى
باشارتي الى كتب ابن سينا التي تعرض فلسفته الطبيعية (٤٢) ، معتمدا على
عرضى لجواب ابن رشد .

ج . غ . عليهم : المهم ان تبينوا : لم احتص الفلك الاعلى بالتحرك من
المشرق ، والذي تحته بالعكس ، وكل ما يمكن تحصيله بهذا ، يمكن تحصيله
بذاك ؟ .

ج . ف عليهم : الجهتان متقابلتان متضادتان ، فكيف يتساويان ؟ .

ج . غ . عليهم : قلنا هذا كقول القائل : التقدم والتأخر في وجود العالم
يتضادان ، فكيف يدعى تشابههما (٤٣) ؟

(٤١) تهافت الفلاسفة . ص ٤٥ .

(٤٢) انظر مكان بحثه لفلسفته الطبيعية وبرهنته على جميع المسائل التي
سيتضمنها جواب ابن رشد ، في كتبه المذكورة في نوت ٢٣ ص ١٧٣
من هذا البحث .

(٤٣) تهافت التهافت ص ٤٥-٤٦ .

٣ - ج ٥٠ على ض ٥٠ غ ٠ الثاني :

الجواب على النقطتين - القطب والحركات المشرقية والمغربية - ، عند الفلاسفة ، انهم يزعمون ان البرهان قام عندهم على ان العالم مؤلف من خمسة اجسام - اربع منها عناصر هي الهواء والماء والنار والارض ، والخامس يسمونه العنصر الخامس او الاثيرى - • وهنا يفصل ابن رشد فكرتهم عن تفسير حركات العناصر الاربعة وهى الحركة المستقيمة ، ثم كون العالم كرويا ، وحركة الجرم الكروى ، وتناهى العالم من جهة انه جسم كروى ، فاثبات تناهى الاجسام ، واستحالة الخلاء ، وعن تكون الاجسام فى عالمنا - عالم الكون والفساد - بسبب امتزاج العناصر الاربعة بفعل حركة الاجرام السماوية ، وان هذه الاجسام الاربعة من اجل هذه الحركات المختلفة التى للاجرام السماوية ، لاتزال فى كون دائم وفساد دائم - اعنى فى اجزائها - وانه لو تعطلت حركة من هذه الحركات لفسد هذا النظام •

وبالنظر لاهمية هذا النص الرشدى ، لكونه مختصرا جامعا ويعطى فكرة للمقارئ عن تصور الفلاسفة للعالم وتكونه بتسلسل ، فاننى هنا ابرز اهم خطوطه : - قام البرهان عندهم على ان العالم مؤلف من خمسة اجسام : جسم لا ثقيل ولا خفيف وهو الجسم السماوى الكرى المتحرك دورا ، واربعة اجسام : احدها ثقيل مطلق ، وهو الارض التى هى مركز كرة الجسم المستدير ، والآخر خفيف مطلق ، وهو النار التى هى فى مقعر الفلك المستدير ، ثم يلى الارض الماء ، وهو ثقيل بالاضافة الى الهواء ، خفيف بالاضافة الى الارض ، وعكس ذلك الهواء الذى يلى الماء • وسبب استيجاب الارض للثقل المطلق هو كونها فى غاية البعد من الحركة الدائرية ، ولذلك كانت هى المركز الثابت • وسبب خفة النار ، انها فى غاية القرب • وما بينها وجد فيها الخفة والثقل لكونهما فى الوسط • ولولا الجسم المستدير لما كان هنالك

لا ثقيل ولا خفيف بالطبع ، ولا فوق ولا اسفل بالطبع ، ولا كانت مختلفة بالطبع ، اى ان شأن الارض ان تتحرك الى موضع مخصص ، وكذلك النار وما بينهما . وان العالم انما يتناهى من جهة الجسم الكرى ، وذلك ان الكرى متناه بذاته وطبعه ، اذ كان يحيط به سطح واحد مستدير . واما الاجسام المستقيمة ، فليست متناهية بذاتها ، اذ كان يمكن فيها الزيادة والنقصان . وانما هي متناهية لانها في وسط الجسم الكرى الذى لا يمكن فيه لا زيادة ولا نقصان ، ولذلك كان متناهى بذاته ، ولذلك كان الجرم المحيط بالعالم كريا . ولا يصح الا ان يكون كريا والا اما تنهى الاجسام الى اجسام الى غير نهاية او الى خلاء ، وكلاهما مستحيل . فكل عالم فرض ، لا يمكن ان يكون الا من هذه الاجسام الخمسة . وان كل جسم : اما مستدير الحركة ، او متحرك بالاستقامة الى اعلى او الى اسفل . وانه بحركات الاجرام السماوية يمينا وشمالا - حركة شرقية وغربية - امتزجت الاجسام وكان منها جميع الكائنات المتضادة . وان هذه الاجسام الاربعة لاتزال من اجل هذه الحركات في كون دائم وفساد دائم ، اعنى في اجزائها ، وانه لو تعطلت حركة منها لفسد هذا النظام ، اذ كان ظاهرا ان هذا النظام يجب ان يكون تابعا للعدد الموجود في هذه الحركات ، ولو كان اقل او اكثر لاختل هذا النظام ، او لكان نظاما آخر وهذا كله فلا تطمع ههنا في تبينه ببرهان ، وان كنت من اهل البرهان ، فانظروه في مواضعه» (٤٤) .

فحاصل هذا ، ان اختلاف وتعدد الحركات الفلكية ، ضرورى لتفسير تكون اجسام العالم الارضى واستمرار الكون والفساد (بالمعنى الارسطي) .

(٤٤) تهافت التهافت . ص ٤٤-٤٧ . وهو هنا لم يبرهن هذه الدعاوى ، ولكنه في شروحه لكتب ارسطو سواء في «السماع» او «السماء والعالم» او «ما بعد الطبيعية» او «تفسيره لما بعد الطبيعة» برهن على كل هذه الاقوال .

وكما قلت فان هذه الاحكام - وهى خلاصة فلسفتهم الطبيعية وفلسفتهم الكونية - عامة ولا يمكن عرضها هنا . ولعل في النص التالى ما يعنى الى حد ما في هذا السبيل .

يقول ابن رشد في واحد من كتبه التى عرض فيها لهذه المسائل مبرهنة واعنى به كتاب «السماء والعالم» ما يلى :-

للجرم السماوى حركات كثيرة ، فانه لولا كثرة الحركات ، لم يتم ما هنا الكون» (٤٥) .

ويقدم ابن رشد في «تهافت التهافت» جوابا يسميه «اقاويل تفيد غلبة الظن ، وتحرك الى وقوع اليقين ، وهى اقاويل فيها بعض الاقناع ، وان كنت تحب ان تكون من اهل البرهان فعليك التماسه في موضعه» (٤٦) .

وهذه الاقاويل هى : «ان كل كرة سماوية هى حية من قبل ان لها شكلا ومقدارا محدودا ، ولانها متحركة بذاتها من جهات محدودة ، لا من اى جهة اتفتت ، ولا من خارج مثل المغناطيس ، وكل ما كان كذلك فهو حى . واذا صح انها حية ، صح فيها مواضع هى اقطاب بالطبع ، لا يصح ان تكون الاقطاب منها في غير ذلك الموضع ، كما ان الحيوانات التى ما هنا لها اعضاء مخصوصة في مواضع مخصوصة من اجسامها لافعال مخصوصة ، وليس يصح ان تكون في مواضع اخر منها مثل اعضاء الحركة . والاقطاب هى من الحيوان الكرى الشكل بمنزلة هذه الاعضاء ، اعنى انها اعضاء الحركات .

(٤٥) السماء والعالم . ص ٤٢-٤٣ وتفصيل اثر المحركات وانواعها على الكون والفساد في كتابه (الكون والفساد) . ضمن رسائل ابن رشد حيدرآباد ، ١٣٦٥ . ص ٢٦-٢٩ .

(٤٦) قوله : «اقاويل» ، لانه يعرضها هنا عرضا اقناعيا ، لانه غير مبرهنة هنا . ولكنه يعرضها ببراهينها في كتبه الاخرى ، مثل رسائله ، وتفسير ما بعد الطبيعة . وساستشير هذه الكتب كلما امكن .

ولا فرق بين الحيوان الكرى الشكل في ذلك والغير الكرى ، الا ان هذه الاعضاء تختلف في الحيوان الغير كرى بالشكل والقوة ، وهى في الحيوان الكرى تختلف بالقوة فقط فاختلف الاجرام السماوية في مواضع الاقطاب منها ، هو مثل اختلاف الحركة في كل حيوان ها هنا ، في الموضع الاوفى لطباع ذلك الحيوان ، او في الموضع الذى لا يمكن غيره في حركة ذلك الحيوان ، وذلك ان ليست الاجرام السماوية واحدة بالتنوع ، كثيرة بالعدد ، بل هى كثيرة بالتنوع كاشخاص الحيوانات المختلفة ، وان كان ليس يوجد الا شخص واحد من النوع فقط . وهذا الجواب هو بعينه في جواب : لم كانت السموات تتحرك الى جهات مختلفة ؟ وذلك ان من جهة انها حيوانات ، لزم ان تتحرك من جهات محدودة ، كالجبال في اليمين والشمال والامام والخلف ، التى هى جهات محدودة بالحركات للحيوان ، الا انها في الحيوانات المختلفة ، مختلفة بالشكل والقوة ، وهى في الاجسام السماوية مختلفة بالقوة . ولهذا ما يرى ارسطو ان للسماء يمينا وشمالا واماما وخلفا وفوقا واسفلا ، فاختلفها في جهات الحركات هو لاختلافها في النوع وهذا كله بين ههنا بهذا النحو من الاقناع ، وهو بين في موضعه ببرهان . وهو ظاهر قوله تعالى : لا تبديل لكلمات الله (٤٧) ، ولا تبديل لخلق الله (٤٨) ، وان كنت تحب ان تكون من اهل البرهان ، فعليك التماسه في موضعه . ومنه يتبين خلل الحجج التى احتج بها ابو حامد ههنا عن القطبين وتمائل الحركات (٤٩) . ويقول بعد ذلك : « فتوهم الجرم السماوى الاول - المحيط - حيوانا واحدا بعينه ، اقتضى له طبيعة - اما من جهة الضرورة

(٤٧) قرآن (١٠ : ٦٥) .

(٤٨) قرآن (٢٩ : ٣٠) .

(٤٩) تهافت التهافت ص ٤٧-٤٩ .

او من جهة الأفضل - ان يتحرك بجميع اجزائه حركة واحدة من المشرق الى المغرب ، وسائر الافلاك اقتضت طبيعتها ان تتحرك بخلاف هذه الحركة . وان الجهة التي اقتضتها طبيعة جرم الكل هي افضل الجهات ، لكون هذا الجرم هو افضل الاجرام ، والافضل في المتحركات واجب ان تكون له الجهة الافضل» (٥٠) .

ويقول ابن رشد في مواضع اخرى من التهافت : «الاجرام ذوات عقول ، بدليل انها تتحرك الى الحركة بما هي حركة ، وما هذا شأنه فهو متشوق لها ، والذى يشوق الحركة فهو متصور لها ضرورة . وكذلك يدل عليه ان المتحرك الواحد من الاجسام الكرية نجده يتحرك الحركتين المتضادتين معا ، اعنى الشرقية والغربية ، وذلك شىء لا يمكن عن الطبيعة ، فان المتحرك بالطبيعة انما يتحرك حركة واحدة فقط» (٥١) . وقد سبق تبيان سبب قولهم ان السماء لها عقل ، وابينها : انه لما تبين عندهم ان المحرك لها هو عقل برىء عن المادة ، لزم ان لا يحرك الا من جهة ماهو معقول ومتصور (٥٢) ، وعليه فالمتحرك عنه لا بد عاقل

(٥٠) تهافت التهافت ص ٥٠ .

(٥١) هي الحركة المستقيمة : اما من اسفل الى اعلى ، كالهواء والنار لخفتيهما ، واما من اعلى الى اسفل مثل الارض (التراب) والماء لثقلهما . (٥٢) ما يقدمه من اسباب ، فمختصر هنا وغير تام ومفيد لمن لا يعرف مبادئ اقوالهم الطبيعية . فتراجع في كتبه التى اشرت اليها عند ابن سينا ص ١٧٣ حاشية ٢٣ . وفي كتب ابن رشد المذكورة في حاشية ٥٣ ، اسفل ٥٣ ، اسفل .

(٥٣) فلاسفتنا يعيدون نظرية ارسطو في «المحرك كمعشوق وعلة غائية» . وذلك انه لما اوصل الدليل ارسطو وفلاسفتنا الى ان لكل حركة محرك ، وان لحركة العالم الكلية محرك ، وان هذا المحرك لا يحرك بالتماس والدفع ، لانه ليس ماديا ولاسباب اخرى لا مجال لذكرها ، اضطروا الى افتراض ان العالم نفسه يتأمل الله الكامل ، فتحدث فيه اشواق ، تدفعه للحركة تشبها بالله وللوصول الى كماله ، ولما كان لاملاء ولاخلاء خارج العالم ، والعالم كرى ، وحركته اللاتقة به هي الحركة الدورية في

ومتصور • وكذلك دليل آخر : هو ان حركتها شرط في وجود ما منها من الموجودات وحفظها ، وليس يمكن ان يكون ذلك عن الاتفاق • وهذه الاشياء لا تبين في هذا الموضع الا بيانا ذاتعا ومقتضا •••• اما جواب : لم اختلفت الحركة المشرقية والمغربية ؟ فهو : « كما انه ليس من جواب لمن يقول : لماذا تحرك النار الى اعلى (٥٤) ؟ او لماذا يقدم الحيوان رجلا ويؤخر اخرى ؟

موضعه ، صار يتحرك دائما ، ومن حركته انتظمت الاشياء داخله • ولكن تشوق العالم لا يكون اذا لم يكن ذا حياة ، لذلك افترضوا انه حي ، وان له عقولا بريئة عن المادة ، بها يعيش ويتأمل الله ، والا اذا كانت مادية ، لم تستطع ادراك ماهو ليس بمادى • ولما كان لكل كوكب وفلك حركته المخالفة لحركة العالم ككل - التي هي الحركة من المشرق الى المغرب - ، كما ان لكواكبه وافلاكه حركات ومحاور مختلفة ، افترضوا لكل منها عقلا فتعددت العقول المحركة • ولما كان الالتقاء بين العقلي والمادى الا بمتوسط ، فيه الطبيعتان ، افترضوا ان للعالم ككل نفسا ، ولكل فلك نفسا • وهذه الامور كلها عندهم مبرهنة مترابطة وسياتي فيما بعد نص يوضح جوهر هذه النظرية عند ابن رشد ومغزاها ، الذي لا اراه - وان اختلف في التفسير عن الجاذبية ونظرية انشتاين - يناقض جوهر المسألة حديثا ، وهو الاصرار على الضرورة في الاشياء ، والترابط العلي بين اجزاء العالم كلها ، وارتباطها ارتباطا عضويا ، نسميه السنن الطبيعية ونسميه الجاذبية او ما شئنا ، رغم ان قولنا : (جاذبية) و (كهربائية) ، ليس ادراكا لجوهر هذه الاشياء ومعناها ، انما هو احصاء وقياس واستقراء لمظاهرها • وفرق كبير بين ؟ ان ندرك ما وراء الظاهرة اى كنهها ، وبين ان نقيسها ونراها •

وتفصيل هذه المسائل عن ارسطو انظر ص ١١ نوت ٧ من هذا البحث • وعن ابن سينا ص ١٧٣ حاشية ٢٣ ابن رشد من هذا البحث • وعن ابن رشد انظر الى جانب ما ذكرناه من نصوص : «السماع الطبيعي» ص ٢٥-٤٤ ، ١٢٤ فما بعد • «والسماء والعالم» ، المقالة الثانية كلها ، والمقالة الرابعة «والكون والفساد» ، المقالة الاولى والثانية • و «ما بعد الطبيعة» ، خصوصا المقالة الرابعة ص ١٢٦-١٧١ •

(٥٤) هذه المسألة : اثارها ابن سينا ايضا • ومفادها هنا وعند ابن سينا : ان العقل لا يستطيع ان يذهب أبعد من القول ان طبيعة النار الخفيفة

ولماذا يقدم اليمين قبل اليسار؟ سوى ان هذه اختصت بذلك لطبيعتها، فكذلك الامر مع حركة السماء... اما كون السموات تتحرك بحركتين متضادتين، - ما عدا الحركة اليومية - فلضرورة تضاد الحركات ههنا، اعني حركة الكون والفساد. وليس في طبيعة العقل الانساني ان يدرك اكثر من هذه الاقاول بامثال في هذا الموضع».

وإذا كان ابن رشد يشير مرارا، الى ان موضع بيان هذه المسائل بيانا

ان تصير الى اعلى. فان قيل: لم لم ينعكس الامر فتصير الى اسفل؟ ولم يكون هذا الجسم حارا دون البارد؟

والجواب: هو ان طبيعة الجسم هي كذلك، فان رغب في جواب وراء ذلك فلا جواب سوى ان ارادة الله اقتضت ذلك. وقد يلوح هنا ان الغزالي محق اذن في ارجاعه تخصيص وقت دون آخر الى الله، او قوله: لم تكون هذه الحركة لذلك الكوكب، او هذه الطبيعية لذلك الشيء؟ وهو الامر الذي ادى انكار القول به عنده وعند الاشعرية الى انكار السببية الطبيعية، والى القول بان ما سمعته ارتباطا عليا، هو بفعل العادة والتكرار، وان النار لا تحرق بل الله هو الفاعل المباشر، اقول قد يلوح من قول ابن رشد وقول ابن سينا - انظر ص ٤١ - فما بعد من هذا البحث - ان الغزالي محق. والحق غير هذا، لان هؤلاء يرون - كما يوضح نص ابن سينا بصراحة وكل فلسفة الرجلين - ان الارادة الالهية انما تختص بافضل الاشياء، فالله منذ الازل اوجد العالم بهذا التوضع وجعل التخفيف الى اعلى والثقل الى اسفل والفلك يدور كذا الخ من خصائص الاشياء، مثل ان النار في طبيعتها الاحراق والثلج في طبيعة التبريد. فالعالم ضروري لا جائز او ممكن، لانه مرتبط بواجب وجود فعله وارادته دائمة وحكيمة، تختار ما هو افضل ولا تتحول عنه، ومن هنا فان فلاسفتنا على الرغم من ارجاعهم كل شيء الى الله، فانهم لا يتغون الضرورة السببية، لان في نفيهما نفي الله نفسه ونفي للمدبر، كما لاحظ ابن رشد ومن بعده القديس توما الاكوينى (ابن رشد) «تهافت التهافت ص ٩٢. وتوما الاكوينى:

Thomas Aquinas: The Summa Contra Gentiles. London 1923
ff. vol. 3. Part. 2. P. 165-172.

وخول التفاصيل عن نتائج نفي السببية، ونفاتها: انظر اطروحتي .
القسم الثاني الفصل الثاني . ص ٢٧٤ . نوت (٤) . وص ٣٥٣ -
الفصل الثالث من القسم الثاني نوت (٣) .

برهانها يوجد في كتبه الاخرى ، فاننا لا نستطيع ان نجلب ما قاله في تلك الكتب هنا ، لانه طويل مترابط يحتم لفهم جزئياته عرض فلسفته كلها ، خصوصا الطبيعية وما وراء الطبيعة وهذه تحتل كتاب «السماع» ، و«السماء والعالم» ، و«الكون والفساد» ، و«الانار العلوية» ، و«ما بعد الطبيعة» ثم «تفسير ما بعد الطبيعة» باجزائه الضخمة الثلاثة . ولذلك اقتصر على بضعة اقتباسات ، وانصح القارئ بمراجعة كتب ابن سينا الطبيعية حيث اشترت سابقا ، وهذه الكتب الرشدية .

يقول ابن رشد في السماء والعالم : «توجد - الجهات الست - للجسم بما هو جسم» (٥٥) . وتوجد للجسم السماوى لكونه متنفيا (٥٦) . وعند ارسطو ان جهة اليمين هي المشرق للموضع المسكون ، واليسار هي المغرب للموضع المسكون بأسره ، وجهة الفوق هي القطب الجنوبي وجهة الاسفل

(٥٥) الحركات الست من اسفل الى اعلى وبالعكس ، من يمين الى يسار وبالعكس ، من يمين الى يسار وبالعكس ، من امام الى خلف وبالعكس .
المقالة الرابعة ، ص ١٣٠-١٣١ .

(٥٦) اى حيا . وسنذكر نصا يبين فيه معنى الحياة في تهافت التهافت . ويقول في (ما بعد الطبيعة) : «الدليل على انه - اى الجرم السماوى - متنفس ، هو انه متحرك ، فهو اما يشتاق الحركة نفسها ، او لازم الحركة نفسها ، او الامرين جميعا ، او نهاية الحركة . والاخير غير جائز ، والا فقد كان يسكن . واما البقية فان كل ما يشتاق الحركة او لازمها فهو متنفس ومتشوق ، لان الحركة فعل النفس ولولاها لم يوجد الا المتحرك فقط .» (ويورد ابن رشد دليلا للاسكندر الافروديسى وهو) : «ليس يمكن ان يكون الافضل من المتنفس - اى الجرم الفلكى الذى هو افضل منا - غير متنفس» . ثم يبين ابن سينا انه ليس بحاس ولا متخيل ، وانه لتعقله الله يتشوق اليه ، وان هذا التشوق لا يكون لجسم آخر ، والا تسلسل الامر الى ما لا نهاية ، ولا الى ما هو احس من الاجسام ، لان الافضل والاكمل لا يكون محرکه ما هو احس .

هي القطب الشمالي • ويرى ان هذا هو السبب في ان حركته (٥٧) كانت من المشرق الى المغرب ولم تكن بخلاف ذلك • والمثال على ذلك : لو توهمت رجلا قد ادار على نفسه فلكا ، ويمينه في المشرق وشماله في المغرب ووجهه فوق الارض ورأسه في القطب الجنوبي وساقاه في القطب الشمالي ، وابتدأ يحرك الفلك من غير ان يتغير وضعه لمكان - في هذا المثال - مبدء التحريك للفلك هو في جهة المشرق الى ما فوق الارض • واذا كان هذا هكذا ، فانما ذهب الى ان له يمينا ويسارا واماما وخلفا ، من جهة ان له جهة مخصوصة يتحرك منها واليها • واذا كان له جهة مخصوصة ، فمبدأ التحريك في تلك الجهة ضرورة ، لا على ان مبدأ التحريك في تلك الجهة متقل ومتبدل بتبدل اجزاء الجرم السماوي في تلك الجهة مخصوصة ، والا ، لعاد اليمين يسارا واليسار يمينا ، بل على ان مبدأ التحريك ثابت وان تبدلت فيه اجزاء الكرة • وذلك واجب ، من قبل ان المحرك هناك ليس في موضوع - اي بلا مادة وليس في جسم - وهذا هو الفرق بين مبدأ الحركة في الحيوان ، والذي في هذا الجرم ، لانه في الحيوان مبدأ الحركة هو في موضوع مخصوص وهو جزؤه اليمين • ولما اعتقد قوم انه يريد - اي ارستطو - باليمين واليسار مواضع مخصوصة من هذا الجسم ، لا مواضع في الجهات ، اشكل عليهم هذا وقالوا كيف تفهم هذا ، واليمين منه يسارا (٥٨) •

ثم يقدم دليلين على ان الفلك متفس (٥٩) •

ويعرض ابن رشد لمسألة حركة الكواكب من المغرب الى المشرق فيقول : «ههنا مشكلة عويص ، وهو ان الافلاك التي دون الفلك المحيط

(٥٧) اي حركة الفلك المحيط •

(٥٨) السماء والعالم ، المقالة الثانية ، ص ١٨-٤١ •

(٥٩) كذلك • ص ٤١ • وقد كررها في «ما بعد الطبيعة» • ونقلتهما في حاشية (٥٦) • ص ١٨٧ من هذا البحث •

لا تتحرك بحركة الفلك المحيط على جهة الدفع والجذب ، وبالجملة على جهة القمر ، ولا هي في هذه الحركة - من الشرق الى الغرب مع حركة الفلك المحيط ، وهي الحركة الثانية لهذه الافلاك التي تعارض حركتها اليها بطبعها من الغرب الى الشرق (٦٠) - متحركة بذاتها ، اذ حركتها بذاتها هي من المغرب الى المشرق • ولا يمكن ان يكون الشيء متحركا بذاته من جهتين مختلفتين في حال واحدة على فلك واحد • فاذا لم يبق الا ان حركة هذه الكواكب السيارة من المشرق الى الغرب ، هو تابع لحركة المحرك من خارج ، والتي تظهر انها على جهة القمر ، وذلك مستمع على هذه الاجسام من جهة ما هي ازلية •

وبعد ان يعرض ابن رشد هذه المشكلة وبلا حل ، هذا العرض ،
يجيب قائلا :

« المبادئ التي عندنا قليلة وسنبذل جهدنا • ههنا يشبه الامر بالحيوان ، فان له حركة كلية وهي نقلته في المكان • وحركات جزئية ، وهي تحريكه بعض اعضائه • وهو انما صار واحدا بالقوة الواحدة التي توجد مشتركة لجميع جسده ، وصار له اعضاء كثيرة من جهة ان له قوى جزئية كثيرة • ولكن لما كانت اعضاؤه ليست متشابهة ، ولا تحل فيها القوى النفسانية حلولا واجدا ، (مثلا ان الماء الغريزي متحرك فيه بذاته ، وعنه يتحرك العضل ، واليد تحتاج مع العضل الى الرباط والوتر) لان في اعضائه مبادئ مضادة للقوة النفسانية ، كان تحريكها عن القوى النفسانية قسرا ، واحتاجت ان تكون الاعضاء متصلة غير منفصلة • واما الجسم السماوي ، فهو واحد من جهة القوة المشتركة فامكن ان يتحرك كأنه عظم واحد ، وان كانت اجزائه منفصلة - كواكب وافلاك متعددة منفصلة - وذلك بسبب اجزائه وتشابهها ،

(٦٠) ما بين شارحتين ، تفسيرى •

ولانه ليس فيها مبدأ مضاد • وشاهد امثلة ذلك في بعض الحيوان والنبات
لبساطة اجزائه اذا فصل منه جزء كان نباتا ايضا» (٦١) •

واحب ان الفت نظر القارىء مكررا الى اهمية هذا التفسير - حتى لو
جردناه من ارتباطاته الميتافيزيقية - من حيث جوهره • فسواء صح وجود
قوة الهية ومدبر ، ام لم يصح ، فان جوهر المسألة في هذا التفسير الارسطى :
هو الاصرار على وجود ترابط بين اجزاء الكون بحيث يفسر كله اجزاءه ،
واجزأؤه كله ترابطا عضويا يتأى به عن الفوضى والعشوائية المطلقة •
واحب بصورة خاصة ان يلتفت القارىء الى مشابهة الجملة التالية من النص
اعلاه لمبدأ الجاذبية لنيوتن ، او لنظرية الدفع نحو التحدب لانشتاين (٦٢) •
والجملة هي : «واما الجسم السماوى ، فهو واحد من جهة القوة المشتركة ،
فامكن ان يتحرك كأنه عظم واحد ، وان كانت اجزأؤه منفصلة» • وبنفس
الروح والمنظار يمكن النظر الى قولهم : ان الافلاك ذات حياة ، فان هذه
تعبيرات للدلالة على احساس هؤلاء الفلاسفة بوجود النظام في الكون ، ووجود تأثير
وارتباط متبادل بين بعضها البعض ، تسمية اليوم جاذبية ، او نضع له
اسما آخر كما فعل انشتاين • وان كانت هذه التفسير لا تستبعد افتراض
قوى ما وراءية الهية تكون الجاذبية او بديلها مظاهر لها ، او تكون هي هذه
القوى لمن اراد ان يجرى في الخط المثالى اللامادى • والحق ان الناظر في
كتبنا الاسلامية يجد ان باحثنا سواء كانوا مبتكرين او مكررين لليونان
وسواهم ، لم يستبعدوا نظرية «الجذب» و «الدفع» ، ولم يستبعدوا حتى

(٦١) السماء والعالم • المقالة الثانية • ص ٥٩-٦١ • ويكرر ابن رشد
ذلك في «السماع الطبيعى» • ص ٢٥-٤٤ ، ١٢٤ فما بعد • وفي
«السماء والعالم» ، المقالة الاولى حتى ص ٢٦ •

(٦٢) احيل القارىء الى كتب : عبدالرحمن مرحبا ، بالعربية «انشتاين»
بيروت ، ١٩٦٢ ، وكتابة «النسبية» بسبب قلة البحوث عنه بالعربية •

جزئيات الفلك الحديث ، مثل نظرية كوبر نيكوس القائلة : بأن الارض تدور حول الشمس . وبهذه الروح احب ان ينظر القارىء في النص المهم التالى عن «تهافت التهافت» الذى يحاول ان يفسر فيه ابن رشد معنى ان العالم حيوان وله ولكل فلك او كوكب عقل ونفس ، ونوع الارتباط بين هذه الاشياء ، وتأثيرها على العالم الارضى والعناصر ومكوناتها :

«ومذهب القوم القديم : هو ان ههنا مبادئ ، وهى الاجرام السماوية ، ومبادئ الاجرام السماوية موجودات مفارقة للمواد (٦٤) هى المحركة للاجرام

(٦٣) فى كتاب : «عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات» للامام زكريا بن محمد بن محمود القزوينى ، الذى كتبه لعطاء الملك ابن محمد بن محمد ما يلى :- «فصل فى اختلاف اراء القدماء فى هيئة الارض . قال بعضهم : انها مبسوطة التسطيح فى اربع جهات ، المشرق والمغرب والشمال . وقال بعضهم : هى كشكل الترس . ومنهم من زعم : انها كهيئة الطبل . وذهب آخرون : الى انها كنصف الكرة . والذى يعتمد عليه جماهيرهم ان الارض مدورة كالكرة ، موضوعة من جوف الفلك كالمحفة فى جوف البيضة . وانها فى الوسط على مقدار واحد فى جميع الجوانب ، ومن القدماء من اصحاب فيثاغورس من قال : الارض متحركة دائما على الاستدارة ، والذى ترى من دوران الفلك انما هو دور الارض ، لا دور الكواكب . وقال بعضهم : انها واقفة فى الوسط على مقدار واحد من كل جانب ، والفلك بها من كل وجه ، فلذلك لا تميل الى ناحية من الفلك دون ناحية ، لان قوة الاجزاء متكافئة ، مثال ذلك حجر المغناطيس الذى يجذب الحديد ، لان طبع الفلك ان يجتذب الارض ، وقد استوى الجذب من جميع الجهات فوقف فى الوسط . ومنهم من قال : انها مدورة واقفة فى الوسط ، وسببه دوران الفلك ، وسرعة حركته ، ودفعه اياها من كل جهة الى الوسط ، كما انه لو جعل تراب او حجر فى قارورة مدورة وادبرت فى الخراط بقوة ، قام التراب او الحجر فى الوسط والله الموفق» . ص ٢١٣-٢١٤ حاشية ٢١٣-٢١٤ حاشية على كتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدميرى . ج ١ ، مصطفى البابى . القاهرة . بلا تاريخ .

(٦٤) المفاوق : هو غير المادى ، مثل الله وعقول الافلاك المحركة للاجرام عندهم .

السماوية • والاجرام السماوية تتحرك اليها على جهة الطاعة والامتثال لامرها بالحركة والفهم عنها • ولما كانت هذه المبادئ مفارقة ، فلم يبق وجه به تحرك الاجسام الا من جهة ان المحرك (٦٥) امرت بالحركة ولذلك لزم عندهم ان تكون الاجسام السماوية حية ناطقة • وهذه المبادئ المفارقة ، هي مفيدة الاجرام السماوية حركتها الدائمة ، وكل ما افاد حركة دائمة فهو مفارق • ثم ان هذه المبادئ ، وجودها مرتبط بمبدأ اول فيها ، ولولا ذلك لم يكن ههنا نظام • ويتضح ذلك في حركة جميع الافلاك الحركة اليومية (٦٦) مع حركاتها التي تخصها (٦٧) • فصح ان الأمر بهذه الحركة هو المبدأ الاول وهو الله ، الذي امر سائر المبادئ ان تأمر سائر الافلاك بسائر الحركات • وبهذا الامر قامت السموات والارض ، كما ان بأمر الملك الاول في المدينة قامت جميع الاوامر الصادرة ممن جعل له الملك ولاية امر من امور المدينة كما قال : «واوحى في كل سماء امرها» (٦٨) •••

اما اثبات ان الاجراء عاقلة : فهو ان الانسان يسمى من الاشياء حية عالمة ، الاشياء المتحركة من ذاتها بحركات محدودة ، نحو اغراض وافعال محدودة ، تتولد عنها افعال محدودة • فالسموات اذا كذلك ، لانه بالحس لها هذه الصفات • ثم ان هذه السموات يلزم عن حركاتها افعال محدودة ، بها قوام ما ههنا من نبات وحيوان وجماد • فانه لولا قرب الشمس وبعدها في فلکها المائل ، لما كانت الفصول ، ولولا الفصول لما كان نبات ولا حيوان ، ولا

(٦٥) الاصح عندي ان يقال : «المحركات» • او : «ان المحرك امر بالحركة» •

(٦٦) اى من الشرق الى الغرب •

(٦٧) اى من الغرب الى الشرق ، او انواع الحركات الاخرى غير الحركة اليومية •

(٦٨) القرآن : ٤١ : ١٢ •

جربى الكون (٦٩) على نظام • ثم مما يدل على وجود الحياة للسموات ان هذه الاجسام الصغيرة المظلمة الاجساد لم تعدم الحياة والادراك ، فيقطع ان الاجسام السماوية اخرى بذلك ، لعظم اجرامها ، وشرف وجودها ، وكنرة انوارها ، كما قال : لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس (٧٠) «.....» (٧١) •

(٦٩) القصد هنا : الكون والفساد ، اى تكون الموجودات الارضية ممن حيوان وجماد الخ • وتحللها ، لا الكون بمعنى العالم كله • وظاهر هنا ان ابن رشد يعتقد ان الشمس هي التي تدور ، وهي ذات المحور المائل ، فتكون الفصول حسب نظرية بطليموس في كتابه «المجسطي» ، الذى كان مترجما الى العربية منذ وقت مبكر في زمن يحيى بن خالد البرمكى ، «الفهرست» • ص ٣٨٨ •

(٧٠) القرآن : ٤٠ : ٥٧ •

(٧١) تهافت التهافت ص ١٨٤-١٩٠ •

الفصل الثالث

اعتراض الغزالي الثاني على دليل العلة التامة (١)

ض. غ : « لا بد لكم من الاعتراض بصدور حادث عن قديم ، فان الحوادث : اما تتسلسل ، او تستند الى طرف ليس حادثا ، بل قديما » (٢) .

ولابد قبل ايراد جواب الفلاسفة عليه من تأمل هذا الاعتراض مليا :

حاصل كلام الغزالي : اننا اذا قلنا زيد له أب فاما ان نجيز التسلسل فلا تصل الى أب اول ، وبالتالي لا تنتهي الى موجد لسلسلة الاباء كلها ولا لاول أب . واما ان نقول : ان التسلسل مستحيل ، فنصل الى أب اول ، فله محدث هو الله . واحب ان يلاحظ القارىء معي ما يلي :-

١ - قوله : « او تستند الى طرف ليس حادثا بل قديما » : تعليقي على ذلك ان مثال الاب لا يفيد - اذا رفضنا التسلسل - وجود الله بل ينتهي الى أب قديم لا موجد له . فاذا قلنا : ان زيدا ولد من عمرو ، وعمرو من فلان ، وبما ان التسلسل مستحيل ، فنصل الى أب ليس من أب آخر . فليس في هذا الاعتراض الذي يقدمه الغزالي اثبات وجود فاعل او (الله) .

٢ - ولو فرضنا جدلا اننا قلنا : ان هذا الحادث له محدث ، وان التسلسل مستحيل ، وعليه نصل الى حادث محدثه غير حادث ، وهو في مثل زيد السابق أب لا محدث له . اقول لو تجاوزنا عن هذه النتيجة ، وفرضنا ان هذا الاب هو الاخر محدث - وهو امر لا يمكن لهذا الدليل او الاعتراض ان يقدم عليه برهانا - وان محدثه هو الله . ففي هذه الحالة ، وبما اننا احلنا

(١) يستحسن الرجوع الى ما تقدم ص ١٣٤ فما بعد . وقد عرضت دليل

العلة التامة هذا ص ١٣٤ ج ٠ ف .

(٢) تهافت الفلاسفة . ص ٤٦ .

التسلسل الى ما لا نهاية في الحوادث مسبقا ، فسيبقى عندنا وضع واحد للمسألة وهو : ان سلسلة المحدثات تنتهي من جهة الماضى الى طرف ، وهذه السلسلة محدودة لها طرف من جهة الماضى • فيكون السؤال عندئذ : هل يرتبط المحدث الاخير من جهة الماضى بالله ارتباط العلة والمعلول الذى لا انفصال بينهما ، أى هما معا في الزمان ومدة الوجود ، أى ان الله لا يتقدم على المحدث الاول بمدة ، وفي هذه الحالة يكون الله ايضا محدثا وله بداية • ام ان الله يتقدم على المحدث ، تقدم الأزلى على ما ليس ازليا ، وفي هذه الحالة تقوم الاسئلة التالية : ١ - هل من ضرورة لايقاف السلسلة عند هذا المحدث الاول ولنفرض انه يقع في طرف (٥٠٠٠٠٠٠) سنة في الماضى ؟ ٢ - كيف نحل الاسئلة التى تترتب على دليل «العلة التامة» ، من عدم تغير الله ، وان فعله ازلى ، وان الفعل بعد عدمه في زمن لاحق يقتضى الترجيح بلا مرجح ؟ •

٣ - اليس من الممكن ان نفترض : ان هذا المحدث وكل محدث - اى سلسلة المحدثات كلها - لايد لها من محدث ، على اساس ان كل محدث فله محدث • ولكن مع القول : بانه طالما ان الله ليس له بداية في الازل ، فمن الممكن بل اللازم افتراض ان جملة المحدثات محدثة لله ، ولكن عدد اشخاصها ، لا نهاية له ، لانه ليس من ضرورة لايقاف السلسلة عند (٥٠٠٠٠٠٠) سنة قبل الان • وليس في هذا استحالة او تناقض ، فان قولنا : الله محدث الاشياء ، لا يستلزم ضرورة ان هذه الاشياء يجب ان تكون محدودة • واذا كان يستحيل عقلا ان يقال : ان فلانا في خمسين سنة احدث اشياء لا نهاية لها ، لانه يستحيل انجاز ما لا نهاية له من الاشياء لذى قوة محدودة في زمن محدود ، فان هذا لا يلزم على قولنا : ان الله يفعل او يحدث ما لا نهاية له من الاشياء ، لان الله في زمان مطلق او سرمد ودهر لا بداية له ولا نهاية ، وكذلك يقتضى لكماله ان تكون قوته على الفعل غير متناهية • فطالما ان بين الله وبيننا ما لا نهاية له ،

وهذا حكم كل ازلى ، فمن الممكن ملاً هذا الزمن اللامتناهي بما لا نهاية له
من افراد جنس واحد ، او من المحدثات ، وبذلك يتم لنا ما يلي :-

١ - نسبة الحوادث والمحدثات كلها الى محدث غير محدث وهو الله ،
او اى اسم آخر يفى بالعرض •

٢ - عدم المساس باهم صفة لله ، وهى الازلية •

٣ - عدم مخالفة (دليل العلة التامة) ، ومسألة (الترجيح) ومتعلقاتهما •

٤ - مطابقة الحس والمشاهدة ، وهو اننا نرى ان كل شىء ينشأ من
شىء ، وان المادة لا تفسى ولا تستحدث من العدم ، وان ما يحدث من الاشياء
هو كون وفساد بالمعنى الارسطى ، لا انحلال الى عدم محض او تكون من عدم
محض • وكذلك ما نشاهده دائما في تولد انسان عن انسان وحيوان عن
حيوان • وكذلك ما نرى من تحول الماء بخارا وبالعكس على جهة الدور •
وهذا هو جواب الفلاسفة على اعتراضات الغزالي كلها ، سواء قصدنا ارسطو
ام ابن سينا والفيثيين ، ام ابن رشد ، موضوعا بلغة عصرية • وقد خطر
لي ان اوضح فكرة الفلاسفة وفكرة المتكلمين عن الفلاسفة بين الله وبين
المحدثات برسمين يوضح تأملها الفروق بين الفريقين :-

الرموز

∞ ∞ : اللانهاية ازلاً وابدأ

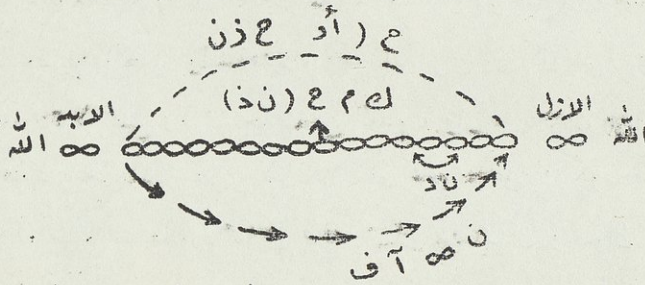
آ : حادث مفرد (او حدث جزئي مثل زيد)

ن ∞ آ ن : زمان لانهاية الله فاعل فيه دوماً

ع (أو) ع ن : الحوادث كلها أو اي منها ازلي بالزمان فقط

ك م ع (ن ذ) : كل مفرد حادث بالزمان وبالذات

ن د : زمان محدود



(١) رسم يوضح علاقة الله بالمحدثات وقدم الحوادث ككل وان كل مفرد محدث ، في مذهب الفلاسفة

الرموز

∞ ∞ : اللانهاية ازلاً وابدأ

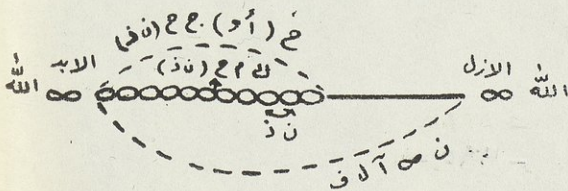
آ : حادث مفرد أو محدث جزئي مثل زيد

ن ∞ آ ن : زمان لانهاية الله ليس فاعل فيه دوماً.

ع (أو) ع ن : الحوادث كلها أو اي جنس منها حادث بالزمان وبالذات

ك م ع (ن ذ) : كل مفرد حادث بالزمان وبالذات

ن د : زمان محدود



(٢) رسم يوضح علاقة الله بالمحدثات وحدث العالم ككل في الزمان ، وحدث كل مفرد في مذهب المتكلمين

ج. ف. : « نحن لا نبعد صدور حادث من قديم اى حادث كان ، بل نبعد صدور حادث ، هو اول الحوادث من القديم . ولا يتصور عندنا ان يصدر الحادث من قديم ، الا بواسطة حركة دورية ابدية ، تشبه القديم من وجه ، فانه دائم ابدا ، وتشبه الحادث من وجه ، فان كل جزء يفرض منه ، كان حادثا بعد ان لم يكن . فهو من حيث : انه حادث باجزائه واطافته ، مبدأ الحوادث . ومن حيث : انه ابدى متشابه الاحوال ، صادر عن نفس ازلية» (٣) .

ج. ف. : « هذه الحركة الدورية : قديمة ام حادثه ؟ فان كانت قديمة فكيف صارت مبدأ لاول الحوادث ؟ وان كانت حادثه ، افتقرت الى حادث آخر وتسلسل (٤) . وقولكم : انه يشبه القديم بوجه ويشبه الحادث بوجه ، فانه ثابت متجدد ، او هو ثابت التجدد ، متجدد الثبوت ، فهل هو مبدأ الحوادث من حيث انه ثابت ، او من حيث انه متجدد ؟ فان كان : من حيث هو ثابت ، فكيف صدر من ثابت متشابه الاحوال ، شئ في بعض الاوقات دون بعض ؟ وان كان : من حيث انه متجدد ، فما سبب تجدده في نفسه ؟ فيحتاج الى سبب آخر وتسلسل . ثم يقول : «ولهم في الخروج عن هذا الالتزام نوع احتيال (٥)» . ولم يورده هنا (٦) .

تحليل جواب الغزالي هذا :

١ - من قوله : « هذه الحركة الدورية الى . . . آخر وتسلسل » . ان قوله : « لاول الحوادث » يتضمن مصادرة على المطلوب . لان الفلاسفة

(٣) تهافت الفلاسفة . ص ٤٩ .

(٤) سيبين ابن رشد ان قول الغزالي : «قولكم انه يشبه . . . الخ» ، هو قول سفسطائي .

(٥) تهافت الفلاسفة . ص ٥٠ .

(٦) سيورده ابن رشد كما سنرى بعد قليل .

الله
كل
مين

خصومة هنا لا يقرون بحادث هو اول حادث ، ولو اقرؤا بذلك لاصبحوا مثل المتكلمين ، يقولون بتناهي الحوادث من جهة الماضي ، فضاوت حادثة بالزمان • ويتضح بيان هذا ، وقولهم بخرقة قديمة تكون منشأ للحوادث اللامتناهية ، وكذلك تتضح صلة القديم - ايا كان - بالحوادث ، بالامثلة التالية :

المثال الاول :

وهو المثال الاثير عند الفلاسفة : نفرض ان الحركة الدورية للاجرام ازلية ، ليس لها بداية وليس لها نهاية ، فهى من هذا الوجه قديمة دائمة ازلا وابدا ، ولكنها في نفس الوقت ومن حيث انها تدور حول نفسها في مدار محدود ، او حول مدار محيط بجرم آخر ، نجدها متجددة الدورات ، كلما اكملت دورة بدأت اخرى ، فهى من هذا الوجه تكون منشأ للحوادث ، وليس هذا من قبيل المجاز بل الحقيقة المشاهدة عيانا وبالرصد وسواها • فان للشمس وبقية الاجرام تأثيرا على الحوادث من جماد ونبات وحيوان في ارضنا ، وعلى حدوث الفصول والليل والنهار والمد والجزر ••• الخ • وتتجدد الحوادث والمحدثات كلما تغيرت نسبة هذه الاجرام من كوكب بعدا او قربا في افلاكها • وهذه العملية متكررة مستمرة في كل دورة - سواء قلنا بان الارض هى التى تقرب وتبتعد ، او قلنا بان الاجرام هى التى تتحرك ، او قلنا بهما معا - فها هنا حركات دورية ازلية ابدية اى قديمة ، تحدث حوادث من تجدد حركاتها الجزئية (٧) •

المثال الثانى :

وهو مثال نجد بعض اجزائه عند فلاسفتنا ايضا : يتحول ماء البحار الى بخار ثم يصير ماء مرة اخرى ، على ما بين طرفي العملية من حوادث

(٧) ارسطو :

De Generation Et Corruption : BK. 11. 10. 336a. 12 ff.

BK. 1. 3. 317b; BK. 11. 11. 338a—338b.

اخرى ، مثل ان يصير سحابا ثم يتكاثف ثم ينزل مطرا فيتحول الى ماء البحر مباشرة ، او تتكون منه عيون وانهار ثم يصير الى البحر فيتبخر مرة اخرى • وترتبط هذه العملية بقربنا او بعدنا عن الشمس ، حتى يزداد التبخر او يقل ، ويتكاثف او لا يتكاثف حسب الفصول • فاذا فرضنا الدور في هذه العملية - كما هو مشاهد - فان استمرار هذه العملية دائما ، لا تقف امامه استحالة عقلية ، على الرغم من حصول حوادث متجددة في كل حقبة من الزمن ، فمثلا يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا حصل مطر ، فهذا المطر بالذات يعتبر حدثا جديدا وهكذا في عام • فاذا فرضنا - لاعتبارات ميتافيزيقية كما اوضحناها فيما سبق - ان الحوادث لا يمكن ان يكون لها اول ، امكن ان تصور استمرار الحوادث الى ما لا نهاية ، وان كانت عملية الدور نفسها ازلية •

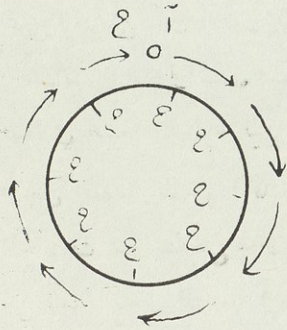
وليس في هذا التمثيل مخالفة للعلم الحديث ، وخصوصا لما يعتقد من ان الارض وظهور مجموعتنا الشمسية حدث له بداية زمانية - وان لم يكن جاء من العدم المحض • لان المثل السابق تقريبي ، وقد تصور ارسطو ومن تلاه من فلاسفتنا ازلية كل حركة وجرم من اجرام وحرركات السماوات بناء على ما وصل اليه علم الفلك عندهم ، وقد تغيرت جوانب من هذا العلم حديثا ، ولكن جوهر فلسفتهم في تفسير الوجود - وعلم الفلك والطبيعة انما هو مقدمة لها - هو الاصرار على قدم العالم ككل و قدم المادة بالزمان ، بحيث لا يمكن تصور ان المادة تفنى او تستحدث من العدم ، وان وضعوا للعالم علة ازلية ارتبط بها وجوده ارتباطا ذاتيا • وعليه ، فمن الممكن ان نفترض ما اراه يحافظ على جوهر فلسفتهم ، ويساير علم الفلك الحديث : وهو ان مادة الكون ازلية ، على شكل طاقة تتخذ اوضاعا مختلفة ، فتكون منها نجوم ومجموعات شمسية متعاقبة بحيث يكون فساد احدها كونا لمجموعة جديدة ، على نمط ما نرى في تبخر الماء مكونا ماء آخر •

المثال الثالث :

«وهو تجردي عام . وقد وضعته وضعاً ، وارى انه مفسر لنشوء الحوادث عن حركة ازلية خير تمثيل : لنفرض ان عندنا دائرة كسكة حديد ، ربطت على اجزاء محيطها من الداخل اوتار تحدث رنيناً . وفرضنا ان جسماً يتحرك على هذه الدائرة ، حركة لا بداية لها ولا نهاية اى حركة دائمة ازلية . فان حركة هذا الجسم ستحدث حوادث متعاقبة مستمرة ، وهى رنين الاجراس . وكل رنين له بداية ونهاية ، فهو يحدث بالذات وبالزمان ، وبدايته هو مرور الجسم المتحرك وضغطه على الوتر . فهكذا حركات الافلاك الدورية وما يحدث من آثارها من تكون الجمادات والنباتات والحيوانات ، عملية دائمة . وكل جماد او حيوان او نبات على حدة ، له بداية ونهاية ، فهو يحدث ، ولكن جنس كل مفرد من هذه قديم ازلى ، طالما ان مرور هذا الجسم ، لا بداية له ولا نهاية . فاذا فرضنا ان بين هذه الاجراس الرنانة علاقة اثر وتأثير ، كأن يكون احدهما اذا رن اوجد حركة الاخر ، او اوجد حركة ورنين اجراس اخرى متعلقة به من الداخل ، امكن حينئذ ان نفترض حصول حوادث قبل حوادث (كما ذكرنا في مثل تكون ارضنا او مجموعتنا الشمسية في مدة متأخرة ، كما امكن تفسير ظهور البشر على سطح الارض بعد ظهور النباتات والحيوانات مثلاً) . ولكن في كل هذا ، ومع هذا كله ، يستحيل ، بل يكون غير منطقي ان نسأل ، كما سأل الغزالي في اعتراضه السابق : «اذا كانت الحركة الدورية قديمة ، فكيف صارت مبدأ لاول الحوادث؟» . لان هذا السؤال ، وقوله : «اول الحوادث» ، يتضمن ان للحوادث اولاً . فهو مصادرة على المطلوب .

وبصورة عامة : ان من يفترض الحركة ازلية والفاعل ازلياً ، لا يمكنه الا ان يفترض ان الحوادث لا اول لها سوى ذات الفاعل ، ولا بدء لها الا ابتداء الحركة الازلية . فاذا كان الفاعل ازلياً وفعله ازلياً والحركة ازلية

كانت الحوادث كذلك ككل ، وان كان كل مفرد منها حادثاً • فليس يمكن في الرسم التالي (انظر الرسم ادناه) ولا في الرسوم المتقدمة ، ان نسأل : متى بدأت حركة الجسم ، ومن اى نقطة على الدائرة • لاننا نقر بذلك ان الحركة ليست ازلية • وكذلك اذا فرضنا ان الفاعل ازليا وفعله ازليا ، فما يفعله لا يمكن ان يكون الا ازليا بالزمان • وما ينشأ عن فعله من حوادث مفردة لا بد ان يكون بلا اول ، فيستحيل ان نسأل : متى بدأ الفعل ؟ او ما هو اول الحوادث ؟ وقد سبق ان قلت : انا حينما تتعامل مع اللامحدودات فليس امام عقولنا عن هذا الفهم مهرب مهما ظهر معاكسا لتخيلاتنا وما اعتدناه من منطق المحدودات •



الرموز
 آ : جسم يتحرك حركة ازلية
 ع : حركة ازلية على الدور
 ع : حادث مفرد .

موقف ابن رشد من اعتراض الغزالي (٨) :

« لو ان الفلاسفة ادخلوا الموجود القديم في الوجود من قبل لوجود الحادث على هذا النحو من الاستدلال - كما في قول الغزالي قيد المناقشة - ، اى لو وضعوا ان الحادث (٩) بما هو حادث انما يصدر عن قديم ، لما كان

(٨) انظر اعتراض الغزالي • كما مر سابقا من هذا البحث • ج • غ المبتدء بقوله : هذه الحركة الدورية ، قديمة ام حادثه •••

(٩) لان عندهم : الحادث مثل زيد المشار اليه ، انما يصدر عن القديم ، ليس بما هو زيد الحادث الذى له اول ، لان مثل هذا الحادث المشار

للفلاسفة محييص من ان ينفكوا عن الشك في هذه المسألة • لكن ينبغي ان تعلم ان الفلاسفة يجوزون وجود حادث عن حادث الى غير نهاية بالعرض اذا كان ذلك متكررا في مادة منحصرة متناهية ، مثل ان يكون فساد الفاسد منهما شرطا في وجود الثاني فقط • مثال ذلك ان تتصور انسانين ، فعل الاول منهما الثاني من مادة انسان فاسد ، فلما صار الثاني انسانا بذاته ، ففسد الانسان الاول ، فصنع الثاني من مادته انسانا ثالثا ، وهكذا ، فإنه يمكن ان تتوهم في مادتين تأتي الفعل الى غير نهاية ، من غير ان يعرض في ذلك مجال • وذلك مادام الفاعل باقيا • فإن كان هذا الفاعل لا اول لوجوده ولا آخر ، كان هذا الفعل لا اول لوجوده ولا آخر • وكذلك يتصور ذلك في الماضي ، اعنى انه متى كان انسان ، فقد كان قبله انسان فعله ، وانسان فسد • وقبل ذلك انسان فعله وانسان فسد • وذلك ان كل ما هذا شأنه ، اذا استند الى فاعل فهو في طبيعة الدائرة ليس يمكن فيه كل (١) • • • فاذا الجهة التي منها ادخل القدماء موجودا قديما ليس بمتغير اصلا ، ليس هو من جهة وجود الحوادث عنه بما هي حادثة ، بل بما هي قديمة بالجنس • واما الجهة التي من قبلها ادخل القدماء في الوجود موجودا ازليا واحدا بالعدد ، لا يقبل

اليه لا يصدر عندهم عن القديم مباشرة • لان في ذلك خروج على دليل العلة التامة ، ومسألة الترجيح ولو ازمهما ، بل ان زيدا يصدر عن القديم باعتبار جنسه القديم ، اى باعتباره واحدا من افراد لا نهاية لهم ، تشير سلسلتهم اللامتناهية العدد الى قدم جنس الانسان وصدور قديم بالزمان (جنس الانسان) عن قديم بالذات والزمان (الله) او عن (الحركة الدورية القديمة) ليس مستحيلا •

(١٠) اى ليس يمكن فيه مجموع متناه وكل حاصر لاجزائه ذو بداية ونهاية • ومبحث الكل والبعض من مباحث فلاسفتنا ومتكلمينا الاوائل ، وهو مبحث ارسطو في الاصل وغيره عند فلاسفة الهند القدماء • انظر التفاصيل في اطروحتي القسم الثاني • الفصل الرابع متن ص ٣٦٦ • وحاشية رقم (١) منها •

التغيير ، فجهتان : اخدهما : انهم الفوا هذا الوجود الدورى قديما ، وذلك
 انهم الفوا كون الواحد الحاضر فسادا لما قبله ، وكذلك فساد الفاسد
 منهما بالقوة كونها لما بعده ، فيجب ان يكون هذا التغيير القديم عن محرك قديم
 ومتحرك قديم ، غير متغير في جوهره وانما هو متغير في المكان باجزائه ،
 اى يقرب من بعض الكائنات ويبعد ، فيكون ذلك سببا لفساد الفاسد منها
 وكون الكائن . وهذا الجرم السماوى هو الموجود الغير متغير الا في الاين
 - المكان - ، فهو سبب الحوادث من جهة افعاله الحادثة ، وهو من جهة اتصال
 هذه الافعال له ، اعنى انه لا اول لها ولا آخر ، عن سبب لا اول له ولا آخر .
 والوجه (الثانى) الذى من قبله ادخلوا موجودا قديما ليس بجسم اصلا
 ولا ذى هيولى ، هو انهم وجدوا جميع اجناس الحركات ترتقى الى الحركة
 في المكان ووجود في المكان ، ولا ترتقى الى متحرك من ذاته ، عن محرك او
 غير محرك اصلا لا الذات ولا بالعرض ، والا وجدت محركات متحركات
 معا غير متناهية ، وذلك مستحيل . فيلزم ان يكون هذا المحرك الاول ازليا ،
 والا لم يكن اولا . واذا كان ذلك كذلك فكل حركة في الوجود فهى ترتقى
 الى هذا المحرك بالذات لا بالعرض ، وهو الذى يوجد مع كل متحرك في
 حين ما يتحرك . واما كون محرك ، مثل انسان يولد انسانا ، فذلك بالعرض
 لا بالذات وهذا كله ليس يتبين في هذا الموضوع كبرهان ، ولكن باقوال
 من جنس هذا القول . وهى اقنع من اقوال الخصوم ، عند من انصف .
 وان تزييف لك هذا ، فقد استغنيت عن الانفصال الذى تزييف به ابو حامد
 عن خصماء الفلاسفة في توجه الاعتراض عليهم في هذه المسألة ، فانها
 انفصالات ناقصة ، لانه اذا لم يبين الجهة التى من قبلها ادخلوا - اى الفلاسفة -
 موجودا ازليا في الوجود ، لم يتبين وجه انفصالهم عن وجود الحادث عن
 الازلى ، وذلك هو كما قلنا بتوسط ما هو ازلى في جوهره ، كائن فاسد في

حركاته الجزئية لافى الحركة الكلية الدورية . او بتوسط ماهو من الافعال
ازلى بالجنس ، اى ليس له اول ولا آخر» (١١) .

ويعود الى قول الغزالي : «وقولكم انه يشبه القديم بوجهه» ،
فيقول : «هو قول منسطائي ، فانه لم يصدر عنها من جهة ماهى - اى الحركة
الدورية - ثابتة ، بل من جهة انها متغيرة . الا انها - في تغييرها وتجدد
دوراتها - لم تحتاج الى سبب مجدد محدث ، من جهة ان تجدها هو فعل
قديم ، اى لا اول له ولا آخر . فمعنى ثبوت الحركة : ليس انها ثابتة
- لا تتحرك - بل انها متغيرة» (١٢) .

ومعنى قول ابن رشد واضح ، فان من يقول ان كل شىء يتغير لا يمكن
ان نسأله : هل التغير يتغير ؟ ، لان في هذا نقضا لمعنى التغير . ولذلك اوتر
عن هرقلطس قوله : كل شىء يتغير الا التغير» (١٣) .

(١١) تهافت التهافت . ص ٦٠ وسبق ان ذكرنا له نصوصا عن قدم
الجنس وحدوث افراده وعن نشوء الحوادث على جهة الدور .

(١٢) تهافت التهافت . ص ٦٣ .

(١٣) برنيت :

J. Burnet: Early Greek Philosophy. 4th, ed. London. 1958.

Under: Heraclitus.

والاهوانى : فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط . القاهرة ١٩٥٤
عند كلامه عن هرقلطس . وبالاخص ذكره لاهم ما تبقى من نصوص
هرقلطيسية .

الفصل الرابع

الدليل الثانى في قدم العالم عند الفلاسفة
وهو المتعلق بمسألة الزمان وموقف الفزائى وابن رشد
منه • صيغة اولى

ح • ف • • : « تقدم الله - اما بالذات فيكونان اما حادثين او قديمين معا (١) •
واما بالزمان ، فاذا قبل (٢) وجود العالم والزمان زمان كان العالم فيه معدوما ،
وكان الله سابقا بمدة مديدة لها طرف من جهة الاخر (٣) ولا طرف لها من
جهة الاول • فاذا قبل الزمان زمان لا نهاية له وهو متناقض • فصح ان
الزمان لا حدوث له (٤) • واذا وجب قدمه وهو عبارة عن قدر الحركة وجب

(١) الصحيح ان يقال : فيكونا اما حادثين بالزمان او قديمين بالزمان •
لان الفلاسفة لا يضعون العالم قديما مثل قدم الله • لان الله قديم
بالزمان وبالذات ، والعالم قديم عندهم بالزمان ، محدث بالذات •

(٢) في الحقيقة هذا الوضع للدليل ناقص ، والاصح ان يوضع كما يلي :-
اذا تقدم الله العالم بالزمان ، فاما ان يكون هذا التقدم بالزمان
المحدود الذى له بداية ، فيكون في هذا نقض لازلية الله ، لان ما زاد على
محدود بمحدود فهو محدود ، والانتهاى الى ان الله محدث لا يقبله
المتكلمون ولا الفلاسفة • واما ان يقال انه متقدم على العالم بزمان ، له
طرف من جهة العالم وليس له طرف من جهة الاول ، فاذا قبل الزمان
زمان لا نهاية له ، وهو متناقض • فصح ان الزمان لا حدوث له • • •
الخ • الدليل كما اعلاه •

(٣) قوله : (الاخر) اى من جهته التى وجد في نهايتها العالم •

(٤) هذا غير صحيح ، اى ان اعتماد الفلاسفة على هذه الحجة لاثبات ازلية
الزمان ، غير مجدية ، لاننا اذا فرضنا العالم محدثا ولم يكن ازلا ،
فزمان العالم الذى هو مقياس حركة الفلك او الحوادث هو ايضا لم
يكن • وهذا الزمان المفروض قبله ، هو ليس زمان العالم المفروض
حادثا وله زمن اول ابتدأ منه ، بل هو مقياس وجود الله • فلا يمكن
ان نستنتج منه بهذا الطريق قدم الحركة ثم المتحرك • ولذلك تصبح
حجة الفلاسفة واستنادهم على الزمان لاثبات قدم العالم ، غير مفيدة

قدم الحركة ، واذا وجب قدم الحركة وجب قدم المتحرك الذي يدوم الزمان بدوام حركته» (٥) .

ج . غ . : « الزمان حادث مخلوق وليس قبله زمان اصطلا . ومعنى قولنا : ان الله متقدم على العالم والزمان ، انه كان ولا عالم ولا زمان ثم كان ومعه عالم وزمان . ومعنى قولنا : كان ولا عالم ، وجود ذات الباري سبحانه ، وعدم ذات العالم فقط . ومعنى قولنا : كان ومعه عالم ، وجود الذاتين فقط . وليس من ضرورة ذلك تقدير شيء ثالث وهو الزمان ، وان كان الوهم

بهذا الطريق - انظر المصادر عن الفلاسفة المستندين الى هذا الدليل في حاشية (٥) ، (٦) ادناه . ولكن حجتهم تكون مقبولة اذا ارجعوا المسألة - بعد ان يثبتوا وجود زمان ، الله لم يكن فيه فاعلا - الى دليل العلة التامة والترجيح . انظر ما سبق بهذا الخصوص .

(٥) تهافت الفلاسفة . ص ٥١-٥٢ . وقد سبقت نصوص من ابن سينا بهذا المعنى . مثلا في النجاة ص ٤١٩-٤٢٠ يقول : « وايضا فان الاول بماذا يسبق افعاله الحادثة أبدأته ام بالزمان ؟ فان كان بدأته فقط مثل الواحد للثنتين وان كانا معنا بالزمان ، فيجب ان يكون كلاهما محدثين ، او قدم الاول وقدم الافعال الكائنة عنه . وان كان قد سبق لا بدأته فقط بل بدأته وبالزمان ، بان كان وحده ولا عالم ولا حركة ، فلاشك ان لفظة «كان» تدل على امر مضى . فقد كان كون ثم مضى قبل ان خلق الخلق ، فاذا كان زمان قبل الحركة والزمان . فان لم يسبق الله بأمر هو ماض للوقت الاول من حدوث الخلق فهو حادث مع حدوثه . وكيف لا يكون سبق على اوضاعهم بأمر ماض للوقت الاول من الخلق ، وقد كان ولا خلق ، وكان وخلق . وليس «كان ولا خلق» ثابتا عند كونه «كان وخلق» ، ولا كونه «قبل الخلق» ثابت مع كونه «مع الخلق» ، ولا كان وخلق هو وجوده مع عدم الخلق بلا شيء ثالث . . . ثم ان شئت فنأمل اقوالنا الطبيعية اذ بينا ان ما يدل عليه معنى كان ويكون ، عارض لهيئة غير قارة والهيئة غير القارة هي الحركة . فاذا تحققت ، علمت ان الاول انما سبق الخلق عندهم ، ليس سبقا مطلقا ، بل سبقا بزمان معه وحركة واجسام او جسم . :
ونجد مثل هذا في الهيات الشفاء ج ٢ ص ٣٧٨-٣٨٠ .

لا يسكن عن تقدير شيء ثالث ، فلا التفات الى اغاليط (٦) الاوهام» (٧) .

م ٥٥٠ : « ١ - قول ابى حامد - اى الغزالي - ان تقدم البارى على العالم ليس زمانيا صحيح ، لان البارى سبحانه ليس من شأنه ان يكون في زمان ، والعالم شأنه ان يكون في زمان . فقول الفلاسفة : اما ان يكون الله مع العالم

(٦) تهافت الفلاسفة . ص ٥٢-٥٣ . والقول : انه لا زمان قبل وجود العالم ، الذى يذكره الغزالي ، ويحكم به هنا ، سبقه اليه كثير من المتكلمين : ص ١١٢ رقم ٣ متن وص ١٢١ - رابعاً - من هذا البحث) . والفيومى . كتابه السابق ص (٧٢-٧٢) . وهو قول اوغسطين قبلهم وبعده قرون ، يقول اوغسطين في كتابه (مدينة الله) : ان الكون والزمان خلقا معا ولهذا ، فانه باطل ان يدعى ان العالم ازل مع الله .

Co-eternal with God.

أنظر :

St Augustine : The City of God. Bok. x. Ch. 6. TR. J. Healey.
1903. vol. 2. P. 181; also. Ch. 4. a-d. 5.

وانظر مقال ماجد فخري - السابق - ص ١٤٢ . والنص السابق هو : «ولو اننا نعتقد ان الاله خلق السماء والارض في مبدأ الزمان ، فانه مع ذلك يجب ان نفهم انه قبل بدء الزمان لم يكن زمان ، اذ الله خلق جميع الازمنة . واذا كان وجود الزمان ابتداء مع السماء والارض ، فانه لا يمكن ان يوجد زمان ، لم يكن الاله فيه قد صنع السماء والارض ، واذا فليست الازمنة ازلية كما ان الاله ازل» هذه الترجمة عن كتاب مشكلة الألوهية ، لمحمد غلاب . القاهرة ١٩٤٧ ص ١١٣ ، ١١٤ .

كما ان قول اوغسطين والغزالي ، نجده عند يحيى النحوي في (القرن الخامس الميلادى) . يقول يحيى النحوي في رده على بروقلس : «قبل ان خلق الله العالم ، لم يكن مادة ولا زمان ولا حركة . العالم له بداية ونهاية ، فهو ليس ازليا ولا ابديا . انما هو وجد من لا شيء وسينعدم الى لا شيء» . هذه النصوص ترجمتها عن فالزر - كتابه السابق - بالانكليزية ص ١٩٢ الذى يقتبسها فن كتاب «الطبيعة» لسمبليقوس . (ص ١١٤٢ ، ٢٣٠) و (١١٤٣ ، ٢١) كما انها - اى حجة الغزالي ويحيى واوغسطين . الخ - تقوم على نفس منطق

او متقدما عليه بالزمان ، غير صحيح • كما انه ليس تقدم العلة على المعلول ،
الذين هما من طبيعة الموجود المتحرك ، لان الله من طبيعة اخرى اى غير
طبيعة المتحرك ••• ٢ - ولكن قوله يكون صحيحا ، اذا كانت المقايسة
بين شيئين من طبيعة المتحرك . وكلاهما مما يصح انه في زمان • ولذلك فان

الفلاسفة ارسطو ومن جاء بعده ، مثل الافروديسى وابن سينا ، وهو
ان الزمان والحركة والجرم متلازمون ، فاذا ثبت قدم او حدوث
احدهم ثبت قدم او حدوث الاخرين • والفلاسفة ارسطو ومن تلاه
يستندون لاثبات قدم الجرم والحركة على قدم الزمان وبالعكس • عن
ارسطو انظر : « ما بعد الطبيعة » :
و « الطبيعة » :

Metaph: BK. 12. Ch. 6. 6;

Phys: BK. VIII. 1, 251b, 10—28.

BK. IV. 12. 220b—28; and 14. 223b. 15.

BK. VI. 4. 235a ff.

وانظر فاندنبرغ : « كتابه السابق • ج ٢ • نوت (١) على ص ١٢ •
ونوت (٤) على ص ١٢ •

اما عن الافروديسى : « مقال للاسكندر في القول في مبادئ الكل بحسب
رأى ارسطاطاليس الفيلسوف » ، نقلها الى العربية ابراهيم بن عبد الله
النصراني • ضمن : « ارسطو عند العرب • ج ١ • ص ٢٥٩-٢٦٤ • اما
عن ابن سينا ص ٢٠٦ • حاشية ٥٠ • وحاشية ٨٠ ادناه
ان الكندي استعمل نفس المنطق على اساس التلازم بين الحركة والزمان
والجرم لاثبات حدوث العالم وتناهي جرمه • انظر مقالى السابق عن
الكندى • مجلة الاقلام •

(٧) قول الغزالي : بأن تصور زمان قبل بدء العالم وزمانه ، من عمل
الوهم ، ومقارنة ذلك بالمكان ، نجده عند متكلمين قبله مثلا عن سعديا
الفيومي • اوائل القرن الرابع الهجرى يقول سعديا الفيومي : « ولعل
سائلا ان يتفكر في مكان الارض فيقول : اى شيء كان في مكانها ؟ وقوله
هذا انما سببه جهله بحد المكان • المكان ليس هو ما كان موضوعا تحت
الاشياء ، بل هو التقاء الجسمين المتماسين ، فموضع تماسهما يسمى
مكانا • بل يصير كل واحد منهما مكانا لصاحبه • واذا لم تكن ارض
ولا اجسام ، فساقط ان يقال : مكان على وجه • وكذلك في الزمان ،

فربما يقول : فمن ان تحدث الاجسام : كيف كان ذلك الزمان عاريا من كل موجود ؟ وهذا انما يقوله من يجهل حد الزمان ويظن انه شيء خارج عن الفلك وان الدنيا كلها فيه ، وانما حقيقة الزمان : انه بقاء هذه الموجودات حالا بعد اخرى ، من الفلك وما دونه ، فاذا لم تكن هذه الموجودات فساقط ان يقال : زمان على وجهه . الامانات والاعتقادات . ص ٧١ . ويكرر ذلك ص ١٠٢ . وانظر فاندنبرغ حيث يشير الى يحيى النحوى : ج ٢ نوت (٢) على ص ٣٨ .

(٨) هذا القول : - ان الله ليس في زمان الخ - ، هو قول ارسطو : يقول ماجد فخرى : «كون الشيء في الزمان عند ارسطو لا يعنى انه يوجد معه . بل ان الزمان يحتويه كما يحتوي المكان المتمكن . فلزم عن ذلك ان الاشياء التى توجد ابدا ليست في الزمان ، لان الزمان لا يحتويها ولا يؤثر فيها . وكذلك الاشياء التى لا تتحرك كالله والعقول المفارقة . لان الزمان يعد الحركة وهى غير متحركة ، فعليه الزمان صفة للاشياء الخاضعة للكون والفساد » كتابه : «ارسطوطاليس» . ص ٤٧ . ويكرر ابن سينا هذا مرارا في «تسع رسائل» ، الرسالة الثانية ص ٣٠ . بعد ان يتكلم عن ابداع الصورة والهوى يقول : ومبدهما يتقدم الكل بالذات . لا انه كان معه فيما لم يزل زمان . لان الزمان يحدث مع حدوث الحركة . ونجد ذلك في الرسالة الاولى ص ١٢ . ويؤكد ذلك في «النجاة» فيقول بعد ان يبين ان المتحركات في الحركة ، والحركة في الزمان : «وما هو خارج عن هذه - اى عن الحركة - فليس في زمان . بل اذا قوبل مع الزمان فكان له ثبات مطابق لثبات الزمان وما فيه ، وسميت تلك الاضافة وذلك الاعتبار دهراله ، فيكون الدهر المحيط بالزمان» . النجاة ، ص ١٩٢ . ومسألة ان الله ليس في زمان موجودة قبل الغزالي عند المتكلمين ايضا . فينقل لنا الاشعري في «مقالاته» ج ١ . ص ٢١٨ ، ج ٢ . ص ٥١٨ عن بعض شيوخ المعتزلة ، ما يدل على ان الله عندهم ليس في زمان ولا يقارن او يقاس بما هو في زمان . ويقول الباقلاني في «التمهيد» ص ٢٦٥ : متى كان ؟ سؤال يقتضى كونه في زمان لم يكن قبله . لان متى ، سؤال عن الزمان ، وهو قديم كائن قبل الزمان وخالق للزمان والمكان وموجود قبلهما . وتوقيت وجود الشيء بعام او مائة عام يفيد ان الموقت وجوده معدوم قبل الزمان الذى وقت به ، وذلك مما يستحيل عليه تعالى» . وفي جواب ابن حزم على ثابت بن محمد الجرجاني ص ١٥٦ تنمة حاشية ٤٨ يقول ابن حزم :

قول الغزالي : انه لا يلزم تقدم الله بالزمان ، صحيح بالنسبة الى المقايسة بين الله والعالم^(٨) فقط ٣ - ولكن اذا لم يكن تقدم الله زمانيا فليس يفهم تأخر العالم عنه - كما يقول ابو حامد - زمانيا ، بل هو تأخر المعلول عن العلة . لان التأخر يقابل التقدم ، والمتقابلان هما من جنس واحد ضرورة . فاذا كان التقدم ليس زمانيا ، فالتأخر ليس زمانيا . ويلحق ذلك ايضا الشك المتقدم : وهو كيف تأخر المعلول عن العلة التامة^(٩) . . . (١٠) .

ج . ف . : « بل يفهم مفهوم ثابت . وقولنا : كان الله قبل العالم ويكون الله ولا عالم ، يفيد شيئا ثالثا . (كما نقلنا عن ابن سينا من كتاب النجاة كما في ص ٢٠٦ حاشية ٥) .

« فاخبرته ان هذا شغب ضعيف ، لانه - اى الله - ليس في زمان لان الزمان انما هو حركة كل ذى زمان ، وانتقاله من مكان الى مكان ، او مدة بقائه ساكنا في مكان واحد ، والبارى ليس متحركا ولا ساكنا . وهو ليس في زمان ولا مدة ولا في مكان اصلا . . . الخ » . الفصل . ج ١ ص ١٦-١٨ .

ان قول اوغسطين والنحوى ومتكلمينا والغزالي اعلاه : وليس من ضرورة ذلك تقدير شئ ثالث . . . الخ ، اقول ان هذه الاقوال جميعها غير صحيحة . لان الله وان لم يكن من حيث انه ليس متحركا ذا زمان مثل زمان العالم ، فان له زمانا مطلقا هو مقياس وجوده الدائم . فاذا كان الله ازليا والعالم موجودا قبيل (٥٠٠٠٠٠) سنة مثلا ، فقبل العالم كان زمان مطلق او دهر او سرمد ، هو زمان الله الثابت او زمان وجوده الثابت وكان فيه غير فاعل . فهناك شئ ثالث ، لم يكن الله فيه فاعلا . وهذا مخالف لدليل العلة التامة ومسئلة الترجيح . ومن هنا يظهر ان اعتراض الغزالي وابن رشد ومن سبقهما ، غير مفيد من هذا الوجه .

(٩) يقصد ابن رشد دليل العلة التامة والترجيح . وهذا الذى ذكرته في الحاشيتين (٨ ، ٧) المارتين عاد اليه ابن رشد وادراكه فقوض حجة الغزالي .

(١٠) تهافت التهافت . ص ٦٥-٦٨ .

تعديل ابن رشد :

يكرر ابن رشد نقده السابق لجواب الفلاسفة عن وجود شيء ثالث ، على اساس ان الله ليس في زمان وان «كان» و «يكون» بالنسبة لمقايضة الله بالعالم مثل : كان الله ولا عالم ، وكان الله غفورا . . . الخ ، لا تدل الا على رباط الخبر بالخبر ولا تدل على زمان ، وذلك لان الله لا يصح عليه زمان^(١١) . وان «كان ويكون» تدل على زمان ، اذا كانت المقايضة بين شيئين كلاهما يصح عليه الزمان . ولكن ابن رشد لا يلبث ان يسند موقف الفلاسفة بتعديله تعديلا ، يقوم على مقارنة عدم العالم بوجوده ، فيقول : وانما تصح المقايضة صحة لاشك فيها اذا ما قسنا عدم العالم مع وجوده ، لان عدمه مما يجب ان يكون في زمان ، ان كان العالم وجوده في زمان ، فاذا لم يصح ان يكون عدم العالم في وقت وجود العالم نفسه فهو ضرورة قبله ، والعدم يتقدم عليه ، والعالم متأخر عنه لان المتقدم والمتأخر في الحركة لا يفهمان الا مع الزمان»^(١٢) .

ج . غ . ج : على جواب الفلاسفة السابق وهو قولهم بوجود تصور ووجود شيء ثالث بين الله وبين العالم .

حاصل جواب الغزالي : - ١ - ان توهم الماضي والمستقبل ، اللذين هما القبل والبعد ، شيء من عمل الوهم فليس لهما وجود بذاتهما ولا خارج النفس وانما هما شيء تفعله النفس ، فاذا بطل وجود الحركة والمتحرك ، بطل مفهوم هذه النسبة والمقايضة .

(١١) يستحسن الرجوع الى كتاب : «البرهان في علوم القرآن» ، لمحمد بن عبدالله المراكشي (٧٤٥-٧٩٤ هـ) . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٥٧ ج ٣ ص ١٢١-١٢٤ . حيث يوجد استقصاء لمعاني «كان» في القرآن واقوال القدماء فيها ، مثل ابن معطي ، والراغب ، وسيبويه ، وابن عطية ، والزمخشري ، وابو بكر الرازي .

(١٢) تهافت التهافت . ص ٧١ .

٢ - ان توهم القبلية قبل ابتداء الحركة الاولى التى للعالم ، والتي لم يكن قبلها شيء متحرك ، هو مثل توهم الخيال : ان آخر جسم العالم وهو الفوق مثلا ينتهى ضرورة ، اما الى جسم آخر واما الى خلاء . وذلك ان البعد شيء يتبع الجسم ، كما ان الزمان شيء يتبع الحركة . فكما ثبت ان بعدا غير متناه مستحيل - لثبوت تناهى جرم العالم - وان كان الخيال لا يدعن ، فكذلك تناهى الحركة من طرفيها ، يمنع تقدير بعد زمانى وراءه ، وان كان الوهم مستمرا (١٣) .

ج . ق . : « هذه الموازنة (١٤) معوجة ، لان الفوق والتحت هنا امران اضناقيان ، فلذلك عرض لهما التسلسل الوهمى . واما التسلسل الذى فى القبل والبعد فليس وهيميا ، اذ لا اضافة هناك وانما هو عقلى . وهو نسبة محصنة لينا لا تختلف اجزاء العالم وسطوحه فيه ، فان العالم كرى ، والكرة ليس لها فوق وتحت ، مثلا الجهة التى هى تحت بالاضافة اليك فوق بالاضافة الى غيرك ، اذا قدرت على الجانب الاخر من كرة الارض - شخصا - واقفا يحاذى اخص قدميه اخص قدمك ، وكذلك ما هو تحت الارض يعود الى فوق الارض فى الدور . وليس كذلك البعد والقبل ، فان الاول لوجود العالم لا يتصور ان ينقلب آخرا ، كما ان العدم الذى قبل الحادث وهو المسمى قبلا ، لا يمكن ان يتوهم انه العدم الذى بعد الحادث المسمى بعدا (١٥) .

ج . غ . : نعدل عن الفوق والتحت الى لفظ وراء والخارج . فهل خارج العالم شيء من ملاء او خلاء ؟ فسيقولون : ليس . فكذلك نقول لهم : ليس للعالم قبل (١٦) .

- (١٣) تهافت الفلاسفة . ص ٥٤ .
 (١٤) اى بين الفوق والتحت فى الجرم ، وبين القبل والبعد فى الزمان .
 (١٥) تهافت الفلاسفة . ص ٥٦-٥٨ .
 (١٦) كذلك ص ٥٩ .

م.د. ١٠٠ - حول اعتراض الغزالي الاول : «الزمان فعل النفس
والذهن» ، يقول ابن رشد : «ان تلازم الحلاكة والزمان صحيح ، وان الزمان
هو شيء يفعلُه الذهن في الحركة . لكن الحركة ليست تبطل ولا الزمان
في الموجودات التي تقبل الحركة ، وما في طبيعته امكان الحركة ليس ينقلب
الى ما طبيعته عدم قبول الحركة . فلو كانت الحركة غير ممكنة ثم وجدت ،
لوجب ان (١٧) تنقلب طبيعة الموجودات التي لا تقبل الحركة الى طبيعة
التي تقبل الحركة ، وذلك مستحيل . وانما كان ذلك ، لان الحركة هي في
شيء ضرورة . فان كانت الحركة ممكنة قبل وجود العالم فالاشياء القابلة
هي في زمان ضرورة ، لان الحركة انما هي ممكنة فيما يقبل السكون ، لا
في العدم ، لان العدم ليس فيه امكان اصلا ، الا لو امكن ان يتحول العدم
وجودا . ولذلك ، لا بد للحادث (١٨) من ان يتقدمه العدم ، ولا بد ان
يقترن عدم الحادث بموضوع يقبل وجود الحادث ويرتفع عنه العدم ،
كالحال في سائر الاضداد ، وذلك ان الحار اذا صار باردا فليس يتحول
جوهر الحرارة بزودة ، وانما يتحول القابل للحرارة والجامل لها من
الحرارة الى البرودة» (١٩) .

(١٧) في الاصل : ينقلب .

(١٨) المقصود هنا بالحادث : الحادث الزماني ، كما يتضح من مجموع
فلسفة ابن رشد ، ومن تمثيله له بالحرارة والبرودة . وكما هو واضح
في النصوص التي ذكرناها عن ابن سينا والغارابي سابقا . اما العالم
ككل ، ومجموع الحوادث فهي عندهم ليست حادثة بالزمان ، بل
بالذات فقط ، وسبق العدم لها سبق ذهني فقط كما وضع فيما تقدم .

(١٩) يمكن للمتكلمين القول بان امكان الحركة هو تصور عقلي فقط ،
فليس ثمة حركة قبل الحركة الاولى ، ولا موضوع لها فان قيل :
فالحركة قبل هذه كانت اذا غير ممكنة بل مستحيلة ، قيل : هي
ممكنة ان تكون هي وموضوعها ، لا انها مستحيلة ، ولا انها واجبة
الوقوع ، والا لو كان امكانها معناه وجودها ووجود موضوع فان الامكان

٢ - فيما يخص المعاندة الثانية للغزالي وهي المختصة بمقايسة الزمان
بالبعد المكاني والفوق والتحت ، يرى ابن رشد :-

« أ - ان جواب الفلاسفة بان الفوق والتحت اضافيان جواب غير مفيد ،
لانهم يقولون بفوق مطلق وتحت مطلق ، وهما اللذان ينتهي اليهما الخفيف
والثقل . ولانه ايضا يمكن الرد عليهم ، بان التسلسل في تصور الفوقية
بلا نهاية هي من عمل الوهم ، وليس بسبب الاضافة كما اجابوا . ولذلك
فان دليلهم انكسر من هاتين الجهتين (٢٠) . »

ب - ان الجواب الصحيح على معاندة الغزالي تلك ، هو : ان قول
الغزالي سفسطائي ، لانه حكم للكم الذي لا وضع له ولا يوجد فيه كل ،
وهو الزمان والحركة (٢١) ، بحكم الكم الذي له وضع وكل وهو الجسم .

ينقلب الى وجوب . وعندى ان استناد فلاسفتنا الى فكرة الممكنات
وحدها لا يعطى قدم الزمان والحركة وموضوعها - المادة والاجسام - ،
اذا لم نربط الامكان بفكرة العلة التامة او القوة والفعل . وكلا هذين
الطريقتين سالكهما الفلاسفة . فمتى ربطنا فكرة الممكن بالعلة التامة
استحال ان نفرض لحوادث اولوية ، لان السؤال يقوم حينئذ : لماذا
لم يفعل قبل ذلك ، ولماذا تأخر فعله مع كماله ؟ وكذلك متى ربطنا
الحركة بفكرة الفعل والقوة - والمقصود بالحركة هنا معناها الواسع
الذي يشمل الفعل ايضا - استنادا الى مبدأ ان الفعل سابق على
القوة ، وهو مبدأ ارسطى تابعة فيه فلاسفتنا . وعليه فان الحركة
اذا فرضت غير موجودة في الازل استحال وجودها دائما حاشية ٤٦
ص ١٥٠ فما بعد .

(٢٠) تهافت التهافت . ص ٨١ .

(٢١) لانهما دائما بالقوة ، والماضى والمستقبل من اجزائهما في حكم العدم ،
وما لا تتجمع اجزؤه معا فهو ليس بنى وضع ولا له كل . والزمان
والحركة عند الفلاسفة المذكورين غير متناهيين ، وما لا يتناهى لا توجد
اجزؤه بالفعل ، وليس له كل لان في هذا نقض له وتحديد . اما الجرم
فهو متناه عندهم واجزؤه موجودة معا ولها كل حاصر . وهذا كله على

وجعل لامتناع عدم التناهي في الاخير ، دليلا على امتناعه في الكم الذي لا وضع له ، وجعل لفعل النفس في توهم الزيادة على ما كان يفرض بالفعل منهما من باب واحد . وذلك غلط بين . فانه توهم الزيادة على العظم الموجود بالفعل ، وانه يجب ان ينتهي الى عظم آخر ليس هو شيئا موجودا في جوهر العظم ولا في حده . واما توهم القبلية والبعديية في الحركة المحدثه ، فشيء موجود في جوهرها ، فانه ليس يمكن ان تكون حركة محدثة الا في زمان ، اعنى ان يفضل الزمان على ابتدائها . وكذلك لا يمكن ان يتصور زمان له طرف ، ليس هو نهاية لزمان آخر . اذ حد الان : انه هو الشيء الذي هو نهاية للماضي ومبدأ للمستقبل ، لان الان هو حاضر والحاضر وسط ضرورة بين الماضي والمستقبل ، وتصور حاضر ليس قبله ماض ، هو محال (٢٢) .

اساس حد ارسطو للزمان والجرم والحركة ، الذي تابعه فيه هؤلاء الفلاسفة ومنهم ابن سينا وابن رشد . ويمكن المخالفة فيه لمن يرى الزمان والحركة والجرم على غير هذا الرأي ، كما هو الحال عند افلاطون وابو زكريا الرازي وابو البركات البغدادي .

(٢٢) قول ابن رشد : « واما توهم القبلية والبعديية في الحركة المحدثه فشيء موجود في جوهرها » ، وقوله : (وكذلك لا يمكن ان يتصور زمان له طرف ، ليس هو نهاية لزمان آخر) ، اقول هذه الاقوال تكون اوضح اذا وضعت كما يلي : « واما توهم القبلية والبعديية في الحركة المحدثه بالزمان . وكذلك لا يمكن ان يتصور زمان له طرف متأخر عن الازلية » ، لان مقصود ابن رشد الحادث المفرد الزماني مثل صيرورة الماء . بخارا والنبات هشيما ، وليس العالم كله كحدث لله بالذات على ما ابنت في حاشية ١٨ ص ٢١٣ . ان ابن رشد لا يتكلم هنا - شأنه شأن ابن سينا والفارابي وكل من يقول بحدوث العالم بالذات وقدمه بالزمان - عن الحركة الكلية المحدثه بالذات والقديمة بالزمان ، والتي ليس قبلها زمان ولا عدم ، بل ذات المحرك او المحدث فقط ، كما انه لا يتكلم عن الزمان ككل ، الذي ليس قبله سوى الذات الالهية قبليية لا زمانية ، لان من المقر به عندهم - وعلى الاخص الفارابي وابن سينا - ان الحركة والزمان ازليان يتأخران عن الله بالذات فقط . فمفاد قول ابن رشد السابق اذا : هو اننا اذا تصورنا الحركة

وليس كذلك الامر في النقطة ، فهي نهاية خط وتوجد معه • لان الخط ساكن فيمكن ان تصور نقطة هي مبدأ الخط وليست نهاية لآخر • فاسب هذا الغلط - اى غلط الغزالي - هو تشبيه الان بالنقطة • وبرهان ان كل حركة محدثة - بالزمان (٢٣) - قبلها زمان : ان كل حادث (٢٤) لابد ان يكون معدوما ، وليس يمكن ان يكون في الان الذى يصدق عليه انه حادث ، معدوما ، فبقي ان يصدق عليه انه معدوم في آن آخر غير الان الذى يصدق عليه فيه انه وجد • وبين كل آيين زمان ، لانه لا يلى آن آنا ، كما لا يلى نقطة نقطة • وقد تبين ذلك في العلوم (٢٥) • فاذا قبل الان الذى حدث فيه الحركة زمان ضرورة •

فالفوق لا يشبه القبل ، كما قيل في هذا القول • ولا الان يشبه النقطة • ولا الكم ذو الوضع يشبه الذى لا وضع له • فالذى يجوز وجود آن ، ليس بحاضر ، او حاضر ليس قبله ماض ، فهو يرفع الزمان والان بوضعه آنا بهذه الصفة ، ثم يضع زمانا ليس له مبدأ فهذا الوضع يبطل نفسه • ولذلك ليس يصح ان ينسب وجود القبلية في كل حادث الى الوهم ، لان الذى يرفع القبلية يرفع المحدث ، والذى يرفع ان يكون للفوق فوق بعكس هذا ، لانه يرفع القوق المطلق ، واذا ارتفع القوق المطلق ارتفع الاسفل

لم تكن في الازل ، ثم حدثت ، فلا بد ان يسبقها زمان ، هو الفترة التى بين كون الله في الازل ليس فاعلا والعالم معدوما - حسب قول المتقدمين والفترة التى اصبح فيها فاعلا والعالم موجودا ، وكذلك اذا تصورنا الزمان له طرف من جهة الماضى ، طرف غير ازلى •

(٢٣) هذه من عندى زيادة في رفع الالتباس •

(٢٤) احبذ اضافة «زمانى» ، فتصير (كل حادث زمانى) ، لئلا يلتبس الامر بالعالم الحادث ككل حدوثا ذاتيا لا زمانيا • حاشية ١٨ على ص ٢١٣ •

(٢٥) انظر مثلا : السماع الطبيعى • المقالة الرابعة ص ٤٦ فما بعد • وتفسير ما وراء الطبيعة ج ٣ • مقالة اللام • ص ١٥٦١ :

المطلق ، واذا ارتفع هذا ارتفع الثقيل والخفيف • وليس فعل الوهم في الجسم المستقيم الابعاد انه يجب ان ينتهي الى جسم غيره ، باطلا ، بل هو واجب • فان المستقيم الابعاد يمكن فيه الزيادة ، وما يمكن فيه الزيادة فليس له حد بالطبع • ولذلك وجب ان تنتهي الاجسام المستقيمة الى محيط جسم كروي ، اذ كان هو التام الذي لا يمكن فيه الزيادة ولا النقصان • ولذلك متى طلب الذهن ان يتوهم في الجسم الكروي ، انه يجب ان ينتهي الى شيء غيره فقد توهم باطلا (٢٦) • وهذه كلها امور ليست محصلة عند المتكلمين ولا عند من لم يشرع في النظر على الترتيب الصناعي» (٢٧) •

صياغة ثانية لدليل الفلاسفة الثاني المستند

على قدم الزمان

ان الذي يهمنا في هذا البحث ، ليس هو كيف يشئت الفلاسفة قدم العالم ، ولا كيف يشئت المتكلمون بطلان هذه الحجج ، انما الذي يهمنا دليل العلة التامة فيها • ولكني وجدت ان مسألة الزمان توضح دليل العلة ، ولذلك اوردت الصياغة الاولى • وفي هذه الصياغة التي بين ايدينا ينصب اهتمامنا - مع طول تفرعات الحوار بين الغزالي والفلاسفة - على : هل يمكن وجود فترة زمنية بين الله الازلي وبين العالم اللاحق له في الوجود بعد ان لم يكن منذ الازل ام لا ؟ •

(٢٦) يمكن مراجعة براهين الفلاسفة على هذه المسائل فيما يلي :

١ - بالنسبة لابن سينا انظر ص ١٧٣ حاشية ٢٣ • وفي فلسفته الطبيعية عموما •

٢ - وعند ابن رشد في «السماع الطبيعي ، المقالة الثالثة • ص ٢٧ فما بعد ، والرابعة • ص ٤٢ • والسماء والعالم • المسألة الاولى كلها الى ص ٢٦ • والمقالة الثالثة خصوصا ص ٤٤-٤٥ •

(٢٧) تهافت التهافت • ص ٧٦-٧٨ •

فان الفلاسفة وابن رشد ، يؤكدون هنا مرة اخرى وجود هذه الفترة • اما الغزالي ومعه المتكلمون فلا يقرون بها • واحسب ان القارىء بات مدركا لتتائج هذا الاختلاف ، فانه يتحتم على قول الفلاسفة بوجود زمان قبل اى زمان نفترضه اولا للعالم ، قدم الزمان ، وانه ليس محدثا بالزمان بل بالذات ، كما يترتب عليه مسألة العلة التامة : لماذا يتأخر فعلها عنها؟ ، ومسألة الترجيح : لماذا اوجد الله العالم في زمن معين مع امكان ايجاده له قبل ذلك؟ • والملاحظ في اجوبة الغزالي في هذه الصياغة الثانية ، انه يعارض الدليل بمعارضات اخرى • فمثلا اذا قال الفلاسفة : قبل هذا الزمان قبل ، عارضهم : بان هذا من عمل الوهم كما لو قيل وراء العالم عالم!! • وهى معارضات سفسطائية حقا • ولولا اطالة الغزالي في هذه المقارنات لما احتجنا الى اكثر مما كتبنا في هذه الصفحة عن هذا الدليل بصيغته الثانية •

وخلاصة المسألة كما يلي :

يجوز الفلاسفة وجود عوالم قبل هذا العالم ، فتمه مقدار ممتد من هنا الى الازلية هو الزمان ، فاذا قبل الزمان الذى فرضه المتكلمون اولا ، زمان • وجواب الغزالي : « ان هذا من عمل الوهم كما لو تصورنا امكان ايجاد العالم اكبر او اصغر • ويوجب الفلاسفة : ان ايجاده اكبر او اصغر ، مستحيل ، ولا قدرة على المستحيل ، ولكن وجوده قبل الان ليس كذلك • ويجيبهم الغزالي : ١ - ليس في وجوده اكبر او اصغر ، استحالة كاستحالة الجمع بين السواد والبياض ، ٢ - واذا كان العالم لا يمكن ان يكون اكبر او اصغر ، فهو واجب لا ممكن بل ضرورى فاستغنيت عن الصانع ، ٣ - كما قلتم : وجود العالم ، اكبر او اصغر مستحيل ، نقول نحن : وجود عوالم قبله مستحيل • ويوجب ابن رشد عن هذه الاعتراضات بما يلي : ١ - القول : بان العالم يستحيل ان يكون اكبر او اصغر ، لا لكونه مستحيلا بذاته ، بل لانه يؤدى الى مستحيل ، وهو وجود خلاء او ملاء خارج العالم •

٢ - لو لزم ان يكون الضرورى لا فاعل له ، للزم رفع الضرورة
فيرتفع الله والعقل والحكمة •

٣ - من ينكر تقدم امكان وجود الشيء على وجوده ، يجعله مستعيا ،
والمستع لا يصير ممكنا ولا موجودا • ونظرا لاهمية تفاصيل هذه الاقوال
اضعها بين يدي القارى بتصريف بعد ان صار قادرا على استيعاب خطوطها
العريضة •

ح • ف • : «ممكن فرض عالم قبل هذا العالم لان الله قادر • وكذلك
عالم قبل ذاك وهكذا • ولا يمكن ان يكون العالم الثالث الاسبق مع العالم
الثانى الذى هو بعده ، اذا كانا متساويين في المسافة وسرعة الحركة ، فاذا
هذا العالم الثالث قبل الثانى بمقدار وهكذا • وهذا المقدار المكتم الذى بعضه
اطول من البعض بمقدار معلوم ، لا حقيقة له الا الزمان ، اذ هذه الكميات
ليست صفة ذات الباري ، ولا صفة عدم العالم ، اذ عدم ليس شيئا حتى
يتقدر ، والكمية صفة تستدعى ذا كمية وهو الحركة • وليس الكمية الا
الزمان الذى هو قدر الحركة • فاذن قبل العالم عندكم شيء ذو كمية متفاوتة
وهو الزمان» (٢٨) •

ج • غ • : «هذا من عمل الوهم ، ويمكن دفعه بمقابلة الزمان بالمكان •

(٢٨) تهافت الفلاسفة • ص ٦٠-٦٢ ونجده بصيغة مقاربة جدا في
«النجاة» بعنوان : فصل في ان المخالفين يلزمهم ان يضعوا وقتا قبل
وقت • ص ٤٢١-٤٢٢ • وفي هذه الصيغة ما يستحق المقارنة بما
يورده الغزالي اعلام على لسانهم ، ولذلك فاليك النص بتصريف :
«ان الله اما يمكن ان يخلق عالما آخر قبل هذا ، وهكذا ، او لا يقدر •
فعلى الثانى يثبت ان الله عاجز ، او انتقال المخلوقات من الامتناع الى
الامكان ، فيثبت الاول • وعليه يثبت وجود حركة لا بدء لها في
الزمان ، انما البدء لها من جهة الخالق ، وانما هي السماوية» ونجده
كذلك في الهيئات الشفاء • ج ٢ • ص ٣٨١ •

فانا نقول : هل كان في قدرة الله ان يخلق الفلك الاعلى في سمكه اكبر مما خلقه بذراع ؟ فان قالوا : لا ، فهو تعجيز ، وان قالوا : نعم ، فذراعين وهكذا الى غير نهاية . . . ، فوراء العالم كمية قسمتدعى ذاكم وهو الجسم او الخلاء فوراء العالم خلاء او ملاء» (٢٩) .

ج . ف . : «ليس ثمة تعجيز ، فان ما هو ليس بممكن فهو ليس بمقدور . وهذا هو حال تقدير كون العالم اكبر مما هو عليه او اصغر ، وهو غير ممكن فلا يكون مقدورا» (٣٠) .

ج . غ . : «هذا باطل من ثلاثة اوجه :-

١ - ان هذا مكابرة للعقل ، فان العقل في تقدير العالم اكبر او اصغر مما هو عليه ، ليس هو كتقديره الجمع بين السواد والبياض والوجود والعدم . والممتع هو الجمع بين النفي والاثبات .

٢ - اذا كان العالم لا يمكن ان يكون عندكم اكبر منه او اصغر

(٢٩) تهافت الفلاسفة ص ٦٣-٦٤ . وتنبغي الاشارة الى انه يستحيل عند الفارابي وابن سينا وابن رشد وآخرون وجود خلاء او ملاء وراء العالم ولهم في ذلك حجج . ابن سينا : النجاة . ص ١٩٣-٢٠٢ أدلة لاباطال الخلاء . وفي تناهي الجهات وان العالم واحد متناه انظر ص ٢١٢-٢٢٥ . والهيئات الشفاء ج ١ . ص ١٨٩ في معنى التام والكل . وتسع رسائل ، الطبيعيات من عيون الحكمة . الرسالة الاولى . على الاخص ص ٥-٩ حيث يبين ان العالم واحد كروي ، متناه ، لاخلاء ولا ملاء ، مع ادلة في بطلان الخلاء وكذلك - ص ١٤ . وابن رشد : انظر بهذا الخصوص كما مر في ص ٢١٧ حاشية ٢٦ . وكذلك (السماع الطبيعي) ، المقالة الرابعة ص ٣٧ فما بعد . حيث يثبت عدم وجود الخلاء وبعد مفارق وكروية العالم .

(٣٠) تهافت الفلاسفة ص ٦٤ .

فوجوده على ما هو عليه واجب لا ممكن . والواجب مستغن من علة (٣١) فقولوا
كما قال الدهريون بنفى الصانع .

٣ - يمكن ان يقال : كما قلتم ان وجود العالم اكبر او اصغر
مستحيل ، كذلك انه لم يكن وجود العالم قبل وجوده ممكنا ، فلا تعجيز لله ،
بل وافق الوجود الامكان من غير زيادة ولا نقصان» ويختم الغزالي
اقواله بما يلي :- « فتقدير الامكانات لا معنى لها ، وانما المسلم ان الله قديم
قادر لا يمتنع عليه الفعل ابدا لو اراد ، وليس في هذا القدر ما يوجب اثبات
زمان ممتد ، الا ان يضيف الوهم بتليسه اليه شيئا آخر» (٣٢) .

ق . د . : يمكن اجمال موقف ابن رشد في النقاط التالية :-

١ - دليل الفلاسفة السابق هو طريقة ابن سينا (٣٣) في اثبات الزمان ،
وفي تفهيمها عسر من قبل انه مع كل ممكن امتداد واحد ومع كل امتداد
ممكن يقارنه ، وهو موضع النزاع ، الا اذا سلم ان الامكانات التي قبل
العالم من طبيعة الممكن الموجود في العالم ، كلاهما يلحقه الزمان .

٢ - اعتراض الغزالي بمقابلة الزمان بالمكان صحيح ، اذا جوز تزويد
جسم العالم الى غير نهاية . وهو امر مستحيل (٣٤) . وليس يلزم في امتناع

(٣١) قوله : (الواجب مستغن عن العلة) ، هذا مرفوض عند الفارابي
وابن سينا كما تقدم . لان الواجب عندهم ، نوعان : واجب بذاته
وهو الله ، وهذا مستغن عن العلة ، وواجب بغيره لانه ممكن الوجود
بذاته . وهذا لا يوجد بلا علة ، مثل العالم عندهم فهو موجود دائما
لتعلقه بعلة تامة هي الله الواجب الوجود بذاته ، وان كان العالم في
حقيقة امره ، اذا انفك ارتباطه بتلك العلة يعود ممكنا . وسيشير ابن رشد
في جوابه على هذه المعاندة الى طريق ابن سينا هذا .

(٣٢) تهافت الفلاسفة . ص ٦٤-٦٦ .

(٣٣) هذا صحيح وقد اشرت الى وجوده في كتب ابن سينا ص ٢١٩ حاشية ٢٨

(٣٤) انظر اشارتي الى برهنة ابن رشد وابن سينا على هذه المسائل كما
في ص ٢١٧ حاشية ٢٦ .

هذا ان يكون توهم امكان عالم قبل هذا العالم ممتنعا ، الا لو كان قبل وجود العالم ، هناك طبيعة الضرورى والممتنع فقط ، وهو امر لا يقره العقل (٣٥) وهذا شئ قد صرح به ارسطو (٣٦)

٣ - لو كان فعل هذا الامتداد المقدر للحركة هو من فعل الوهم الكاذب ، مثل توهم العالم اكبر او اصغر مما هو عليه ، لكان الزمان غير موجود ، لان الزمان ليس هو شيئا غير ما يدركه الذهن من هذا الامتداد المقدر للحركة .

فان كان من المعروف بنفسه ان الزمان موجود ، فينبغى ان يكون هذا الفعل للذهن من افعاله الصادقة المنسوبة الى العقل ، لا من الافعال المنسوبة الى الخيال .

٤ - ويصدد اعتراضات الغزالي الثلاثة يجيب ، ابن رشد بما يلي :-
أ - عن قول الغزالي : « ليس مستحيلا مثل الجمع بين السواد والبياض » ، يقول ابن رشد : « انه - أى العالم اكبر او اصغر - مستحيل ، لا لانه معروف بنفسه ، مثل اجتماع الصدين بل لانه يؤدى الى محال معروف بنفسه انه محال . لانه يلزم عنه ان يكون خارج العالم ملاء أو خلاء ويلزم عنهما محال : اما الخلاء ، فوجود بعد مفارق ، واما الجسم ، فكونه متحركا اما الى

(٣٥) ابن سينا وآخرون يقسمون الاشياء : الى واجب او ضرورى ، ومستحيل او ممتنع ، وممكن . فقول الغزالي باستحالة امكان وجود عالم قبل هذا العالم ، يقبل ، لو كانت الاشياء قبل وجود هذا العالم ، اما واجب او ممتنع فقط . وفي هذه الحالة سيكون وجود هذا العالم او اى عالم ، ممتنعا . والممتنع لا يصير ممكنا ابدا فيستحيل وجود العالم ، وهو موجود الان ، فالقول بان وجود عالم قبل هذا العالم ممتنع ، ساقط .

(٣٦) اى وجود عظم او جرم لا نهاية له بالفعل . ومكان ذلك في ارسطو

Phys: BK. III. 4-5. 204a-206a. ;

Deaero: BK. I. 1-7. 268a. 276a.

فوق وأما الى أسفل وأما مستديرا ، فإن كان ذلك كذلك وجب ان يكون جزءا من عالم آخر ، وقد تبرهن ان وجود عالم آخر مع هذا العالم محال في العالم الطبيعي . وأقل ما يلزم عنه الخلاء ، لان كل عالم لابد له من اسطوانات - عناصر - اربعة وحجم مستدير يدور حولها (٣٧) .

ب - وعن الاعتراض الثاني ، يقدم جوابين : الاول : جواب ابن سينا (٣٨) ، وقد سبق ايراده . الثاني : « على قول الغزالي ، يلزم ان تكون الاشياء الضرورية لا فاعل لها ولا صانع . فهذه مغالطة خسيسة ، ولو ارتفعت الضرورة عن كميات الاشياء المصنوعة وكمياتها وموادها ، كما تتوهم الاشعرية في المخلوقات (٣٩) مع الخالق ، لارتفعت الحكمة الموجودة في الصانع وفي المخلوقات (٤٠) ، وكان يمكن ان يكون كل فاعل صائعا وكل مؤثر في الموجودات خالقا ، وهذا كله ابطال للعقل والحكمة » .

ج - ويرد ابن رشد على المعاندة او الاعتراض الثالث بقوله : « جحد تقدم الامكان للشيء الممكن ، جحد للضروريات ، فان الممكن يقابله الممتنع من غير وسط بينهما . فان كان الشيء ليس ممكنا قبل وجوده فهو ممتنع ضرورة . وقولهم : ان الامكان مع الفعل كذب ، فان الامكان والفعل متناقضان لا يجتمعان في آن واحد . فهؤلاء يلزمهم الا يوجد امكان لا مع الفعل ولا قبله . والالزام الصحيح للاشعرية في هذا القول ، ليس هو ان ينتقل القديم

(٣٧) عرض ابن سينا وابن رشد هذه المسائل مبرهنة في كتبهما كما مر ص ٢١٧ حاشية ٢٦ وكذلك : ص ٢٢٠ حاشية ٢٩ من هذا البحث .

(٣٨) انظر كما مر من ٢٢١ حاشية ٣١ .

(٣٩) انظر تفاصيل هذا المذهب في القسم الثاني ، الفصل الثالث من اطروحتي .

(٤٠) انظر تهافت الفلاسفة ، المسألة التي تخص السببية . ص ٥١٧ فما بعد . وقد سبقت الاشارة الى نقد مماثل لتوما الاكويني ص ١٨٤ حاشية ٥٤ .

من العجز الى القدرة ، (كما هو جواب الفلاسفة كما يورده الغزالي في بعض فرعيات هذه المسألة) لانه ليس يسمى عاجزا من لم يقدر على فعل الممتع ، وانما الالتزام الصحيح ان يكون الشيء انتقل من طبيعة الامتاع الى طبيعة الوجود ، وهو مثل انقلاب الضروري ممكنا • وانزال شيء ما ممتعا في وقت ممكنا في وقت ، لا يخرج عن طبيعة الممكن ، فان هذه حال كل ممكن ، مثال ذلك ان كل ممكن فوجوده مستحيل في حال وجود ضده في موضوع (مثل وجود السواد في حال وجود البياض في الطباشير) فاذا سلم الخصم ان شيئا ما ممتع في وقت ، ممكن في وقت آخر ، فقد سلم ان الشيء من طبيعة الممكن المطلق لا الممتع •

٥ - اما جواب ابن رشد على خاتمة قول الغزالي : « بان تقدير الامكانات لا معنى لها ••• الخ » فهو : « ان كان ليس في هذا الوضع ما يوجب سرمدية الزمان ، ففيه ما يوجب امكان وقوع العالم سرمديا • فليس هنا ما يوجب امتناع مقارنة فعله على الدوام لوجوده ، بل لعل مقابل هذا هو الذي يدل على الامتناع ، وهو ان لا يكون قادرا في وقت ويكون قادرا في وقت آخر ، فعادت المشكلة الى : هل يجوز ان يكون العالم قديما او محدثا او لا يجوز؟ » (٤١) • ثم يعود ابن رشد الى مقارنة فعل الله بوجوده ، وانه نقص ان يقرن فعل الله بضعلنا ، بل فعله لا نهاية له اى كلما قدمنا فعلا له قدمنا له فعلا قبله ويمر ذلك الى ما لا نهاية كما يستمر وجوده ، فان ما لا يحيط او يساوق الزمان ففعله كذلك ، ومن يضع ان القديم لا يصدر عنه الا فعل محدث ، فقد جعله مضطرا لا اختيار له (٤٢) •

(٤١) اى عادت الى مسألة العلة التامة ومشاكلها •

(٤٢) تهافت التهافت • ص ٨٦-٩٧ •

الفصل الخامس

دليل الفلاسفة الثالث على قدم العالم وموقف الغزالي وابن رشد منه

هذا الدليل هو تفصيل للاعتراض الثالث رقم (ج ، ٤) الذي عرضناه قبل سطور . والذي فيه ادعى الفلاسفة انه يمكن وجود عالم قبل هذا وهكذا باستمرار . وها هنا يسيرون بهذا الغرض الى نهايته ، فيرون ان : ازالة الامكان تعنى امكان الازلية . وحجتهم : اننا لا يمكن ان نفترض وقتا ، فيه وجود عالم ما ممتنع ، وعليه فالممكن على وفق الامكان ايضا لم يزل . ومن المفيد قبل عرض مفصل هذا النقاش بين الاطراف الثلاثة . ان اشير الى ان جواب ابن رشد يتضمن صورتين لكيفية وجود هذه الازلية في الممكن او الممكنات ، اى لقدم العالم او العوالم . فلموقف الاول : ان تتصور سلسلة من العوالم ، من هنا الى ما لا نهاية له في الماضي ، كل عالم منها حدث حدوثا زمانيا ، ولكن جنسها ازلى وليس له ابتداء زمانى انما هو محدث بالذات ، تماما كما تصور الفلاسفة من قبل ، قدم جنس البشر او اى كائن بالزمان ، وحدثه بالذات مع حدوث كل مفرد من افراده ، مثل زيد وعمر بالزمان وبالذات . وسنرى ان هذا الرأى او شبيها له سيأخذ به ابو البركات البغدادي من جانب الفلاسفة . كما ان ابن تيمية ومعظم متأخري المتكلمين مثل التفتازانى وزادة والدوانى ، سيضعونه في الحساب ، مع تحوير ، يجعل لسلسلة العوالم بداية زمانية . وهذا التحوير الكلامى لموقف ابي البركات ومن قبله ابن سينا وابن رشد ، لن ينقذ المتكلمين من اشكالات دليل العلة البتامة كما سنرى (١) . الموقف الثانى : انه لا بد من الانتهاء الى عالم ازلى بالشخص ، فاذا ، يستحسن الاكتفاء بهذا العالم بفرضه ازليا بالزمان محدثا

(١) انظر ما يلي : (الكتاب الثانى) ، الذى سيصدر بعد هذا الكتاب ، عند الكلام عن حل ابن تيمية .

بالذات ، وهو الحل الذى يختاره ابن رشد • وهو جوهر مذهب ابن سينا
والفارابى ايضا ، استنادا الى مجمل فلسفة الرجلين ، بل هو الحل الذى يراه
معظم الفيضيين من اتباعهما ايضا كما رأينا عند ابن المرزبان •

وفيما يلى تفاصيل المناقشة حول هذا الدليل ، كما يعرضها الغزالى وابن
رشد في تهافتيهما •

ح • ف • : « وجود العالم ممكن قبل وجوده ، اذ يستحيل ان يكون
ممتعا ثم يصير ممكنا • وهذا الامكان لم يزل • اذ لا حال من الاحوال
يمكن ان يوصف العالم فيه بانه ممتنع الوجود • فاذا كان الامكان لم يزل ،
فالممكن على وفق الامكان ايضا لم يزل » •

ج • غ • : « العالم لم يزل ممكن الحدوث فلا جرم ما من وقت الا
ويتصور احداثه فيه • واذا قدر موجودا ابدا لم يكن حادثا^(٢) • فلم يكن

(٢) يسلم الغزالى بازلية الامكان ولكنه يرفض - وسيتابعه في ذلك كثير من
متأخرى المتكلمين كما سنرى - امكان الازلية ، اى يرفض ازلية
الممكنات ، اى العالم والعوالم حسب الافتراض • ولا حجة للغزالى
سوى ما يراد برهنته وهو : اذا قدر موجودا ابدا ، لم يكن حادثا •
وهذه مغالطة : لانه اذا اريد بالحادث ، الشيء القديم بالزمان والحادث
بالذات ، فلا يلزم من كونه ابدا ، انه ليس حادثا • وهذا مراد الفلاسفة
من وضعهم للعالم حادثا • اما اذا اريد بالحادث ، الشيء الحادث
بالزمان وبالذات ، فصحيح انه لا يكون الا بى الازلى حادثا • ولكن
هذه هى عين الدعوى ، فهذا مصادرة على المطلوب • لان جوهر المسألة
هو : هل يمكن للعالم ان يكون ازليا بالزمان ام لا ؟ فان قلنا : يمكن
اولا يمكن ، لزمنا قضية او دليل غير دعوى انه ازلى او ليس ازليا • فان
الفلاسفة هنا قالوا : انه ازلى ، استنادا على ازلية الامكان ، واما
الغزالى فقال : انه ليس ازليا ، لانه ليس يمكن ان يكون ازليا ، لانه
لا يمكن ان يكون حادثا اذا كان ازليا • فالغزالى يستند على عين المدعى
لتأييد الدعوى او المدعى وهذا غير جائز عقلا •

الواقع على وفق الامكان بل خلافه • وكما انه لا نهاية لامكان الزيادة في تقدير العالم اكبر مما هو الان ، ومع ذلك فوجود ملاء مطلق لا نهاية له غير ممكن^(٣) ، فكذلك وجود لا ينتهي طرفه غير ممكن^(٤) •

ق • د • : « ١ - من يسلم ان العالم كان قبل ان يوجد ممكنا امكانا لم يزل ، يلزمه ان يكون العالم ازليا • لان ما لم يزل ممكنا ، ان وضع انه لم يزل موجودا ، لم يكن يلزم عن انزاله محال • ولان الذي يمكن فيه ان يقبل الازلية لا يمكن فيه ان يكون فاسدا ، الا لو امكن ان يعود الفاسد ازليا • ولذلك ما يقول الحكيم^(٥) : ان الامكان في الامور الازلية هو ضروري •

٢ - اما من وضع ان قبل العالم ليس امكانا واحدا^(٦) بالعدد ، بل ان قبل العالم امكانات للعالم غير متناهية بالعد ، اى امكان عالم ثم امكان عالم آخر قبله الخ - كما وضع ابو حامد في الجواب على لسان الفلاسفة - فقد يلزمهم ان يكون قبل هذا العالم عالم وقبله عالم الى ما لا نهاية ، كالحال في اشخاص الناس ، وخاصة اذا وضع فساد المتقدم شرطا في وجود المتأخر^(٧) •

(٣) وهذه معارضة بان نقضها عند الفلاسفة وابن رشد فيما تقدم ص ٢٢١ فما بعد ، وحاشية ٣٤٠ ، وض ٢١٢ فما بعد •
اما مسألة استحالة انقضاء ما لا يتناهي فقد وضع جوابها عند الفلاسفة وابن رشد وموقف جميع الاطراف منها ، فيما تقدم (في عرض الدليل الاول وموقف الغزالي وابن رشد منه وكذلك ص ٨٢-٩٠ •

(٤) تهافت الفلاسفة • ص ٦٦-٦٨ • ونجد هذا الدليل عند ابن سينا ، النجاة ص ٣٦٧-٣٦٨ •

(٥) اى ارسطو • وقد بحث ارسطو مسألة الامكان وعلاقته بالازلية في (ما بعد الطبيعة ٠٠٠ وفي «كتاب الاخلاق النيقوماهية») •

Aristo: Metaph: BK. V. 5. 1015a, 33-35. BK. IX, 8, 1050b, H-12;

Eth-Nic: BK. VI. 3. 1139b, 23-24.

(٦) كما فعل ابن سينا لضرورات جدلية •

(٧) مثل ان يتكون من فساد شخص آخر ، وهكذا انظر ما تقدم ص ٢٠٢ • وحاشية ١٠ منها •

(ويلاحظ ابن رشد) : « ان هذه الحجة لا تعطى ان امكانات هذه العوالم تنتهي الى عالم لا عالم ممكن قبله (٨) ، ولا هو ما يقولون به (٩) . ومثل هذا عند الفحص يؤدي الى محال ، لانه يلزم ان تكون طبيعة هذا العالم ، طبيعة الشخص الواحد الذي في هذا العالم الكائن الفاسد ، فيكون صدورُه عن المبدأ الاول بالنحو الذي صدر عنه الشخص ، وذلك بتوسط متحرك اذلى وحركة اذلية ، - وذلك لان الفلاسفة لا يجوزون صدور حادث عن قديم - فيكون هذا العالم جزء من عالم آخر ، كالحال في الاشخاص الكائنة الفاسدة ، فباضطرار اما : ينتهي الامر الى عالم اذلى بالشخص ، او يتسلسل . واذا وجب قطع التسلسل (١٠) ، فقطعها بهذا العالم اولى ، اعني بانزله واحدا بالعدد اذليا (١١) . »

(٨) ليتذكر القارئ مسألة قدم الاشخاص بالجنس عند الفلاسفة وحادث كل مفرد منهم حدوثا زمانيا ، دون ان يمكن افتراض شخص مفرد وليس قبله شخص مفرد آخر ، مهما استمرت السلسلة .

(٩) قلت ان ابن سينا يفرض امكان عوالم متعددة افتراضا جدليا لكي يحقق ما يذهب اليه ، وهو ان قبل هذا العالم امكانية لوجوده دائما ، وانه لذلك لا بد من القول : بازلية الامكان ، وبالتالي امكان الازلية لهذا العالم .

(١٠) يشكل موضوع اثبات محدث او واجب الوجود بذاته او محرك لا يتحرك - اى اثبات وجود الله - جزءا مهما من مواضيع الفلسفة والكلام الاسلاميين . وهناك صور متعددة لاثبات وقوف التسلسل عند محدث او صانع او محرك او واجب الوجود بذاته عنده تنتهي سلسلة المحدثات ، او الممكنات او المتحركات . ومنها : دليل ان كل حركة فلها محرك . وهو الذي يسير عليه ارسطو ، ويؤثره ابن رشد . ومنها : دليل ان كل ممكن فله موجد هو واجب الوجود بذاته . وهو طريق الفارابي وابن سينا ومعظم فلاسفتنا الفيضيين من اتباعهما ، مثل ابن المرزبان ومتأخري المتكلمين . ومنها : دليل ان كل حادث فله محدث . وهو طريق اوائل المتكلمين . وقد مر توضيح هذه المواقف مرارا وانظر وانظر ايضا ملحق رقم (أ) عن المذاهب في الحدوث والقدم .

(١١) تهافت التهافت . ص ٩٨-١٠٠ .

الفصل السادس

دليل الفلاسفة الرابع على قدم العالم وموقف الغزالي وابن رشد منه

وهو المستند على قدم الامكان لاثبات قدم المادة

لم أشأ في اول الامر ايراد هذا الدليل ، لكنني وجدته مهما لموضوعنا هذا من نواح : فاولا : ان الذى يطالع كتب فلاسفتنا ، يجدهم يؤكدون بصراحة على قدم مادة العالم • وطالما اتهمهم خصومهم بهذه التهمة ، ولذلك فمن اللازم - ونحن بصدد ايفاء رأيهم في القدم والحدوث - اجلاء هذه النقطة ، ومدى قربهم او بعدهم من فكرة قدم المادة عند ارسطو واليونان عموما ، ومدى ملاءمتها او عدم هذه الملائمة لقولهم بالحدوث بالذات والابداع • وثانيا : لهذا الدليل علاقة بما عالجه سابقا من مسائل مثل فكرة الامكان • وثالثا : اكمال موقف الغزالي من الفلاسفة وموقف ابن رشد من الطرفين •

ويمكن اجمال هذا الدليل وموقف الغزالي وابن رشد منه ، اجمالا ، يحدد بعض سماته بما يلي :- يرمى الفلاسفة من وراء الدليل اثبات قدم مادة العالم ، على اساس ان كل حادث جزئى يسبقه امكانه ، والامكان وصف اضافي ، فلا بد من حامل او موصوف ، وهو المادة ، والمادة لا يكون لها مادة ، وان تسلسل ، لزم الامر الوصول الى مادة اولى ليست بحادثة عن مادة •

هذا هو دليل الفلاسفة باسسط صورته • وينبغي ان انبه الى ان مقصود الفلاسفة وابن رشد من (الحادث) ، الحادث الجزئى • فهذه الحوادث الجزئية ، كل واحد منها مسبوق بمادة وله امكان قبل وجوده ، مثل ان الماء فيه امكان لان يصير بخارا والصوف بساطا ، وهكذا فالامكان هنا بمعنى الـ Potintiality اى الامكان الارسطى وهو حتما يحتاج الى شىء يتقوم به ، وليس هو من قضاء العقل ، لانه ليس كل جسم ممكن

ان يصير اى شىء ، بل نحن نقول : الحديد ممكن ان يصير سيفاً ، والماء
 يخازا • ولا نستطيع ان نقول : ان الماء ممكن ان يصير سيفاً وهكذا • فهذه
 اوصاف او امكانيات قضى العقل بنسبتها الى اشياء معينة بناء على وجودها محمولة
 في موضوعات خارجنا • ولذلك فان ردود الغزالي لتأييد قوله : بان الامكان
 الذى للجزئيات من قضاء العقل الصريف ، هى ردود سوفسطائية ، لانه فهم
 الامكان بانه اعتبار عقلى في هذه الموجودات الجزئية • ثم ان الغزالي لم يرد على
 قوام حجة الفلاسفة بالصورة التى يعرضها ارسطو وابن رشد من بعده وهى :
 ان المشاهدة تدل على عدم حدوث المادة الا من مادة ، وافترض حدوثها من
 العدم المحض ، مخالف للمشاهدة • ولا يخرج ابن رشد عن صلب موقف
 الفلاسفة السابق ، ولذلك رفض جميع اشكالات واعتراضات الغزالي التى
 تقوم - كما اشار ابن رشد - على جهل او تجاهل براء الفلاسفة في (العلم) و
 (الاجناس) و (الامكان) الخ • وفيما يلى تفاصيل هذا النقاش بين الاطراف
 الثلاثة :-

ح. ف. • : « كل حادث فالمادة التى فيه تسبقه^(١) » • اذ لا يستغنى
 الحادث عن مادة ، فلا تكون المادة حادثة ، وانما الحادث الصور والاعراض
 والكيفيات على المواد • وبيانه : ان كل حادث فهو قبل حدوثه لا يخلو : اما

(١) قوله : « كل حادث فالمادة التى فيه تسبقه » ، اكرر ان المقصود هنا
 الحادث الجزئى كما يستدل من مجموع مواضع في كتب ابن سينا •
 اما الحادث الكلى - اى العالم ككل - فلا تسبقه عند الفارابى وابن
 سينا واتباعهما مادة ولا زمان ، بل يسبقه امكان ذهنى • لانه في
 الواقع موجود مع وجود الله ، لا يتقدمه الله الا بالذات ، ولا يتأخر
 العالم عنه بالزمان انظر ص ٣٥ نوت ٥٤ فما بعد • ، وص ٤٨ فما
 بعد وحواشيها ، وص ٥٦ فما بعد • وعن معنى الحادث الجزئى انظر :
 ص ١١٣ نوت ١٨ • ويستدل على هذا : بان الحوادث الابداعية مثل
 العقول والنفوس الفلكية ليس فيها مادة ، وهى مفارقة او ليست ذوات
 مادة •

ان يكون ممكن الوجود ، او ممتنع الوجود ، او واجب الوجود • ومحال ان يكون ممتعا ، لان الممتنع في ذاته لا يوجد قط ، ومحال ان يكون واجب الوجود لذاته ، فان الواجب الوجود لذاته لا يعدم قط • فدل انه ممكن الوجود بذاته ، فاذا كان الوجود حاصل له قبل وجوده^(٢) ، وامكان الوجود وصف اضافي^(٣) لا قوام له بنفسه ، فلا بد له من محل يضاف اليه ، ولا محل الا المادة ، يضاف اليها كما نقول : هذه المادة قابلة للحرارة والبرودة ••••• اى ممكن لها حدوث هذه الكيفيات وطريان هذه التغييرات فيكون الامكان وصفا للمادة • والمادة لا يكون لها مادة^(٤) ، فلا^(٥) يمكن

(٢) قوله : فاذا كان الوجود حاصل له قبل وجوده ، هذا يدل على انه لا يريد به الحادث الكلي - اى العالم ككل - ، لان سبق الامكان ذهنى فقط فيه عندهم ، وهذا الامكان لا يمكن ان يكون صفة لمحسول ولا يستوجب قدم الموضوع •

(٣) قوله : « وامكان الوجود وصف اضافي » انظر لفهمه اول ص ٢٢٩ • واكرر هنا باختصار ان المراد بالامكان ، ليس الامكان ذهنى الذى يفترضه الفلاسفة للعالم الحادث بالذات ، افتراضا للفهام والتمثيل فقط ، بل المراد به الامكان الارسطى ، الذى هو الكيفيات والمضادات ، مثل الحرارة والبرودة والثقل والخفة والالوان والطعوم ••• الخ من صفات الاشياء التى تتعاقب في وتحمل على الاشياء •

(٤) قوله : « والمادة لا يكون لها مادة » ، يعتمد هذا في الاساس على دليل قدم المادة ، الذى ليس هذا شكله التام المعروف عند ارسطو ، وسيورده ابن رشد بعد قليل • ونجده عند الفلاسفة اليونان جميعا الذين رفضوا بالاجماع القول : بحدوث الاشياء من العدم المحض ، او رجوعها الى العدم المحض • وهو جوهر القول العلمى الحديث : « المادة لا تقنى ولا تستحدث من العدم » • ونجده كواحد من ادلة ارسطو المهمة على قدم العالم ، على اساس قدم هيولاه ، ولما كانت الهيولى لا توجد عنده بدون صور ، نتج قدم العالم عنده بهيولاه وصوره • انظر ص ٢٨ حاشية ٢ • وعن تفاصيل هذا الاحتجاج بالمشاهدة على قدم المادة ، وموقف المتكلمين منهم : مجلة قسم الفلسفة بكلية الاداب ، (الفكر الجديد) عدد (١) لسنة ١٩٦٦ • مقالى : دليل المشاهدة •

(٥) قوله : «والمادة لا يكون لها مادة ٠٠٠» ، هذا الدليل غير مفيد لمن لا يسلم ببديهية القائلين بالقدم من يونانيين ومن فلاسفتنا كما اشرنا في نوت (٤) اعلاه وهي ان المشاهدة والعقل يدلان على ان شيئا لا يوجد الا من شيء ٠ اما من لا يسلم بهذه المقدمة ، مثل متكلمينا ، فيمكن له ان يقول : ان الله اوجد المادة وجميع قواها وامكاناتها ومحمولاتها وكيفياتها ، مثل البرودة والسواد والصلابة الخ ، مع المادة من عدم المحض ، دون حاجة لافتراض سبق الامكان بمعناه الارسطي ٠ ان هذه مسألة خطيرة وحيوية لفهم حقيقة رأى فلاسفتنا القائلين بالقدم الزماني والحدوث الذاتي ، ففيها يقترب الفارابي وابن سينا من المتكلمين من وجه ويتعدان عنهم من وجه آخر ، ونفس الشيء يقال عن صلتهم بارسطو ٠ وتوضيح ذلك : ان ارسطو - ويتابعه في ذلك ابن رشد - يرى ان مادة العالم قديمة ، وصورها قديمة ، وان الله محرك غائي فقط ، وليس على سبيل الحلول او الدفع او التماس ، كما اوضحت في ملحق رقم (م) ٠ اما موقف المتكلمين : فهو ان الله اوجد العالم ومادته من عدم المحض في زمن متأخر على ما بان ٠ وقال متأخروهم : ان العالم كان ممكن الوجود امكانا ذهنيا اعتباريا ، لا بمعنى الامكان الارسطي ، ولكن افتراض حالة الامكان اى عدم الوجود المحض عندهم يحتل زمانا حقيقيا ، هو مدة الازلية التي لم يكن الله فيها فاعلا ٠ والخلاصة ، ان المتكلمين يرون ان العالم ومادته وجدنا من عدم زمانيا ٠ اما الفارابي وابن سينا واشياعهما ، فقد اتضح من عديد نصوصهم المذكورة اول هذا الكتاب ما يلي : ٦ - ان العالم عندهم قديم بالزمان بمادته وبصوره وتراكيبه ولكنه محدث بالذات ، بمعنى ان الله اوجده بعد ان لم يكن ، حيث انه من طبيعة الممكن الوجود ٠ وهم يرون ان مادة العالم ازلية بالزمان ٠ فمن هذا الوجه لا يخالفون جوهر ما اخذ به اليونان عن قدم المادة ٠ ولكن فلاسفتنا يتعدون عن نتائج هذا القول كثيرا ، حيث يؤكدون على ان المادة والعالم كله من طبيعة الممكن الذي لا يوجد بذاته ، ولذلك فهما مبدعان من عدم المحض ابداعا ازليا ٠ وبهذا يتعدون عن ارسطو ، الذي ينكر وجود العالم من عدم ، او سبق الامكان له حتى ولو سبقنا ذهنيا ٠ بل وينسکر ان يكون العالم محدثا بالذات ، باعتبار انه ممكن كما هو الحال عند فلاسفتنا المذكورين ٠

ان تحدث ، اذ لو حدثت لكان امكان وجودها سابقا على وجودها ، وكان الامكان قائما بنفسه غير مضاف الى شيء ، مع انه وصف اضافي لا يعقل قائما بنفسه . ولا يمكن ان يقال : ان معنى الامكان يرجع الى كونه مقدورا وكون القديم قادرا عليه ، لانا لا نعرف كون الشيء مقدورا الا بكونه ممكنا ، فنقول : هو مقدور لانه ممكن ، وليس بمقدور ، لانه ليس بممكن . فان كان قولنا : هو ممكن ، يرجع الى انه مقدور ، فكأننا قلنا : هو مقدور ، لانه مقدور ، وليس بمقدور لانه ليس بمقدور ، وهو تعريف الشيء بنفسه ، فدل ان كونه ممكنا ، قضية اخرى في العقل ظاهرة ، بها تعرف القضية الثانية (٦) وهي

٢ - وهذا الامكان - عند فلاسفتنا - الذي للعالم كله ، ذهنى فقط ، كما وضع مرارا فيما تقدم . ومن هنا فهم يمتنعون عن مذهب المتكلمين ، الذى يؤكد على ان الامكان او العدم سابق على وجود المادة والعالم سبقا ازليا حقيقيا . ان هذا الموقف الذى يقفه فلاسفتنا المذكورين هو موقف فريد ، فيه يتجلى خصب وغنى - منابع الفكر الفيلسفى الاسلامى وتعدد جوانبه وعمق حلوله ، فها هنا نحن في موقف وسط بين الحل الكلامى الذى لا يبالي ان يصدم لحس والمشاهدة ، والعقل بافتراضه - متجاوزا بذلك خبرتنا الخاصة - وجود شيء من لاشيء ، ووجود العالم كله بعد ان لم يكن هنالك آمادا طويلة سوى الله . والادهى من ذلك ان العقل يحار كيف جاء هذا العالم ؟ ومن اين جاء بعد ان اصبح من المستحيل ، بموجب فصلهم بين العالم المادى والله الروحى اللامادى ، افتراض ان يكون قد نبع عن الله مباشرة اى عن ذاته كما - ترى نظرية الصدور - اقول : نحن هنا في موقف وسط بين هذا الحل الكلامى اللامعقول ، وبين الحل الارسطى الذى - اذا ترك على ما هو عليه - كان اميل في جملته الى انكار الاله ، منه الى الاقرار به ، بعد ان اقتضرت وظيفة الله فيه على التحريك الغائى ، مع جهل الله وعدم عنايته بما في العالم ، لنقص الاخير وكمال الله . (انظر ملحق «آ») . فجاء فلاسفتنا واكدوا الصلة بين العالم والله عن طريق فكرة الامكان والوجود ، دون ان يصطدم ذلك عندهم بقديم المادة والعالم على ما تظهره المشاهدة .

(٦) في الاصل : وهو .

كونه مقدورا • ويستحيل ان يرجع ذلك الى علم القديم بكونه ممكنا ، فان العلم يستدعى معلوما فالامكان المعلوم غير العلم لا محالة • ثم هو وصف اضافي ، فلا بد^(٧) من ذات يضاف اليه ، وليس الا المادة فكل حادث فقد سبقه^(٨) مادة فلم تكن المادة الاولى حادثه بحال^(٩) •

ج • غ • : « الامكان الذي ذكروه يرجع الى قضاء العقل ، وكذلك المستحيل والواجب قضايا عقلية لا تحتاج الى موجود حتى تجعل وصفه ، بدليل ثلاثة امور :- ١ - لو استدعى الامكان موجودا يضاف اليه ، لاستدعى

(٧) قوله : « فلا بد من ذات يضاف اليه ••• الى فلم تكن المادة الاولى حادثه بحال » لفهمه يلزم : - ان نعني ان المقصود بـ (الحادث) هنا ، الحادث الجزئي ، كما تقدم •

٢ - ان قوله : « فلم تكن المادة الاولى •• الخ » ، لا يراد به قدم هذه المادة الاولى من كل وجه ، بل قدمها بالزمان - اما جوهرها فهو من ابداع الله الازلي - راجع النصوص عن ابن سينا والفارابي في صدر هذا الكتاب ، عن صدور الهيولى وابداعها • - وهذه مناسبة طيبة لظهار الفرق بين فلاسفتنا هؤلاء او ارسطو حول معنى قولهما معا ، بقدم الهيولى ، لانه معنى مختلف النتائج والموارد ، كما بينا قبل هذه الصفحة •

(٨) في الاصل : سبقه •

(٩) تهافت الفلاسفة • ص ٦٨-٧٠ • ونجد هذا الدليل في اماكن مختلفة من كتب ابن سينا • النجاة ص ٤١٢ ، والاشارات ج ٣ • الفصل السادس ص ٥٠٧ فما بعد ، والهيآت الشفاء ص ٣٧٤ • ونجده بالفاظ مشابهة وسياق مشابه لما يورده الغزالي اعلاه في النجاة •

ص ٣٥٦ - ٣٥٧ • واليك النص تيسيرا للمقارنة : « لا يمكن ان يحدث حادث زمانى مالم يتقدمه وجود القابل وهو المادة • البرهان : ان كل كائن ، فيحتاج ان يكون ، قبل كونه • ممكن الوجود في نفسه ، فانه ان كان ممتنع الوجود في نفسه ، لم يكن البتة • وليس امكان وجوده ، هو ان الفاعل قادر عليه ، بل الفاعل لا يقدر عليه اذا لم يكن هو في نفسه ممكنا • الا ترى اننا نقول : ان المحال لا قدرة ••• انظر بقية النص في ص ٢٦ من هذا البحث وتعليقاتي عليه •

الامتناع شيئا موجودا • وليس للمتنع وجود في ذاته ولا مادة يطرى عليها
المحال ، حتى يضاف الامتناع الى المادة •

٢ - السواد والبياض يقضى العقل فيهما قبل وجودهما بكونهما
ممكنين في ذاتهما •

٣ - نفوس الادميين على ما اختار ابن سينا حادثة ، وهى ليست بجسم
ولا منطبقة في مادة • فان كان امكانها قبل وجودها وصف اضافي ولا يرجع
الى قدره القادر والى الفاعل ، فالى ماذا يرجع؟» (١٠) •

ج. ف. • : «رد الامكان الى قضاء العقل محال ، اذ لا معنى لقضاء العقل
الا العلم بالامكان ، والمعلوم غير العلم • بل لو قدر عدم العلم لم يعدم
المعلوم • ولو قدر انتفاء المعلوم لانتفى العلم • واما الامور الثلاثة فلا حجة
فيها : فان الامتناع ايضا وصف اضافي يستدعى موجودا يضاف اليه • ومعنى
الامتناع الجمع ، بين الضدين ، فاذا كان المحل ابيض كان ممتعا عليه ان يسود
مع وجود البياض • واما الوجوب : فهو مضاف الى الوجود الواجب • واما
عن السواد - الاعتراض الثانى اعلاه - ، فان السواد في نفسه ليس ممكنا ،
بل ممتعا دون محل يحل فيه - لانه عرض ، او صفة وهذه لا بد قائمة في
موصوف - • واما الثالث - اى النفس - : فهى قديمة عند فريق ، ولكن
ممكن لها التعلق بالابدان • ومن يسلم حدوثه ، فقد اعتقد فريق منهم انه
منقطع في المادة تابع للمزاج على ما دل عليه كلام جالينوس في بعض المواضع •
فتكون في مادة ، وامكانها مضاف الى مادتها • وعلى مذهب من سلم انها
حادثة وليست منطبقة ، فمعناه ان المادة ممكن لها ان يدبرها نفس ناطقة ،

(١٠) تهافت الفلاسفة • ص ٧٠-٧٢ •

فيكون الامكان السابق على الحدوث مضافا الى المادة ، لعلاقتها بها ، اذ هي
المدبرة لها» (١١) .

(١١) - تهافت الفلاسفة ، ص ٧٣-٧٤ . هذا هو جواب الفلاسفة ، وسيأتي
في جواب ابن رشد توضيح لبعض جوانبه . واذا كنت في موضع سابق
قد اشرت الى غموض في بعض موقف ابن سينا من النفس الانسانية ،
فانني اجته من المناسب الضروري ان ازيد هذه المسألة بيانا . لقد رأينا
انه يقول بحدوثها ص ١٤٤ ، وحاشية رقم ٤٠ منها . وان كان في قصيدته
العينية يعيد اقوال افلاطون اعنى وجودها في العالم العلوى اللامادى قبل هبوطها
الى هذا العالم واتصالها بالاجساد . (انظر القصيدة في : ديوان ابن
سينا تحقيق الدكتور حسين محفوظ . طهران ١٩٥٧ ص ١٩ وتجدها
في ملحق (ق) . ومطلعها :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
ويمكن الرجوع الى كتاب مذكور : «في الفلسفة الاسلامية» القاهرة
١٩٤٧ لاجلاء بعض جوانب مسألة النفس عند ابن سينا ، والبير نصرى
نادر : «ابن سينا والنفس البشرية» بيروت ١٩٦٠ حيث يقدم كثيرا من
النصوص . وفي رأبي انها تحتاج الى عناية خاصة ولعل فيما سأذكره
الان بعض التوضيح لاصل النفس وحدوثها الخ عنده وكيفية هذا
الحدوث ويرجح عندي ان في كتب ابن سينا حلا اشبه ما يكون بمزيج
من موقف جالينوس والذي يليه المذكور ان في ج . ف . ص ٢٣٥
ذلك ان ابن سينا بعد ان اثبت استحالة وجود النفوس قبل الاجساد ،
وانها حادثة معها ص ١٤٤ وحاشية ٤٠ منها لا يجعل حلول النفس
اي جسد ممكنا بل يتدرج . فمتى تكونت المعادن . ووصلت الى مرحلة
معينة ، اصبح من الممكن حلول النفس النباتية فيها ، وهذه تفيض على
المزيج او الموضوع المعدني من العقل الفعال ، وهو العقل العاشر والاخير
من سلسلة العقول الفائضة عن الله ، والمدبر لعالمنا الارضى ، عالم
الكون والفساد ، وبتأثير فعل الاجرام الاخرى كالشمس في المزاج .
وهكذا متى وصل النبات الى مرحلة عليا تهيأ واصبح ممكنا استحداث
نفس حيوانية له . وامتى اصبح الحيوان مهيبا اصبح ممكنا استحداث
نفس انسانية فيه بنفس الطريق ، اي بتأثير فيوضات العقل الفعال
وتأثير الاجرام العليا . فقول الفلاسفة في جوابهم الذي ينقله عنهم
الغزالي : بان المادة التي تدبرها هذه النفس او تلك هي امكانها السابق

على وجود النفس ، هو قول صحيح له ما يؤيده في كتب ابن سينا وبعض شراح ارسطو ، وسيتين رأى هؤلاء فيما سأنقله من نصوص عن ابن رشد (انظر الملحق - ع -) ٠ اما عن كتب ابن سينا فنجد النصوص التالية المهمة : في (تسع رسائل) الرسالة الثانية ص ٣١-٣٢ يتحدث ابن سينا عن الصور في عالمنا الارضى ، التى تعنى عنده القوى الطبيعية ، مثل قوة الاحراق في النار الخ ، والنفوس النباتية والحيوانية والانسانية فيقول : «والصورة بعضها يحدث في الهيولى حدوثا اوليا - قبل المزاج - وبعضها بعد التركيب - اى بعد المزاج - وتكون مضادة من وجهه للصورة التى كانت في حال البساطة ، - على القارى ان يتصور تكون العناصر الاربعة وتدرجها الى الاجسام الجامدة المعدنية مثلا ثم تكون النبات فالحيوان فالانسان ، فهذه التعقيدات صور مضادة لبساطة العناصر الاولى او اول مزيج مبسط منها - وهذه الصورة الاولى تحدث : اما بلا واسطة ، واما بواسطة جواهر روحانية ليست ايضا جسمانية . . . ، واما الصورة الحادثة بعد المزاج فان المبدع الاول يفيد وجود بعضها بتوسط الاجسام بسببها - اى بسبب الاجسام - كالصور التى في عالمنا هذا بتوسط الاجسام السماوية ، مثل المذاقات والروائح ، وبعضها لا بتوسطها الاجسام ، مثل الانفس النباتية والحيوانية وخصوصا النفس الانسانية . بل العقل نور يتولى الله افاضته على النفس من غير ان يكون لشيء من الجسمانيات فيه وساطة الا التهيؤ للقبول» .

يتضح من هذا النص ان النفوس النباتية والحيوانية والانسانية تحدث في الاجسام ، او على حد تعبير ابن سينا يفيد الله - المبدع الاول - وجودها على الجسمانيات متى تهيأت هذه الجسمانيات لقبولها . فها نحن نسير خطوة لتفسير كيفية حدوث النفوس ، التى برهن ابن سينا على ضرورة حدوثها ص ١١٤ وحاشية ٤٠ منها . ولكن مازال ها هنا غموض . ترى كيف يفيد المبدع الاول الجسمانيات هذه النفوس ؟ امباشرة؟ بعد ان لم يكن مفيضا لها ؟ فنقع في مفالق مسألتي العلة التامة والترجيح ، ويلزمنا ما الزمنا به المتكلمين في قولهم بحدوث العالم بعد ان لم يحدث ؟ الجواب على هذه الاسئلة نجده في نصوص اخرى .

ففى النجاة يقول : «يتكون من هذه الناصر - الاربعة - اكون ايضا بسبب القوى الفلكية ، اذا امتزجت العناصر امتزاجا اكثر اعتدالا

من المركبة • واول ما يتكون حينئذ النبات • وهكذا كلما امعن المركب في الاعتدال ، ازداد قبولا لقوة نفسانية اخرى الطّف من الاولى ٠٠٠» ص ٢٥٨ «وتسع» • ص ١٥-١٩ فما بعد • وفي موضع آخر يفصل تأثيرات كل كوكب في الاجسام والنفوس ومظاهرها ، فمثلا المريخ يعطى للاجسام القوة المولدة للحرارة الغريزية ، وهكذا • «تسع رسائل» • الرسالة الثانية ص ٣٩-٤٠ ولكن هذين النصين لا يجيبان على الاسئلة السابقة تماما ، لاننا نريد ان نعرف كيف تحدث النفوس ؟ ومن اى مصدر ؟ وهل دوما ام في فترة متأخرة عن الازلية ؟ ونجد جوابا غير مفصل في «رسالة اضحوية» في امر المعاد • حيث يبين ان حدوث النفس تابع لمزاج البدن ، الذى متى تهيأ ، صدر من النفس او العقل الكليين او اى عقل مفارق آخر جوهر النفس على البدن • يقول ابن سينا : «فاذن الحق ان النفس حادثة مع حدوث المزاجى البدنى» (فان المزاج البدنى) سبب لان يصير البدن قابلا من النفس ، الذى يستكمل به نوع ذللك البدن ، يكون شأن ذلك السبب المفارق ان يفيض وجود النفس مهما تهيأ المزاج ، يصير به البدن متعلقا بذلك النفس نوعا من التعلق ٠٠٠ واذا تقرر ان وجود النفس وحدث المزاج معا ، فبين انه كلما (سليمان يضعها كما والاصح عندى كلما) يحدث المزاج ، يجب معه وجود نفس حادثة • اذ ليس لها ذلك بالاتفاق ولا بالعرض ، بل امر يلزمه بالضرورة ص ٩٠-٩١ •

ولكن هذا النص لا يعين مصدر النفس اى : اى العقول العلوية هو ؟ ولا يبين كيف تكون النفوس لانهاية لها بالعدد ؟ ولكننا في نص آخر في كتاب النجاة نجد الجواب الكافي واليك هذا النص •

بعد ان يشير ابن سينا الى برهنته على حدوث النفوس الكثيرة المفردة مع ابدان الناس ، وان هذه النفوس متكررة بالاشخاص ولكنها واحدة بالنوع - وسنرى ان النوع تجريد ذهنى عنده ككل كلى - ، تماما كما ان اشخاصنا متكررة بالاشخاص واحدة بالنوع • يقول : «بما ان هذه كثيرة فهى ليست صادرة عن العلة الاولى - اى الله - ، لانها كثيرة مع وحدة النوع - والواحد لا يصدر عنه مباشرة الا واحد عنده - فاذا لا بد انها معلولة للاول بتوسطات • ولا يجوز ان تكون هذه العلل الفاعلية المتوسطة بين الاول - اى الله - وبينها دونها في المرتبة ، فان

العلل المعطية للوجود اكمل وجودا ، واما القابلة فقد تكون احسن وجودا » . ويعود ابن سينا مبينا (١) . « ان العلة الاولى لا تصدر عنها هذه النفوس الانسانية ، لان هذه واحدة بالنوع وكثيرة مع ذلك . فاذا لا يمكن ان يصدر عن العلة الاولى كثرة متفقة بالنوع . وذلك لان المعاني المتكثرة التي فيه ، وبها يمكن وجود الكثرة عنه : ان كانت مختلفة الحقائق ، كان ما يقتضيه كل واحد منها شيئا غير ما يقتضى الاخر في النوع - اى الفرد الاخر - ، فلم تكن ذات طبيعة واحدة . وان كانت متفقة الحقائق ، فيماذا تخالفت وتكثرت ولا انقسام بمادة هناك؟ - اى في هذه النفس المفروضة واحدة بسيطة - . وما يصدق على المعلول الاول - اى العقل الاول حسب نظريته في الفيض - يصدق على المعلولات العالية المتوسطة - اى بقية العقول المارقة حتى العقل العاشر - ، حتى ينتهي الى معلول يكون عنه كون الاسطقسات - اى العناصر الاربعة - القابلة للكون والفساد ، المتكثرة بالعدد والنوع معا ، فيكون تكثر القابل - اى هذه العناصر وامزجتها - سببا لتكثر فعل مبدأ واحد بالذات - اى ما يفيضه العقل العاشر الفعال - ، وهذا بعد استتمام وجود السموايات كلها - اى الاجرام والافلاك - ، فيلزم دائما عقل بعد عقل حتى تتكون كرة القمر ، ثم تتكون الاسطقسات وتنتهي لقبول تأثير واحد بالنوع كثير بالعدد من العقل الاخير . فانه اذا لم يكن السبب في الفاعل - اى اذا لم يسبب تكثر النفوس تكثر الفاعل وهو العقل العاشر - وجب ان يكون في القابل ضرورة . فاذا يجب ان يحدث عن كل عقل عقل تحته ويقف ، بحيث يمكن ان تحدث الجواهر العقلية منقسمة متكثرة بالعدد - اى النفوس وقواها بما فيها الناطقة - لتكثر الاسباب ، فهناك تنتهي ، - اى تنتهي عملية الفيض للعقول وما يترتب عنها من عناصر ومركبات . وتستمر العملية دوما » . هذا عن النجاة بتصرف . ص ٤٥٩ . ونجده ايضا في الهيات الشفاء . ج ٢ ص ٤٠٨-٤٠٩ . وخلاصة هذا القول اذا اردنا وضعه بلغة بسيطة ، متجاوزين عن تفصيل نظرية الفيض ، - التي تحتل اهم - واكبر جزء من كتابات ابن سينا والفارابي والفيضيين جميعا - هي : انه عن الله يفيض عقل - وفق مقدمات وتفصيلات لا محل لها هنا - وعن هذا عقل ، الى ان نصل الى العقل العاشر بعد الله ، الذى هو آخر

(١) اكرتت من وضع الشروح بين شارحتين داخل النص فيلاحظ القارىء ذلك .

ج • غ : « ١ - رد الامكان والوجوب والامتناع الى قضايا عقلية صحيح •
 واما استدعاء العلم معلوما ، فنقول : الامكان معلوم ، ولكنه معلوم كلي او هو
 كالكليات التي لا وجود لها في الاعيان ، بل في الازهان عندهم • وانما الموجود
 في الاعيان ، الجزئيات المحسوسة الغير المعقولة ، والتي هي سبب لان ينزع
 العقل منها قضية مجردة عن المادة عقلية • فاذن ان لم يمتنع وجود الكليات
 في الازهان لافي الاعيان ، لم يمتنع ما ذكرناه عن الامكان • فاما قولهم : ان
 العقول لو انعدمت - اي لو انعدم العلم - لم يتقدم المعلوم - اي الامكان هنا - ،
 فيجوابنا : هل تنعدم الاجناس والانواع في مثل هذه الحالة ؟ فان قالوا : نعم •
 فكذلك قولنا في الامكان ، وان زعموا انها باقية في علم الله ، فكذلك القول في
 الامكان (١٢) •

العقول والمدير لعالمنا ، فهذا ايضا يصدر عنه عقل واحد او موجود
 روحي واحد • وتجنبنا لكثير من المزالق نقول : يصدر عنه فعل واحد ،
 ولكن نظرا لتعدد القوابل - العناصر الاربعة ومركباتها المختلفة ،
 واختلاف امزجتها ، بفعل القوى التي في العناصر الاربعة من جهة وبفعل
 الاجرام العليا وتأثيراتها - اصبح هذا الفعل الصادر عنه منتجا لنفوس
 كثيرة متعددة بالشخص ، مثل نفس زيد ونفس عمرو ، ولكنها واحدة
 بالنوع • وبما ان الصدور عملية ابداعية لم تستغرق زما ، بل هي
 بلا زمان ودفعة واحدة تستمر من الازل الى الابد ، فانه ليس هناك مبدأ
 لصدور الفعل الواحد بالنوع عن العقل العاشر • ولكن كلما تهيأ بدن
 لقبوله ، نقول حدثت نفس • فعلى هذا الوجه امكنني ان افهم حدوث
 النفوس ومصدرها وازليتها او عدم ازليتها • وبهذا نجد الجواب الكافي
 عن موضوع النفس ومترقاتها الاساسية عند ابن سينا • ومما
 ساعدني على هذا الفهم ، نصوص مطولة في كتب ابن رشد ، وخصوصا
 في «تفسيره لما وراء الطبيعة» ، وهي نصوص غنية معقدة فيها تفصيل
 لمذهب ارسطو في تكون صور - نفوس - الحيوان والانسان ، وهل هي
 فعل المبرز ؟ ام بفعل فواعل مفارقة مثل العقل الفعال ؟ وفيها رأيه
 هو ، ورده على ابن سينا والفارابي وثامسطيوس والاسكندر الافروديسي
 (انظر ملحق - ع -) •

(١٢) - سيتولى ابن رشد الرد على هذا القول • ومن جهتي وتيسيرا للامر على
 القارئ ، اقول ان المراد «بالكل» هنا الاجناس والانواع مثل انسان ،

اذا لم يرد به شخص مفرد بعينه مثل • زيد • وقوله : « العلم يقتضى معلوما » • قال به كثير من متكلميها ايضا • واداهم الى ان علم الله حادث لانه لو كان قديما لكان المعلوم اى الموجودات قديمة ايضا ، وعندهم يستحيل ان يكون غير الله قديما ، مثل جهم بن صفوان وهشام بن الحكم وآخرون • (انظر مقال «المعدوم» المشار اليه سابقا حول تفاصيل اقوال هؤلاء وسواهم وخصوصهم) • والغزالي هنا يحتاج بالاجناس والكليات عموما ، ليدلل على ان الامكان الذى احتج به الفلاسفة على وجود مادة او موضوع ، ليس سوى مفهوم ذهنى مثل الكلليات التى وجودها ليس فى المحسوسات والاجسام الجزئية ، بل فى الذهن فقط • والحق - وسيبين ابن رشد هذا - ان هذا فهم خاطئ مراد الفلاسفة - الفارابى وابن سينا وارسطو - ، ذلك انه وان كان «انسان» الكلى انما هو موجود ككلى فى الذهن فقط ، الا ان الذهن لا يخلقه من العدم ، بل يجرده من وجود الانسان الجزئى ، مثل زيد وعمرو • فهكذا امر الامكان : هناك امكان عام تجريدى كنوع او ككلى ، وامكانيات خاصة لهذا الجزئى او ذلك وانعدام العلم (الامكان العام) الذى هو ذهنى ، لا يعنى انعدام المعلوم الخاص (الامكان الجزئى) • وبنفس الطريقة اقول : ان انعدام العلم (انسان كلى) لا يعنى انعدام المعلوم الخاص (زيد او عمرو) • وغلط الغزالي انه تصور ان الانواع والاجناس اى الكلليات هى موجودات ذهنية صرفة ، مع انها فى الواقع توجد كجزئيات خارج عقولنا • فقول الفلاسفة : ان امكان الشئ يتقدم وجوده ، مثل امكان ان يصير الماء بخارا قبل ان يصير بخارا ، قول صحيح • وجواب الغزالي فى رده غير مفيد • والعجيب ان الغزالي بعد ان يقدم رده اعلاه ، لا يورد رد الفارابى وابن سينا ، وكأنه ليس لهم عليه جواب ، وكأنه قال فصل الخطاب ، مع ان رأى ابن سينا واضح فى كتبه ، وهو رأى ارسطو ، ايضا الذى سيورده ابن رشد فى رده على الغزالي (انظر الهيات الشفاء ج ١ • ص ٢٠٥ و ٢١١-٢١٢ و ج ٢ • ص ٣١١-٣١٤ وكذلك ٣١٧ • «وعيون الحكمة» • القاهرة ١٩٥٤ • ص ٥٦) • ومن الضرورى ان اوضح ان مسألة الكلليات شغلت الفكر الفلسفى القديم بل والحديث وقد عرف هذا التاريخ مدرستين حول هذه المشكلة : مدرسة تتبع ارسطو واخرى افلاطون • سميت الاولى بالمدرسة الاسمية Nominalism وسميت الثانية بالواقعية Realism • وسبب التسمية يتضح من فهم رأى الفريقين • يرى

٢ - اما العذر عن الامتناع : بانه مضاف الى المادة الموصوفة بالشيء اذ
اذ يمتنع عليه ضده . فليس كل مجال كذلك ، فان وجود شريك الله محال ،
وليس ثم مادة يضاف اليها الامتناع .

افلاطون ان لهذا الشيء المحسوس مثلا ، ثلاثة انواع من الوجود :
١ - وجود واقعي خارجنا كجزئي ، مثل هذا الطباشير ، او
هذا الرجل .

٢ - وجود كلي في اذهاننا يشمل ما نسميه الكليات والانواع
والاجناس ، مثل تباشير ، بياض . انسان . وهو وجود متصور .

٣ - وجود كلي « كميال » وهو وجود واقعي خارجنا وخارج
العالم الحسي . وهو وجود لا باعتباراه جزئيا بل ككلي . فلما قال
افلاطون بان للكليات وجودا واقعيها خارجنا ككليات ، سمي مذهبه
فيما بعد بالمذهب الواقعي .

اما ارسطو فقد اقر بالوجود الاول والثاني للموجودات الحسية
ورفض الوجود الثالث ، اي وجود الكليات واقعيها . وقال ان وجود
الكليات ككليات ، هو وجود اسمي في الذهن فقط . وانما وجودها
الحقيقي ليس ككليات بل كجزئيات في الجزئي . فسمى مذهبه فيما
بعد بالاسمي . ومعظم فلاسفتنا هم من اتباع ارسطو . (انظر عن ابن
سينا اول هذه الحاشية وعن ابن رشد انظر ص ٢٥٢ حاشية ٢٩
ويستحسن حول هاتين المدرستين بالاضافة الى المصادر العامة عن
ارسطو وافلاطون المذكورة اول هذا الكتاب الرجوع الى :-

M. H. Carre: Realists and Nominalists. Oxford. 1946.

وتحت عنوان The Problem of Universal . يراجع :-

M. De Wulf: History of Mediaeval Philosophy. En. TR. by.
E. C. Messenger. vol. 1. London. 1952. p. 137-152; and
Fi Copleston: Mediaeval Philosophy. London. 1952. Ch. 2.
p. 25 ff.

وبالعربية «يوسف كرم» تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط ،
القاهرة ١٩٤٦ . في مواضع متفرقة .

وبدوى : فلسفة العصور الوسطى . القاهرة ١٩٦٢ . في مواضع

متفرقة خصوصا ص ٦١-٦٤ .

٣ - واما عن السواد في ذاته • فنجوابهم صحيح ، ان عنى بذلك في الوجود • وان عنى بذلك في العقل ، فلا • فان العقل يعقل السواد الكلي ويحكم عليه بالامكان في ذاته •

٤ - واما عن النفوس فباطل ، فان لها ذواتا مفردة وامكانا سابقا على الحدوث ، وليس ثم ما يضاف اليه • واما ان المادة ممكن لها ان يدبرها النفس ، فهي اضافة بعيدة •

فان قيل : عولتم على مقابلة الاشكالات باشكالات ، ولم تحلوا ما اوردتم • قلنا : المهم تبين فساد كلامهم ، والغرض في هذا الكتاب تكدير مذهبهم بما يتبين به تهاقضهم • ولم نتطرق الذب عن مذهب معين ••• واما اثبات المذهب الحق فنصنف فيه كتابا نسميه «قواعد العقائد» ونعنى فيه الاثبات» (١٣) •

بهذا ينهى الغزالي مناقشاته مع الفلاسفة في هذا الدليل الرابع • وبودى ان اشيز ، قبل ايراد اجوبة ابن رشد الذي رد عليه بعد وفاته ردا اراه مقنعا ، اقول بودى قبل ذلك ان ابين ان «قواعد العقائد» هذا موجود في «أحياء علوم الدين» في الجزء الأول ، وليس فيه سوى اعادة ، ولكنها مختصرة ينقصها الاذلة الواقعية لما في كتاب الغزالي الاخر «الاقتصاد في الاعتقاد» وليس فيه جديد او ميزة على كتبه الكلامية الاخرى (١٤) • اما مسألة انه يريد ان يكدر على الفلاسفة فانتى اتجنب عامدا خوض هذه المسألة ، ولكن ما رسب في نفسى ، بعد قراءتى لكتبه الاخرى التى فيها تصوف او فلسفة اكثر مما فيها من اتجاه كلامى ، هو ان الغزالي في تلك الكتب ، ومعظمها من «المضنون بها على غير اهلها» فيلسوف فيضى لا يختلف عن الذين صب عليهم جام نقده

(١٣) تهاقت الفلاسفة • ص ٧٥-٧٨ •

(١٤) والطريف ان ابن عساكر يروى طرفا منه القاه الغزالي عليه في المنام «تبيين كذب المفتري» • دمشق ١٣٤٧ • ص ٢٩٩ •

في «التهافت» الا بامور جزئية ، تماما كما نرى عندما نقارن الفارابي بابن سينا في بعض كتبه بابن سينا في بعضها الاخر . وقد اشار القدماء والمحدثون الى تعدد جوانب الغزالي ، بل وتناقضه في كتبه الكلامية والفلسفية (١٥) .

ق . د . : « ١ - يكرر قولهم عن ان الامكان يستدعي شيئا يقوم به وهو المادة . وكذلك قولهم ان المادة بما هي مادة لا تتكون ، بل من جهة ماهي مركبة من مادة وصورة . ودليله هو دليل ارسطو (١٦) بعينه ، ومفاده :

(١٥) اضافة الى قول ابن رشد الذي سيأتي في رده عليه ، من ان الغزالي منسوب الى مذهب الفلاسفة . فان ابن تيمية يعيد قول ابن العربي احد تلامذة الغزالي (توفي سنة ٥٤٣هـ وصحب الغزالي) . «شيخنا ابو حامد دخل في بطن الفلاسفة ثم اراد ان يخرج منهم فما قدر» .
«الرد على المنطقيين» نشر عبد الصمد شرف الدين . بمباي ١٩٤٩ . ص ٤٨٢ . وينقل في موضع آخر عن بعضهم ان : ابا حامد امرضه «الشفاء» ، اي كتاب الشفاء لابن سينا لكثرة ما اعتنى به . ويقول ابن تيمية : « وكلامه في «مشكاة الانوار» وفي «كيمياء السعادة» هو قول هؤلاء » . ص ١١٠-١١١ ونجد ملاحظات مشابهة في ص ١٥ وفي كتاب «بغية المرئاد» ضمن «فتاوى» ابن تيمية . القاهرة ١٣٢٩ ج ٥ . ص ١٢ و ١٤ و ١٠٧ . «وشرح القصيدة الاصفهانية» ضمن «الفتاوى» ايضا ص ١١٦-١١٧ . حيث ينقل رأى ابن الصلاح في الغزالي بما يشبه ما قاله هو عنه . وقارن بنص مطول نسبيا لابن طفيل في اول «حي بن يقضان» جميل صليبا . وكامل عباد . دمشق ١٩٣٩ . ص ٧٠-٧٢ .
والمهم قول ابن طفيل : «واما كتب الشيخ ابي حامد الغزالي ، فهو بحسب مخاطبته للجمهور ، يربط في موضع ويحل في آخر ، ويكفر باشياء ثم ينتحلها . . . » . والحق ان الدارس لكتبه يستطيع ان يتبين فيها الغزالي كمتكلم ، والغزالي كمتصوف ، والغزالي كفيلسوف . ويمكن التحقق من ذلك في اطروحتي الفصل الثالث من القسم الثاني . ص ٣١٦ فما بعد . هذا وقد اشار «ونسك» الى ضرورة التمييز بين الغزالي المتصوف والغزالي المعتقد . Dogmatist . ص ٩٦ من كتابه :

A. J. Wensink: Muslim Creed. Cambridge. 1932. p. 96.

(١٦) انظر ص ٣٨ . حاشية ٢ .

« كل متكون يتكون من شيء ما - لا عن عدم - فاما : ان يمر ذلك الى غير
 نهاية على استقامة في مادة غير متناهية ، وذلك مستحيل ، لانه لا يوجد شيء
 بالفعل غير متناه . واما : ان تكون الصور تتعاقب على موضوع غير كائن ولا
 فاسد ، ويكون تعاقبها ازليا دورا . فان كان ذلك كذلك ، وجب ان يكون
 ههنا حركة ازلية تفيد هذا التعاقب . وذلك ان كون كل واحد من المتكونات
 هو فساد للآخر ، وفساده هو كون لغيره . والا يتكون شيء من غير شيء ،
 فان معنى التكون هو انقلاب الشيء وتغييره بالقوة الى الفعل . ولذلك فليس
 يسكن ان يكون عدم الشيء هو الذي يتحول وجودا ، ولا هو الشيء الذي
 يوصف بالكون ، اعني الذي نقول فيه : انه يتكون ، فبقي ان يكون هنا
 شيء حامل للصور المتضادة (١٧) وهي التي تتعاقب الصور عليها (١٨) .

٣ - « قول الغزالي : « ان الممتنع لا يستدعي موجودا يستند اليه » .
 قول سفسطائي ، وذلك ان الممتنع يستدعي موضوعا مثل ما يستدعي الامكان ،
 وذلك بين ، لان الممتنع هو مقابل الممكن ، والاضداد المتقابلة تقتضي ولا بد
 موضوعا ، فان الامتناع هو سلب الامكان (١٩) ، فان كان الامكان يستدعي
 موضوعا ، فان الامتناع الذي هو سلب ذلك الامكان ، يقتضي موضوعا ايضا .
 والذي اراه في هذه المسئلة ان الطرفين غير متفقين على معنى الممكن

(١٧) يقصد الهيولى او المادة الاولى القابلة لاجميع الصور ، والتي هي
 بالقوة ، ولا توجد مجردة عن الصور جميعا .

(١٨) سبق شرح معنى الكائن والفاسد ، والكون والفساد ، والحركة
 الدورية والحوادث المتعاقبة ، ومعنى ان يكون كون شيء فسادا لآخر ،
 ولماذا لا يصح القول بتكون شيء من لاشيء ، ومعنى الهيولى او المادة
 الاولى فيما تقدم .

(١٩) مثلا : الحرارة والبرودة متقابلان ، موضوعهما هذا الماء مثلا . فاذا
 كان الماء في هذه اللحظة حارا ، فان ضد الحرارة وهو امكان برودته
 في نفس هذه اللحظة ، ممتنع .

والممتنع ، ومن هنا ينبغي - وهذا ما لم ينتبه اليه الفلاسفة او ابن رشد في ردهم
 على الغزالي وان تضمنه جوابهم - التأكيد على غلط الغزالي ، لانه يتكلم عن
 ممتنع وممكن غير الذى يتكلم عنه هؤلاء . الممكن كما اوضحنا عندهم :
 هو في الجزئى الموجود حالة يمكن ان يصير شىء ما اليها ، مثلا الماء ، ممكن
 ان يصير واحدا من ضدتين : ان يكون حارا او باردا ، بخارا او جليدا .
 وحينما يصير حارا او بخارا ، يمتنع عليه في نفس الوقت ان يقال انه بارد
 وجليد . فالامكان والامتناع هنا بالنسبة لشىء موجود . وليس هناك - في
 عرفهم - مستحيل مطلق او ممكن مطلق ، بمعنى الذى هو مجرد تصور
 عقلى اعتبارى ، لا يشير الى علاقة بموجود او دلالة على موجود . واذا اردنا
 الاحتراز قلنا : انهم حينما يستندون على الامكان لاثبات وجود المادة ، فهم
 يتكلمون عن الامكان الذى هو مع الممتنع من قبيل الاضداد المتقابلة ، مثل
 الحرارة والبرودة بالنسبة الى الماء . لا عن الامكان الذى هو المفهوم الكلى
 المتصور . وعليه فاذا كان الغزالي يريد ان يثبت : ان الامكان الجزئى لا يتعلق
 بموضوع ، فعليه منطقيا ان يثبت : ان الامتناع الجزئى - الذى هو مقابل
 للامكان الجزئى ، مثل الحرارة والبرودة في الماء ، الجزارة ممتنع جزئى مع
 وجود البرودة وهى الممكن الجزئى هنا - اقول : عليه ان يثبت ان هذا
 الامتناع الجزئى ليس له موضوع ، وحينئذ سيظهر عدم صحة دعواه ، نظرا
 لان الحرارة الممتنع في المثال اعلاه هى ضد ممكن وممتنع في آن واحد ولكن
 مع اختلاف الاعتبارات : فهى ضد ممتنع ان يحصل حال وجود ضده الاخر
 وهو البرودة في الماء ، ولكنه من حيث الاعتبار العام هو ضد ممكن ، يمكن ان
 يتصف به الماء في اى وقت آخر غير هذا الوقت . وعليه فانه حتى الممتنع
 الجزئى عند الفلاسفة هو ممكن . والفلاسفة اذا يتكلمون عن ممكنات
 جزئية باعتبارات مختلفة يصير احدها ممكنا والاخر ممتنعا . وعليه فان استناد

الغزالي على الممتنع ، الذي هو مرادف المستحيل المطلق ، هو غير مفيد هنا .
لانه كما انه لا ذكر هنا ولا استشهاد بالامكان المطلق الذهني ، فكذلك لا
استناد او استشهاد بالممتنع المطلق الذهني . فمثال شريك الله الذي لجأ اليه
الغزالي - بعد ان اشاروا الى ان الممتنع عندهم من قبل الاضداد المتقابلة التي
موضوعها واحد - مثال غير وارد وغير مجد في نقض قولهم : بان الامكان
الجزئي والامتناع الجزئي يحتاجان الى موضوع . لانهم ههنا يتحدثون عن
نوع واحد من الموجودات هو الممكن . اما الذي يذكره الغزالي عن الشريك ،
فهو نوع آخر ، هو من صنف المستحيل الدائم . وتوضيح ذلك اقول مكررا
ما سبق في مكان آخر : ان انواع الاشياء عند الفلاسفة ثلاثة : ١ - المستحيل
المطلق ، مثل شريك الله او اجتماع الضدين . ٢ - الواجب (بالذات او
بالغير) ، وهذا ايضا من نوع الدائم . ٣ - الممكن ، وهو الذي يتراوح
بين طرفين متضادين ، مثل الماء يتراوح بين الحرارة والبرودة ، ومتى كان
الماء باردا فحرارته ممتعة في نفس الوقت . فالامكان والامتناع كلاهما من
باب الشيء الممكن لا المستحيل المطلق . واحتجاج الغزالي بالمستحيل المطلق
على ان الممكن الجزئي والممتنع الجزئي لا يحتاجان الى موضوع ، احتجاج
غير جائز . فهذا وجه المسألة وبهذا ينحل اشكال الغزالي على الفلاسفة بمسألة
شريك الله والممتنع . ونعود الى ابن رشد .

٣ - « حديث ابي حامد عن السنواد وانه ممكن بذاته ، هو مغالطة ،
فان الممكن يقال على القابل وعلى المقبول . والذي يقال على الموضوع (القابل)
يقابله الممتنع ، والذي يقال على المقبول يقابله الضروري . والذي يتصف
بالامكان الذي يقابله الممتنع - يعني الموضوع - ، انما يتصف بالامكان من
جهة ما هو بالقوة : والحامل لهذا الامكان هو الموضوع الذي ينتقل من

الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل (٢٠) . وذلك بين من حد الممكن ، الذى هو المعدوم الذى يتهاى ان يوجد والا يوجد . وهذا المعدوم الممكن ليس مسكنا من جهة ماهو معدوم ولا من جهة ماهو موجود بالفعل ، وانما هو ممكن

(٢٠) لتوضيح مسألة السواد هذه كلها (جواب الفلاسفة والغزالي وموقف ابن رشد) اقول : «لنأخذ الماء مثلا ، فهو احد العناصر الاربعة في الفلسفة القديمة . فهذا الماء من حيث انه قابل لان يصير بخارا او جليدا ، حارا او باردا ، يقال انه بالقوة - اى انه لا يصير حارا اذا كان باردا ، او بالعكس اذا كان حارا . والشئ الذى هو بالقوة المحضه هو الهيوولى المطلقة التى تقبل اية صورة دون ان تكون حاصلة على صورة واخذة بعينها - ويقال انه موضوع ويسمى ايضا حامل وهيوولى خاصة ، - ومثل هذا الموضوع او الحامل او الهيوولى الخاصة له امكان ، اى ان يصير بخارا او جليدا ، حارا او بتازدا الخ . فهذه امكانات متضادة متقابلة . وجنبا يحصل له امكان من واحد منها ، مثل ان يصير حارا ، فان امكانه الاخر المضاد وهو البرودة يصير مستحيلا او ممتنعا طالما هو حار . والان لننقل الى المقبول وهو الحرارة والبرودة ، والغليان والتجمد ، والسواد او البياض الخ . فماذا نعنى اذا قلنا انها ممكنة ؟ اننا قطعيا لا نعنى بامكانها ما يقابل الممتنع ، طالما ان الحرارة والبرودة . الخ غير متعلقة بموضوع بعد . اننا نعنى بامكانها ما يقابل الضرورى ، لان الضرورى هو الدائم الذى لا ينفك هنا عن موضوعه ، بينما المتضادات - اى الحرارة والبرودة . الخ - هى من قبيل الممكنات المتعاقبة على الموضوع ، ولذلك فهى ممكنة في مقابل الضرورى .

ولكن ايا منها لا يكون ممكنا حقيقة - اى متحقق الوجود فعلا ويشار اليه مثل هذه الصبورة السوداء - الا اذا تحقق في موضوع . وضده في هذه الحالة يصير ممتنعا . وعليه فان فكرتنا عن السواد والبياض ، سواء اعتبرناهما كليين ، بصرف النظر عن هذه الصبورة السوداء او هذا الطباشير الابيض او سواهما ، او اعتبرناهما جزئيين - صبورة سوداء وطباشير ابيض - انما هى اشارة ضمنية او صريحة الى وجود الشئ الاسود والشئ الابيض ، اى اشارة الى سواد وبياض

متحققى الوجود ، وممكنى الوجود فقط عندما يكونان في موضوع . ولو فرضنا اننا لم نر اشياء سودا واخرى بيضا ، لما كان عندنا مفهوم كلي عن السواد والبياض ومعنى هذا :

١ - صحة قول الفلاسفة السابق : « ان السواد في نفسه ليس ممكنا ، بل ممتنعا دون محل يحل فيه » .

٢ - ويتضح هذا اكثر بهذه النقطة الثانية وهى : ان احتجاج الغزالي بالسواد في ذاته كدليل على اننا نفكر في ممكن دون حاجة الى موضوع يتقوم به ، هو احتجاج غير صحيح ، نظرا لان هذا السواد هو مفهوم كلي . وقد سبق ان ذكرنا ان الكليات ككليات موجودة في الذهن فقط ، وان وجودها الحقيقي ، والذي نحن نجرده ونجعله كليا ، هو في الجزئيات . ومعنى هذا : اولا : ان احتجاج الغزالي بالسواد الكلي - في ذاته - على انه ممكن ، ليس بذى موضوع ، هو على العكس مما اراد ، يفيد العكس ، اى يفيد انه ذو موضوع . لان الكلي ليس من اعتبار العقل الصرف ، بل هو شئ له وجود ، ولكن ليس ككلى بل كجزئى - سواد في صبورة سوداء مثلا - فهذا الكلي - السواد في نفسه - الذى يعتبره الغزالي دليلا على امكان بلا موضوع ، هو دليل على استحالة وجود امكان بلا موضوع . ثانيا : ومعنى هذا ثانيا ان الغزالي برده الاخير النهائى على الفلاسفة بقوله : « واما عن السواد في ذاته ، فجوابهم هو صحيح ان هو عنى بذلك في الوجود ، وان عنى بذلك في العقل ، فلا ، فان العقل يفعل السواد الكلي ويحكم عليه بالامكان في ذاته » ، اقول ان الغزالي بقوله هذا ، وللمرة الثانية ، يحتج بممكن مطلق او كلي - السواد في ذاته - على ممكن جزئى - السواد في الصبورة - وهو احتجاج ومقارنة غير موفقين ، لاننا لو فرضنا جدلا ما صح عكسه وهو : ان الممكن الكلي كالسواد في ذاته دليل على وجود موضوع ، اقول لو فرضنا جدلا غير هذا ، وقلنا بان السواد المطلق لا يحتاج الى موضوع ، فهذا ليس دليلا على ان السواد الجزئى ، او البياض الجزئى كممكنين متضادين ، لا يحتاجان الى موضوع . ومن هنا فلا قيمة لحجة الغزالي هذه . واحب ان اشير اشارة عرضية الى ان معظم سوء الفهم والجدل والتشعب في المسائل الفلسفية مرده الى عدم تحديد مفاهيم الالفاظ .

من جهة ماهو بالقوة (٢١) . ولهذا قالت المعتزلة : ان المعدوم ذات (٢٢) ما ،
(اعنى المعدوم في نفسه من جهة ما هو بالقوة ، اعنى انه من جهة القوة والامكان

(٢١) لابد من مثال لتوضيح هذه الاقوال والالفاظ الشائعة في فلسفة
ارسطو . وكشبهه ، والتي قال بها الفارابي . وابن سينا وابن رشد
وآخرون . عند هؤلاء جميعا يتكون الشيء من مبادئ ثلاثة هي :
الهيولى والصورة والعدم . لناخذ الخشب مثلا ، فهو يتكون من
صورة او محمول وهو صورة الخشبية التي تجعله مخالفا للحديد .
وموضوع تتقوم به الصورة وهو مادة الخشب . وعدم اي «امكان»
خاص لان يصير الخشب كرسي او بابا . فهذا العدم لا يعنى الوجود
المطلق مثل ما نقول : ان الكرسي او الباب معدوم في الصوفة ، فان
هذا يعنى ان الصوف لا يمكن وليس فيه امكان لان يصير كرسي او
بابا . اما في الخشب فصحيح ان الكرسي او الباب لم يوجد بعد
فهما معدومان ، ولكن عدمهما هو بنفس الوقت نوع من الوجود
- الامكان - الغير متوفر في الصوفة . لان الخشب ممكن ان يصير بابا
مثلا . اذا فالباب هو بالقوة في الخشب ، ولكنه ليس بالقوة في
الصوف . والباب غير محقق الوجود بعد ، طالما ان الخشب لم يصنع
بابا بعد . وعليه فالباب في هذه الحالة هو ليس بالفعل بل بالقوة فليس
الامكان في «الفعل» ولا هو في «العدم» بل هو «بالقوة» .

(٢٢) واحب ان انبه الى ان معنى المعدوم هنا يختلف تماما عن معنى «المعدوم»
عند المعتزلة . ونسبة ابن رشد فكرة المعتزلة عن المعدوم : الى القوة
والامكان الارسطيين مصدره سنوء فهم لمعنى المعدوم عندهم . وشارك
ابن رشد وسبقه الى هذا الفهم الخاطيء كثير من القدماء والمحدثين
(انظر مقالى عن المعدوم) . اما كلام ابن رشد عن «القوة» و «الفعل»
و «العدم» كمبدأ ثالث الى جانب الهيولى والصورة ، فهو كلام ارسطى
معروف تابعه فيه العديد من فلاسفتنا ، مثل ابن سينا وابن رشد
كما يتبين من المصادر التالية :-

١ - عند ارسطو انظر :

Aristo: Categ: 2a, 11 ff; Phy: BK. 1. 2. 185a, 20. ff. BK.

1. 6. 189a: 30. BK. 1. 8, 192a 6 Deaelo: BK. 1, 11, 280b-281b;

Metaph: BK. V. viii, 1017b. 10. ff. BK. xii, 1069b. 3. 1070a.

٢ - ابن سينا : «النجاة» . ص ١٦٤ ، ٣٥٢-٣٤٨ ، «الشفاء»

الذي له ، يلزم ان يكون ذاتا ما في نفسه فان العدم ذات ما (٢٣) . . . فهذه الطبيعة اتفق الفلاسفة والمعتزلة على اثباتها ، الا ان الفلاسفة ترى انها لا تتعري من الصورة الموجودة (٢٥) . بالفعل ، اعني لا تتعري من الوجود ، وانما تنتقل من وجود الى وجود ، كانتقال النطفة مثلا الى الدم وانتقال الدم الى الاعضاء التي للجنين ، وذلك انها لو تعرت من الوجود لكانت موجودة بذاتها ، ولو كانت موجودة بذاتها لما كان منها كون . فهذه الطبيعة عندهم هي التي يسمونها بالهيولى (٢٦) ، وهي علة الكون والفساد . وكل موجود يتعري

الهيئات» ج ١ ٧٢-٨٨ ، ١٧١-١٨٤ . «وتسع» : ص ٣ ، ٤ ، الرسالة الثانية ص ٣٠-٣٢ ، الرابعة في الحدود ، في معنى الصورة والهيولى ص ٨٠ ، ٨٥ .

٣ - ابن رشد : «السمع الطبيعي» ص ٦-١٠ ، «والكون والفساد» ، المقالة الاولى والثانية ص ٤-٢١ . «وما بعد الطبيعة» ، في معنى القوة والفعل ص ٢٧-٢٨ ، والمقالة الثالثة ص ٨٢-٨٩ والهيولى ص ٣٢-٣٣ . والصورة ص ٣٣ . والمقالة الثانية ص ٣٦ فما بعد . «وتفسير ما وراء الطبيعة» ج ١ . المقالة الاولى ص ٢٥-٢٩ ، والثانية ص ٩٧ ، والثالثة ص ٢٤٦-٢٥٠ . وج ٢ السادسة ص ٨٥٧ ، ٨٦٠ ، والثامنة ص ١٠٢٧-١٠٦٨ ، ج ٣ . مقالة اللام ص ١٤٣٨ ، ١٤٤٧-١٤٤٨ ، ١٤٥٢ فما بعد .

(٢٣) ما بين قوسين في كتاب ابن رشد ، وليس مني .

(٢٤) يقصد بهذه الطبيعة : الهيولى . وقد اشرت الى خطأ هذا القول تماما بالنسبة للمعتزلة . وعلى اساسه اتهم المعتزلة من كسبر من القدماء والمحدثين بانهم يضمرون قدم العالم وقدم الهيولى . وقد اظهرت في مقال «المعدوم» خطأ هذا القول .

(٢٥) يريد : المبدأ الارسطي المعروف بعدم تعري الهيولى من صورة ما ، على عكس المعتزلة - في وهمه - الذين اثبتوا ، بقولهم في المعدوم ، الهيولى بدون صور .

(٢٦) انظر مصادر عنها عند فلاسفتنا وارسطو في نوت ٢٢ من ص ٢٥٠ من هذا الكتاب .

من هذه الطبيعة فهو عندهم غير كائن ولا فاسد» (٢٧) .

٤ - في موضوع حديث الغزالي عن حدوث النفس عند الفلاسفة ، يقول ابن رشد : « لا اعلم احدا قال بتحدونها حدودا حقيقيا » ثم انها باهية الا ما حكاه عن ابن سينا . وانما الجميع على ان حدوثها اضافي» (٢٨) .

٥ - يوافق ابن رشد على ردود الفلاسفة على اعتراضات الغزالي الثلاثة أعلاه .

٦ - يرد ابن رشد على قول الغزالي في الكليات والامكان : بانه قول سفسطائي ، لان الامكان هو كلي له جزئيات موجودة خارج الذهن كسائر الكليات . والعلم ليس علم للكلي ، بل علم للجزئيات بنحو كلي يفعله الذهن في الجزئيات عندما يجرد منها الجزئيات وهو في هذا القول غلط ، فاخذ ان طبيعة الامكان هي طبيعة الكلي ، دون ان يكون هنالك جزئيات يستند اليها هذا الكلي ، اعني الامكان الكلي . والكلي هو شيء موجود في طبيعة الاشياء المعلومة بالقوة . وقول الفلاسفة : الكليات موجودة في الازهان لا في الاعيان ، انما يريدون انها موجودة بالفعل في الازهان لا في الاعيان ، وليس يريدون انها ليست موجودة اصلا في الاعيان ، بل يريدون انها موجودة بالقوة فيها ، غير موجودة بالفعل . ولو كانت غير موجودة اصلا لكانت كاذبة (٢٩) . واذا

(٢٧) تهافت التهافت . ص ١٠٠-١٠٧ .

(٢٨) تهافت التهافت . ص ١٠٧ . ويستحسن الاستثناس بما ذكرته عن

المسألة فهو ابن واتم . ص ٢٣٦ نوت (١١) .

(٢٩) يوضح ابن رشد رأيه هذا مع النص على رأي ارسطو ومناقشاته

لافلاطون في ابطال المثل (الكليات حسب المذهب الواقعي) في اماكن

مختلفة من «تفسيره لما وراء الطبيعة» . ج ١ المقالة الاولى ص ٦٥-٦٦ ،

١١١-١١٩ ، ١٢٤-١٢٥ . والثالثة ، ص ١٨٠ ، ٢٢٥ ، ج ٢ السابعة

ص ٨٢١ ، ٨٣٠ ، ٨٦٤-٨٦٦ ، ٩٨٢ ، ١٠٠٣ . ج ٣ . مقالة اللام

كانت خارج الازهان موجودة بالقوة وكان الممكن خارج النفس بالقوة ، فاذا من هذه الجهة تشبه طبيعتها طبيعة الممكن • ومنها رام ان يغلط ، لانه شبه الامكان بالكمليات ، لكونهما يجتمعان في الوجود الذي بالقوة • ثم وضع : ان الفلاسفة يقولون انه ليس للكمليات خارج النفس وجود اصلا ، فانتج : ان الامكان ليس له وجود خارج النفس (٣٠) ، مما اوضح هذه المغالطة واختبها (٣١) .

٧ - اما انه ليس كل ممتع بمضاف الى مادة ، مثل شريك الله ، فجواب ابن رشد : « انه ممتع الوجود في الوجود ، كما ان وجود الله واجب الوجود في الوجود • ولاشك ان قضايا العقل انما هي حكم له على طبائع الاشياء خارج النفس فلو لم يكن خارج النفس لا ممكن ولا ممتع ، لم يكن فرق بين العقل والوهم » (٣٢) .

٨ - قول الغزالي : « انه لم يقصد ••• نصره مذهب مخصوص » ، انما قاله لئلا يظن انه يقصد نصره مذهب الاشعرية • والظاهر من الكتب المنسوبة اليه انه راجع في العلوم الالهية الى مذهب الفلاسفة ، ومن اينها في ذلك واصحها ثبوتها له كتابه المسمى بمشكاة الانوار (٣٣) .

ص ١٤٩١ فما بعد • وكتاب : « ما بعد الطبيعة » • ص ٩-١١ ، ١٢-١٦ .
والمقالة الثانية ص ٤٥-٦٣ حيث يقدم حججا كثيرة على بطلان المثل ، وان الكلي « مجرد ذهني » وجوده الحقيقي كجزئي خارجنا •

(٣٠) قارن بجوابي فيما تقدم ص ٢٤٠ ح ١٢ ، ص ٢٤٥ فما بعد •

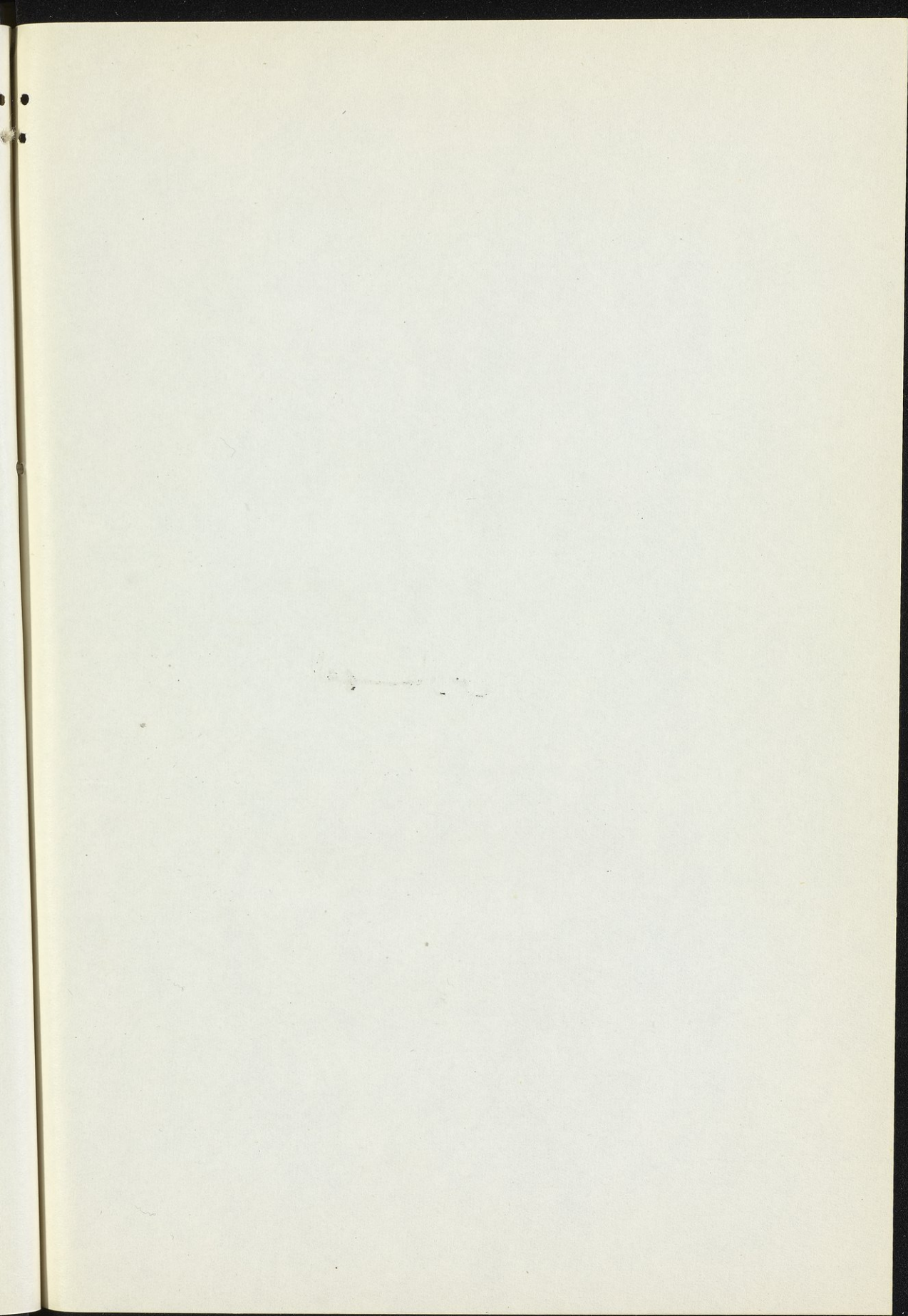
(٣١) تهافت التهافت ص ١٠٩-١١١ •

(٣٢) تهافت التهافت ص ١١٢ وقارن بجوابي اعلاه ص ٢٤٨ ج ٢٠ •

(٣٣) كذلك • ص ١١٧ • وانظر حاشية ١٥ من ص ٢٤٤ •

بهذا ينتهي هذا النقاش الجاد والممتع بين الفلاسفة والغزالي وابن رشد •
ولم اشأ دفعا للتعقيد ان ادخل فيه مناقشات المتأخرين والذين شاركوا فيه
ضمن كتبهم العامة او خصصوا له كتباً على حده • كما فعل زادة في «تهافتة» • ولست
اشك في ان القارىء قد لاقى عناء في الفهم على الرغم من تلخيصاتي وشروحي
ومقارناتي ، ولكنني على ثقة ان ما تقدم سيكون خير عون لفهم اتم لآراء بقية
متكلميها وفلاسفتنا ، الذين كرسوا جزء من كتاباتهم لمناقشة مسألة الحدود
والقدم ، والذين سنتناولهم فيما يلي من هذا البحث وبقدر ما يتعلق الامر
بمشكلة الوجود في الكتاب الثاني •

الفهارس



المصادر بالعربية

ابن ابي اصيبعة :

- ١ - عيون الانباء في طبقات الاطباء • كوتنجن ١٨٨٤ •

ابن ابي الحديد :

- ٢ - شرح نهج البلاغة • تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم
القاهرة ١٩٥٩ •

ابن الجوزى :

- ٣ - تليس ابليس • القاهرة ، ١٩٢٨ •

ابن النديم :

- ٤ - الفهرست • مطبعة الاستقامة (بلا تاريخ) •

ابن الاثير :

- ٥ - النهاية في غريب الحديث والاثر • القاهرة ١٣١١ •

ابن المرزبان (بهمنيار)

- ٦ - رسالة في مراتب الموجودات • ضمن «رسالتان في موضوع
علم ما بعد الطبيعة» نشرها مع حواشي بالالمانية
Dr. Salamon Poper لبيزج ١٨٥١ •

- ٧ - رسالة في موضوع علم ما بعد الطبيعة • وهى الرسالة
الثانية نشر بوبر (اعلاه) •

ابن تيمية :

- ٨ - الرد على المنطقيين • نشر عبدالصمد شرف الدين •
بومبي ١٩٤٩ •

- ٩ - بغية المرتاد • ضمن فتاوى ابن تيمية • القاهرة
١٣٢٩ ج ٥ •

- ١٠ - شرح العقيدة الاصفهانية • ضمن الفتاوى كذلك •

ابن حزم :

- ١١ - الفصل في الملل والنحل • القاهرة ١٩٥٩ •

ابن خلدون :

- ١٢ - المقدمة ، مطبعة مصطفى محمد • القاهرة • بلا تاريخ •

ابن رشد :

- ١٣ - تفسير ما بعد الطبيعة . بيروت ١٩٤٨ .
١٤ - تهافت التهافت . نشر بويج . بيروت ١٩٣٠ .
١٥ - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ضمن
«فلسفة ابن رشد» نشر مولر . ميونيخ ١٨٥٩ .
١٦ - ما بعد الطبيعة . ضمن «رسائل ابن رشد» حيدرآباد ١٣٦٥
١٧ - الكشف عن مناهج الأدلة . ضمن فلسفة ابن رشد . نشر
مولر . ميونيخ ١٨٥٩ .
١٨ - السماء والعالم . ضمن رسائل ابن رشد انظر رقم
١٦ اعلاه .
١٩ - الكون والفساد . ضمن «رسائل ابن رشد» انظر رقم
١٦ اعلاه .

ابن سبعين :

- ٢٠ - الكلام على المسائل الصغرى . نشر محمد شرف الدين ،
بيروت ، ١٩٤١ .

ابن سينا :

- ٢١ - تسع رسائل . القسطنطينية ١٢٩٨ .
٢٢ - النجاة . القاهرة ١٩١٣ .
٢٣ - الشفاء . قسم الالهيات . نشر سعيد زايد . القاهرة
١٩٦٠ .
٢٤ - الاشارات والتنبيهات . نشر سليمان دنيا . القاهرة
١٩٥٧-١٩٦٠ .
٢٥ - رسالة في سر القدر رقم (٣) ضمن مجموعة الرسائل .
حيدرآباد ١٣٥٣ .
٢٦ - الرسالة العرشية رقم (٤) ضمن مجموعة الرسائل .
حيدرآباد ١٣٥٣ .
٢٧ - المباحثات . ضمن «أرسطو عند العرب» نشر بدوى .
القاهرة ١٩٤٧ .
٢٨ - رسالة اضحوية في امر المعاد . تحقيق سليمان دنيا ،
القاهرة ١٩٤٩ .
٢٩ - ديوان ابن سينا . نشر حسين محفوظ . طهران ، ١٩٥٧ .

ابن صاعد (الاندلسي) :

٣٠ - طبقات الامم . بيروت ، ١٩١٢ .

ابن طفيل :

٣١ - حى بن يقظان . تحقيق جميل صليبا وكامل عياد .
دمشق ١٩٣٩ .

ابن منظور :

٣٢ - لسان العرب . بيروت ١٩٥٦ .

ابو البركات (ابن ملكا . البغدادي) :

٣٣ - الاعتبار في الحكمة . حيدرآباد . ١٣٥٨ .

ابو رشيد :

٣٤ - كتاب المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين نشر
A. Biram . ليدن ١٩٠٢ .

اخوان الصفا :

٣٥ - رسائل اخوان الصفا . نشر الزركلي . القاهرة ١٩٢٨ .

افلوطين :

٣٦ - التساقيات او كتاب الربوبية . نشر ديتريشى . ليبزج
١٨٨٢ .

٣٧ - اثنولوجيا ارسطاطاليس . وهو كتاب الربوبية اعلاه
ضمن «افلوطين عند العرب» .

الاسفرائيني :

٣٨ - التبصير في الدين . نشر عزت العطار . دمشق ١٩٤٠ .

الاشعري :

٣٩ - مقالات الاسلاميين . نشر رتر . اسطنبول ١٩٢٩ .

٤٠ - كتاب اللع في الرد على اهل الزيغ والبدع . تصحيح
الدكتور حمودة غرابة . القاهرة ١٩٥٥ .

الاصفهاني :

٤١ - المفردات في غريب القران . القاهرة ١٣٢٤ .

الافروديسي :

٤٢ - مقالة في ان الفعل اعم من الحركة . ضمن كتاب
«ارسطو عند العرب» نشر بدوي . القاهرة ١٩٤٧ .

٤٣ - مقال لاسكندر «في القول في مبادئ الكل بحسب رأى
ارسطاطاليس الفيلسوف» نقله الى العربية ابراهيم بن
عبدالله النصراني • نشره بدوى ضمن «ارسطو عند
العرب» •

الاهواني (احمد فؤاد) :

٤٤ - فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط • القاهرة ١٩٥٤ •

الباقلاني :

٤٥ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به • نشر

محمد زاهد الكوثري • القاهرة ١٩٦٣ •

٤٦ - التمهيد • نشر مكارثي • بيروت ، ١٩٥٧ •

البغدادي (عبدالقاهر) :

٤٧ - اصول الدين • اسطنبول ١٩٢٨ •

٤٨ - الفرق بين الفرق • القاهرة ١٩١٠ •

البيهقي (ظهر الدين) :

٤٩ - تنمة صيوان الحكمة • لاهور ١٣٥١ •

التفتازاني (سعد الدين) :

٥٠ - شرح العقائد النسفية • الاستانة ١٣٢٦ •

التوحيدى (ابو حيان) :

٥١ - المقابسات • نشر حسن السندوبى ، القاهرة ١٩٢٩ •

الجرجاني (السيد الشريف على بن محمد) :

٥٢ - التعريفات • القاهرة ١٩٢٨ •

الجويني (امام الحرمين) :

٥٣ - الارشاد • نشر لوسيانى • باريس ١٩٣٨ •

٥٤ - الشامل في اصول الدين ، الكتاب الاول من الجزء الاول •

تحقيق هلموت كلويفر • القاهرة ١٩٥٩ •

٥٥ - العقيدة النظامية • نشر الكوثري • القاهرة ١٩٤٨ •

وترجمها وعلق عليها هلموت كلويفر • القاهرة ١٩٥٨ •

٥٦ - المع الادلة في قواعد عقائد اهل السنة والجماعة • تحقيق

الدكتورة فوقية حسن محمود • القاهرة ١٩٦٥ •

الخياط (ابو الحسين) :

٥٧ - الانتصار . نشر نيبرج . القاهرة ١٩٢٥ .

الدواني :

٥٨ - شرح العقيدة العنصرية . انظر سليمان دنيا .

الرازي (ابو زكريا) :

٥٩ - رسائل الرازي الفلسفية . نشر بول كراوس . القاهرة
١٩٣٩ .

الرازي (فخر الدين) :

٦٠ - محصل افكار المتقدمين والمتأخرين . القاهرة ١٣٢٣ .
٦١ - كتاب الاربعين . حيدرآباد ١٣٤٥ .
٦٢ - مناظرات في بلاد ما وراء النهرين . حيدرآباد ١٣٥٥ .

الرازي (محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر) :

٦٣ - مختار الصحاح ١٣١١ .

الزبيدي :

٦٤ - تاج العروس . القاهرة ١٣٠٦ .

الزركشي . محمد بن عبدالله :

٦٥ - البرهان في علوم القرآن . تحقيق ابو الفضل ابراهيم .
القاهرة ١٩٥٧ .

السباكي :

٦٦ - رسالة في الكلام . مخطوط بمكتبة جامعة كمبردج برقم
Or. 452

السهوردي (شهاب الدين يحيى ابن حبش) :

٦٧ - مجموعة في الحكمة الشرقية . تصحيح هنري كوربان .
اسطنبول ، ١٩٤٥ .

٦٨ - التلوينات اللوحية والعرشية . ضمن مجموعة في
الحكمة الشرقية تصحيح كوربان اسطنبول ١٩٤٥ .

٦٩ - المشارع والمطارحات رقم (٣) نفس المجموعة .

الشهرستاني :

٧٠ - الملل والنحل . تحقيق محمد بدران القاهرة ١٩٥٦ .

٧١ - نهاية الاقدام في علم الكلام . تصحيح الفردكيوم مع
ترجمة انكليزية . اكسفورد ، ١٩٦٤ .

الطوسي (نصير الدين) :

- ٧٢ - شرح الاشارات • على متن الاشارات تحقيق سليمان دنيا
انظر رقم (٢٤) اعلاه •
٧٣ - شرح المحصل • حاشية على المحصل • انظر رقم ٦٠
اعلاه •

الغزالي :

- ٧٤ - تهافت الفلاسفة • بيروت ، ١٩٢٧ •
٧٥ - المنقذ من الضلال • القاهرة ١٣٠٩ •
٧٦ - الاقتصاد في الاعتقاد • الطبقة الثالثة • القاهرة ، ١٣٢٧ •
٧٧ - الاربعين في اصول الدين • القاهرة ١٣٤٤ •
٧٨ - مقاصد الفلاسفة • القاهرة ١٩٦١ •
٧٩ - معراج السالكين • ضمن «فرائد اللآلئ في رسائل الغزالي»
نشر زكي الكردي • القاهرة ١٣٤٤ •
٨٠ - قواعد العقائد • ضمن كتاب الاحياء • انظر رقم (٨١)
اسفل •
٨١ - احياء علوم الدين • القاهرة ١٣٤٦ •

الفارابي :

- ٨٢ - آراء اهل المدينة الفاضلة • تحقيق البير نصرى نادر •
بيروت ١٩٥٩ •
٨٣ - رسالة زينون الكبير • حيدرآباد ١٣٤٩ •
٨٤ - السياسة المدنية • حيدرآباد ١٣٤٦ •
٨٥ - رسالة في اثبات المفارقات • حيدرآباد ١٣٤٥ •
٨٦ - تجريد رسالة الدعوى القلبية • حيدرآباد ١٣٤٩ •
٨٧ - «عيون المسائل» ضمن «الثمرة المرضية في بعض الرسائل
الفارابية» نشر ديتريشى ليدن ١٨٩٠ •
٨٨ - الجمع بين رأيي الحكيمين ضمن «الثمرة المرضية» نشر
ديتريشى ليدن ١٨٩٠ •
٨٩ - فصوص الحكم • حيدرآباد ، ١٣٤٥ •
٩٠ - التعليقات • حيدرآباد ١٣٤٦ •
٩١ - مسائل متفرقة • حيدرآباد ١٣٤٤ •

٩٢ - الفصول المدني . نشره بالعربية مع الترجمة الانكليزية،
دنلوب كمبردج ١٩٦١ .

الفيروز ابادي :

٩٣ - القاموس المحيط . كلكتا ١٨١٧ .

الفيومي (سعيد بن يوسف) :

٩٤ - الامانات والاعتقادات . ليدن ١٨٨١ .

القاسم بن ابراهيم :

٩٥ - كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع . نشر جويدي .
روما ، ١٩٢٧ .

القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) :

٩٦ - عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات على

هامش «حياة الحيوان» للدميري ج ١ . مصطفى البابي ،
القاهرة .

القفطي (جمال الدين) :

٩٧ - تاريخ الحكماء . ليبزج ، ١٣٢٠ .

القمي (ابن بابويه محمد بن علي بن الحسين بن موسى) :

٩٨ - كتاب التوحيد . طهران ١٣٧٥ .

الكستلي :

٩٩ - حاشية على «شرح العقائد النسفية» على متن التفتازاني
انظر التفتازاني .

الكاتبى (نجم الدين) :

١٠٠ - مناظرات فلسفية بين نصير الدين الطوسي ونجم الدين

الكاتبى . نشر محمد حسين آل ياسين بغداد ١٩٥٦ .

الكندي :

١٠١ - رسائل الكندي الفلسفية نشر عبدالهادي ابو ريذة .

ج ١ . القاهرة ١٩٥٠ .

الماتريدي :

١٠٢ - كتاب التوحيد ، مخطوط 3651 Add: Cambridge

المسعودي :

١٠٣ - التنبية والاشراف . نشر دى غويه . ليدن ١٨٩٤ .

المقدسى (مطهر بن طاهر) :

- ١٠٤ - البدء والتاريخ • نشر كليمنت هوارت • باريس
• ١٨٩٩

الملطى (ابو الحسين) :

- ١٠٥ - التبئية والرد على اهل الاهواء والبدع • نشر سسيفن
• ديدرغ • اسطنبول ١٩٣٦

بدوى (عبدالرحمن) :

- ١٠٦ - افلوطين عند العرب • القاهرة ١٩٥٥
١٠٧ - ذكرى الغزالي • القاهرة ١٩٦٢
١٠٨ - فلسفة العصور الوسطى • القاهرة ١٩٦٢

بروقلس :

- ١٠٩ - حجج بروقلس في قدم العالم • ترجمه اسحاق بن حنين
نشر بدوى ضمن «الافلاطونية المحدثة عند العرب» •
القاهرة ١٩٥٥

بنس :

- ١١٠ - مذهب الذرة عند المسلمين • ترجمة عبدالهسدى ابو
ريدة • القاهرة ١٩٤٦

ذو الرمة :

- ١١١ - «ديوان» ذو الرمة دمشق ١٩٦٤

رشيد رضا :

- ١١٢ - تفسير المنار • القاهرة ١٣٦٧

زادة (مصطفى بن خليل) :

- ١١٣ - تهافت الفلاسفة • القاهرة ١٣٠٢

سليمان دنيل :

- ١١٤ - محمد عبده بن الفلاسفة والمتكلمين • القاهرة ١٩٥٨

كرم (يوسف) :

- ١١٥ - تاريخ الفلسفة اليونانية • القاهرة ١٩٥٣
١١٦ - تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط • القاهرة
• ١٩٤٦

كوردبان (هنرى) :

١١٧ - تاريخ الفلسفة الاسلامية • ترجمة نصير مروة وحسن
قبيسى بيروت ١٩٦٦ •

ماجد فخرى :

١١٨ - ارسطوطاليس • بيروت ، ١٩٥٨ •

مدكور (ابراهيم) :

١١٩ - في الفلسفة الاسلامية • القاهرة ١٩٤٧ •

محمد عبده :

١٢٠ - شرح العقائد العضية • ضمن «محمد عبده بين
الفلاسفة والمتكلمين» انظر سليمان دنيا رقم (١١٤) •

مرحبا (عبدالرحمن) :

١٢١ - انشتاين • بيروت ١٩٦٢ •

مؤلف مجهول :

١٢٢ - «المقترح على كتاب الارشاد» كمبردج برقم
Cambridge, Add. 3262

نادر (البيير نصرى) :

١٢٣ - ابن سينا والنفس البشرية • بيروت ١٩٦٠ •

٢ - المخطوطات

١ - المؤلف : مشكلة الخلق في الفكر الاسلامى • وهى رسالة الدكتوراه
الى جامعة كمبردج بالانكليزية • انظر رقم (١) من قائمة المراجع
بالانكليزية •

٢ - السباكى : رسالة في الكلام • مخطوط بمكتبة جامعة كمبردج • برقم
OR. 452.

٣ - الماتريدى : كتاب التوحيد :

Cambridge, Add: 3651

٤ - مؤلف مجهول : المقترح على كتاب «الارشاد»

Cambridge, Add: 3262.

وكتاب الارشاد هو للجوينى • انظر رقم (٥٣) اعلاه •

٣ - المصادر باللغة الانكليزية

BIBLIOGRAPHY OF WORKS IN ENGLISH

AL-ALOUSI H. M. (The Auther):

- (1) The prolom of creation in Islamic thought.

ARISTOTLE:

- (2) Metaphiysic. vol VIII of the works of Aristotle. TR. Into Eng. under the editorship of. W. P. Ross. Oxford. 1930.

- (3) De Caelo. vol. 2 of the works of Aristotle, ed. by Ross, Oxford 1930.

- (4) De Générations vol. 2 of the works of Aristotle, ed. by Ross, Oxford 1930.

- (5) Physica. vol. II. of Ross ed. Oxford. 1930.

- (6) Categories. vol. 7. of Ross ed. Oxford. 1926.

SWEETMAN J. W.

- (7) The city of God. In great books of the western world. No. 18. Chicago. 1952.

VAN DEN BERGH:

- (8) The Incoherence of the incoherence. Gibb's memorial. No. 19. 1954.

BURNET J. :

- (9) Early Greek philosophy. 4 the ed. London. 1958.

CARRE M. H. :

- (10) Realists and Nominalists. Oxford. 1946.

COPELSTON F.:

- (11) Medieval philosophy. London. 1952.

FLINT R. :

- (12) Theism. 13th. ed. London: 1902.

FORSYTH T. M. :

- (13) God and the world. London. 1952.

GUILLAUME A. :

- (14) Islam. 3rd. ed. Edinburgh. 1961.

KANT I. :

- (15) Critique of pure Reason. Tr. by J. M. D. Meiklejohn.
London. 1959.

MAIMONIDES M. :

- (16) The guide for the perplexed. Tr. from the original
Arabic text. by. M. Friedlander. London. 1904.

PHILOPONAS J. :

- (17) De Aeternitate mundi contra proclum. Ed. Huge
Rabe. Lipsiac. 1899.

PLATO :

- (18) Timaeus and Critias. Eng. Tr. and Ed. by A. E. Taylor
London. 1929.

ROSS W. D. :

- (19) Aristotle. 5th. ed. London 1964.

RUSSEL B. :

- (20) History of western philosophy. New ed, London 1961.

SWEETMAN J. :

- (21) Islam and Christian theology. London 1945.

TAYLOR A. E. :

- (22) Plato the man and his works. London 1960.

WALZER R. :

- (23) Greek into Arabic. Oxford. 1962.

WENSINCK A.J. :

- (24) The Muslim Creed. Combridge 1932.

DE WULF M. :

- (25) History of Mediaeval philosophy. En. Tr. by. E. C.
Messenger. vol. 1. London. 1952.

ZELLER :

- (26) Plato and the older academy. Eng. Tr. by Sarah
Francos. London. 1876.
(27) Stoics, Epicureans. and Sceptics. Tr. by O. J. Reichel.
London. 1870.

٣ - مقالات وبحوث بالعربية وغيرها

- ١ - للمؤلف : مشكلة المدوم وعلاقتها بمسألة الصفات . مجلة كلية الآداب بغداد عدد (٩) ١٩٦٦ .
- ٢ - للمؤلف : دليل المشاهدة . الفكر الجديد عدد اول سنة ١٩٦٦ . يصدرها قسم الفلسفة بكلية الآداب . بغداد .
- ٣ - للمؤلف : دليل الكندي في حدوث العالم المستند على تناهي جرم العالم ، ونقده . مجلة الاقلام . ج ٨ ، ١٩٦٧ ص ١٤١ فما بعد .

٤ - مقالات وبحوث بالانكليزية

3. WOLFSON H. A.: The kalam arguments for creation in Saa'dia, Averroes, Maimonides and st. Thomas. A. A. J. R. New York 1943. vol. II.
4. FAKHRY M.: The "Antinomy of the Eternely of the word in Averroes, Maimonides and Aquinas. Le Museon (66), Lauvain 1953.
5. FAHHRY M.: The classical Islamic argument for the existence of God. M. W. April. 1957.

١ - فهرست تفصيلي بموضوعات الكتاب

مقدمة عامة : ص ٣-٤

الرغبة في دراسة فكرنا الكلامي والفلسفي دراسة مقارنة تفصيلية
ص ٣ . على القارئ ان يستحضر في ذهنه انه لا يقوم بنزهة ص ٣-٤ . فهم
الفلسفة الاسلامية بصورة خاصة يحتاج الى جهد ص ٤ .

تمهيد ص ٥-١٣ :

دوافع كتابة هذا الكتاب العامة : ص ٥ ضرورة الخوض في اعماقها
لا التحدث عنها فقط ص ٥ ، ينبغي ملاحظة اظهار الوحدة في بنية التفكير
الكلامي والفلسفي . ص ٥ ، الاعتبار بمنهج الغربيين في دراستهم للفلسفة
قبل سقراط ص ٥ حاجة فلسفتنا الى دراسة جديدة ، المباحث العقلية عند
الكلاميين والفلاسفة تكون وحدة عضوية ص ٦ عمق تفكير فلاسفتنا انما
يتجلى في اعتبار هذه الوشائج والوحدة ، ص ٦ منهجنا هو دراسة اية مشكلة
عقلية على اساس عدم الفصل بين آراء المتكلمين والفلاسفة عنها ص ٦ . علم
الكلام جزء من الفلسفة الاسلامية ص ٦-٧ ، كلاهما فلسفة او كلاهما لاهوت .
ص ٨ ، دوافع كتابة هذا الكتاب الخاصة : وضع حد لاثام فلاسفتنا بالالحاد
والقول بقدم العالم . اتيام الغزالي لهم بهذه التهمة وتردها بعده ص ٨ ،
فلاسفتنا مثاليون لا ماديون ص ٨ ، ضيق المقياس هو سبب هذه التهم ص ٩ ،
المذاهب في اصل العالم : ١ - المذهب المادي ، ٢ - المذهب الروحي ص ١٠ ،
اسام المذهب الروحي : ، أ - مذهب افلاطون والرازي . ص ١٠ ، ب - ارسطو
وابن رشد ، ص ١١ ، ح - مذهب افلوطين والفارابي وابن سينا ص ١١ ،
د - مذهب المتكلمين . ص ١٢ . التقاء هذه المذاهب الروحية جميعا . ص ١٢ .
جميعهم مجتهدون ضمن الاطار اللاهوتي الروحي البحت ص ١٣ . شقة ضيقة
بين الفيضيين والمتكلمين . ص ١٣ هذا الكتاب توضيح لهذا الحكم ص ١٣ .
نقاط الالتقاء العريضة بين المدرستين . ص ١٣ .

القسم الاول ١٧-١٠٤

موقف الفارابي ١٧-٣٧

الفصل الاول :

ضرورة الاحتكام الى النصوص ص ١٧ . الفارابي وابن سينا ممثلان
لمدرسة الفيضيين . ص ١٧ . نصوص من كتاب الجمع بين رأبي الحكيمين

١٧-٢١ ، معنى قول ارسطو ان العالم ليس له بدء زمانى ، ص ١٧ ، الزمان
 حادث عن حركة الفلك عند ارسطو ص ١٧ ، اختصار الغزالي في التهافت على
 كتابات الفارابى وابن سينا في عرضه لموقف الفلاسفة ح ١ ، الفارابى يخلط
 بين ارسطو وافلوطين اعتمادا على كتاب الربوبية ص ١٧ ، ح ٢ . قول ارسطو
 بالنظام ص ١٨ ، ح ٤ ، افلاطون في طيمائوس يقول بالصانع ص ١٨ ، ح ٤ ، ٥ ،
 ارسطو - لا الشرائع - اقام مسألة حدوث العالم على اسس صحيحة ص ١٩ ،
 الاديان والنحل تقول بالصنع من الماء ص ١٩ . العالم لا ينتهى الى عدم . عند
 هؤلاء ص ٢٠ ، موقف القرآن والمتكلمين وافلاطون واحد من هذه المسألة ح ١٠
 ارسطو يرى ان كل ما له اول فله آخر ، ح ١٠ معنى الابداع عند الفارابى
 ص ٢١ ، نصوص من كتاب «اراء اهل المدينة الفاضلة» ص ٢١-٢٢ . صفات
 الله ص ٢١ ، وجود الاشياء عن الله على جهة فيض ازلى ص ٢١ ، الله يوجد
 الاشياء لذاته لا لغرض ، ٢١ ، صورة لدليل العلة التامة ص ٢١ ، ح ١٤
 الفيض يكون بمراتب ص ٢٢ ، الهيولى آخر المقاضات ح ١٦ . نصوص
 لفارابى من «رسالة زينون الكبير» ص ٢٢-٢٣ . تقسيم الموجودات الى واجب
 وممكن وممتنع ومعنى هذه الالفاظ ص ٢٢ ، ح ١٧ . الاستدلال على وجوب
 الواجب بذاته (الله) ص ٢٢ . الشئ لا يكون علة لنفسه ص ٢٢ . الوجود
 عارض للماهية ص ٢٢ . لا يكون شيئا كل واحد منهما علة للآخر ص ٢٣ .
 استحالة وجود علل الى ما لا نهاية لها ص ٢٣ . الحاجة الى الله دائمة ص ٢٣ ،
 مخالفته للمتكلمين الذين يقولون بالحدوث لا الامكان ص ٢٣ ، نصوص من
 كتاب فصوص الحكم . ص ٢٣-٢٤ ، هل الكتاب له ؟ ح ٢٢ ، تقسيم الموجودات
 الى الواجب والممكن ص ٢٤ حدوث الماهيات الممكنة لا بزمان ص ٢٤ ، الله مريد ،
 ارادته وفعله معا ، الارادة ازلية وفعله للعالم ازلى ص ٢٤ ، نصوص من
 «السياسيات المدنية» الفيض ازلى ، العالم متأخر عن الله بالذات ، صورة
 لدليل العلة التامة ، ص ٢٤ ، ٢٤ ، انواع التأخر والتقدم بين شيئين عند
 الفلاسفة ، ح ٢٩ . نصوص من «رسالة في اثبات المفارقات» ص ٢٥-٢٦ ،
 ضرورة الانتهاء الى واجب الوجود بالذات ص ٢٥ ، الامكان لا الحدوث يجعل
 العالم غير مستغن عن الله ص ٢٦ . في «التعليقات» تأكيد على ان العلة (الله)
 والمعلول (العالم) معا في الوجود ص ٢٦ ، نصوص من «مسائل متفرقة» ص ٢٦
 العالم مكون من صورة وهيولى ص ٢٦ ، العالم وجد دفعة واحدة بلا زمان
 ص ٢٦ ، اجزاء العالم متكونة وفاسدة في الزمان ص ٢٦ ، الله لا كون له ولا
 فساد ص ٢٦ ، معنى ذلك ح ٣٤ . نصوص من «تجريد رسالة الدعوى
 القلبية» ملخص لمحتواها ص ٢٧ . النصوص ص ٢٨-٣١ . معنى الوجوب

والامكان ص ٢٨ ، ح ٣٥ . الممكنات لا تتسلسل ص ٢٨ ، ٣٦ ، معنى استحالة التسلسل ، استناد افلاطون على التسلسل لاثبات المثل ، استناد ارسطو عليه لاثبات وجود المحرك الاول ، استخدام المتكلمين له وكذلك الفلاسفة في عدة مسائل منها وجود الله ، ادراك افلوطين واوريجين لصعوبة القول بتسلسل لا نهاية له بالفعل ، لذلك قالوا بالدورات الابدية ، ح ٣٦ الله مفيض للعالم منذ الازل ، لا بالطبع بل بارادة لا كأرادتنا ص ٢٩ ، تجنى المتكلمين على الفلاسفة بهذا الصدد ح ٣٧ ، ٣٨ . رفض الفارابي للايجاد المؤقت ص ٣٠ ، معنى الابداع ، الله لا تتجدد له اراده ولذلك فهو موجد منذ الازل ص ٣٠ ، ح ٤١ . معنى الايس والليس واول من استخدمهما ، ح ٤٠ ، العالم عنده قديم بالزمان ، ولكنه محدث بالذات ، ومع انه ممكن فهو واجب الوجود بغيره ، ص ٣٠-٣١ نصوص من عيون المسائل ص ٣١-٣٤ ، التقسيم الى واجب بذاته وممكن وواجب بغيره ، الله فاعل بارادة ، استحالة التسلسل ، صلة العالم الالهى بوجود الاشياء ص ٣١ ، معالجة مشكلة العالم الالهى وهل يتغير الله بالمتغيرات ؟ والحلول المختلفة حولها ح ٤٤ . الله علة للخير ص ٣١ ، موقف الفيضيين من مشكلة الشر وتقديم حلين لها ح ٤٥ ، معنى ان علة الحاجة الى الله الامكان لا الحدوث وموقف المتكلمين والفلاسفة منها ح ٤٦ ، اول ما يفيض عنه العقل الاول ومعنى الابداع ص ٣٢-٣٣ ، ح ٤٧ . الهيوولى (اي المادة) وصور العناصر الاربعة والموجودات الارضية ليست قديمة بالذات بل صادرة عن العالم العلوى ص ٣٤ . ح ٤٨-٥٢ . نصوص من «الفصول المدنى» ملخصها ص ٣٤-٣٥ . العالم ازلى بالزمان ، رده على المتكلمين الذين يصرون على حدوث العالم ووجوده بعد مدة لم يكن الله فيها فاعلا له ص ٣٤-٣٦ ، ح ٥٣-٦٠ .

خاتمة الفصل ص ٣٦-٣٧ .

موقف ابن سينا ٤٨-١٠٤

الفصل الثانى :

كتابات ابن سينا اكثر وضوحا ص ٣٨ . نصوص من «تسع رسائل» ٣٨-٥٠ . الهيوولى والصورة مبدعان من عدم ، المبدع يتقدمهما بالذات لا بالزمان ، الزمان يحدث مع حدوث الحركة ص ٣٨ ، انفصال ابن سينا عن ارسطو في مسألة قدم الهيوولى ح ٢ . فلاسفة اليونان متفقون على استحالة الخلق من عدم ، والفرق ضيق بين فلاسفتنا الفيضيين ومتكلمينا ح ٢ ، معنى الزمان وربطه بالحركة والمتحرك جريا مع ارسطو ح ٢ الزمان حادث

عند المتكلمين والرازي الطبيب ، ولكنه قديم عند الفيضيين ح ٢ . معنى
الابداع واختلافه عن التكوين ، معنى بديع في القرآن وانها تدل على الصنع من شيء
لا الخلق من عدم ح ٢ . معنى ان السماء غير مكونة ولا فاسدة عند ارسطو
(الحكيم) ص ٣٩ ، من يقول بقديم العالم والاحاد هم عامة المتفلسفة ص ١٠٤ ،
ومعنى الاحاد ح ٥ معنى القوة والفعل ح ٧ . ابن سينا يبرر المعجزات
والرؤيا والكهانة والعرافة ، ويقول ان فعل الطبائع هو فعل الله ص ٤١-٤٣ .
الطبائع مثل الاحراق في النار هي فعل الموجودات العليا ح ٩ . معنى الفاعل
المطبوع ح ١٠ ، الهوى مبدعة ص ٤٢ الصور مغاضة من الصانع ص ٤٢ وفقا
لتدرج ح ١٢ . رأى الاوائل في جوهر الفلك والجواب وانه مبدع ص ٤٣-٤٤ ،
القرآن يدل على الابداع ص ٤٥ ، مخالفة الفارابي وابن رشد لتفسير ابن سينا
لسورة الدخان ح ١٩ . الهوى والصورة معا عند ارسطو وفلاسفتنا ، ذهاب
المتكلمين الى انهما يخلقان كل لحظة ، معنى الهوى ، والهوى المطلقة والجسم
المطلق عند فلاسفتنا ومتكلمينا وارسطو وعند الفيثاغوريين والرواقيين ح ١٨ ،
٢٠ ، معنى المعلول عند ابن سينا ٤٦ احكام ارتباط العلة والمعلول ص ٤٧ ،
ح ٢٤ ، ٢٥ ، معنى الابداع ، معنى الاحداث ، الاحداث زمنية وغير زمنية
ص ٤٨ ، الامكان الذي يضعه الفلاسفة للعالم قبل ايجاده هو امكان ذهني
فقط ح ٢٧ ، ٢٨ ، معنى القدم ، قدم خاص ، وقدام مطلق والاخير قدم بالزمان
وقدم بالذات ص ٤٩ . كيف يدبر الله العالم بواسطة العقول الفلكية والنفوس
والقوى الطبيعية ؟ ص ٥٠ استدلال ابن سينا بالنظام على وجود الله ص ٥٠ ،
دليل النظام دليل شائع ص ٥٠ ، نقد كانت له ح ٣٤ . نصوص من النجاة .
ص ٥٠-٦١ . الزمان ليس حادثا بل قديما بالزمان ولكنه محدث بالذات
ص ٥٠-٥١ ، نقد ابن سينا للمتكلمين في قولهم باحداث الله للعالم ليس منذ
الازل ص ٥١ ، نقد آخر للمتكلمين : الزمان يستحيل ان يفرض حادثا ص ٥٢ ،
معنى ، واختلاف فلاسفتنا في قدمه وحدوثه ، موقف ابى البركات البغدادي ،
مسألة الزمان لا تفيد القائلين بالقدم أو بالحدوث مالم ترتبط بدليل العلة
التامة ح ٤٠ ، كل حادث زمني فهو مسبوق بالمادة ص ٥٣ . ولكن العالم
العلوي مبدع من لا شيء ٥٥-٥٦ ، معنى سبق الامكان للممكن وسبق المادة
ح ٤٥ ، ح ٤٦ . استناده على دليل العلة التامة ليثبت خطأ قول المتكلمين
بحدوث العالم بالزمان ص ٥٧ ممكن الوجود يصير واجب الوجود بغيره اذا
تعلق بعلة تامة ص ٥٧-٥٩ ، دليل العلة التامة واستحالة الترجيح بلا مرجح
حسب ما يرضهما ابن سينا ص ٥٩-٦٠ ، من يقول بحدوث الارادة الالهية
وهو قول العلاف ورد ابن سينا على ذلك ح ٥٥ . الله ليس فاعلا بالطبع ص ٦٠ ،

الهيولى المشتركة تصدر من الاجرام السماوية ص ٦١ ، نصوص من الشفاء
 ص ٦١-٦٧ . لانتقاض بين ان يكون الفاعل حرا ومع ذلك ففعله دائم ص ٦١ ،
 مخالفة المتكلمين في ذلك ح ٦١ ، موقف ابن سينا من المتكلمين في معنى القادر
 ص ٦٢ ، عند المتكلمين الفاعل الدائم فاعل مطبوع لا مختار ، رد ابن سينا
 ص ٦٢-٦٣ وحواشيهما . رد ابن سينا على انكساغوراس ومن يقول بان
 القوة سابقة على الفعل ص ٦٣ الامكان الذي يفترض للعالم امكان ذهني فقط
 ص ٦٣-٦٤ ، رد ابن سينا على معنى الفاعل عند المتكلمين (العامة) ص ٦٤ .
 معنى الابداع مقارن للمعنى الممكن والواجب ، معنى الایس واللیس ص ٦٤
 وحواشيهما معنى المبدع ، والمكون والابداع والتكوين ص ٦٦-٦٧ . نصوص
 من «الاشارات والتنبيهات» الطرق ثلاث في اثبات وجود الله ، ص ٦٧ ، شرح
 الطوسي لهذه الطرق مع الامثلة ص ٦٧-٦٨ . تلخيص موقف المتكلمين من
 حدوث العالم بلسان ابن سينا ، شرح الطوسي لذلك ص ٦٩ ، تحليل ابن
 سينا لمعنى «فعل» و «صنع» و «اوجد» كون الفعل والايجاد بعد عدم ، او
 بقصد او بطبع امور زائدة على معاني هذه الافعال ص ٧٠-٧١ ، ح ١٠٦
 القضايا الفلسفية وراء هذا الجدل اللغوي ح ١٠٨ ، موقف الطوسي من
 الطرفين انتصاره لابن سينا ورده على الرازي (فخر الدين) واستشهاد باللغة
 والشعر . ص ٧٣-٧٤ . موقف الرازي والطوسي من مسألة ان مرد الحاجة
 الى الله الحدوث ام الامكان ص ٧٣-٧٥ . موقف الطوسي والرازي من مسألة .
 هل يفتقر الازلى الدائم الى الفاعل ؟ ص ٧٥ ، الطوسي يرى ان الاشاعرة
 يقولون بقدماء مع الله ص ٧٦ ، ح ١١٩ . المذاهب من اصل العالم حسب نقل
 ابن سينا ص ٧٦ ، من ينكر وجود موجد للعالم ومن يقول بقيدمين او اكثر ،
 ومن يقول بآله واحد . ص ٧٦-٧٧ . شرح ابن سينا للمدارس بين اصحاب
 المذهب الاخير : مدرسة او فريق المتكلمين ، ومدرسة الفلاسفة الالهيين .
 ص ٧٩ . حجج المتكلمين بنقل ابن سينا ، وشرح الطوسي لها ، الحجة الاول
 على ان العالم حادث عندهم : على اساس ان ملايتناهي لا يوجد بالفعل ص ٧٧ ،
 ح ١٢٣ والحجة الثانية على اساس ان ما لا يتناهي لا ينقض ص ٧٧ ، ح ١٢٤ .
 بيان ابن سينا لاجوبة المتكلمين المختلفة على مسألة الترجيح والتخصيص في
 وقت دون وقت بعد ان قالوا : ان الله اوجد العالم في وقت لاحق ص ٧٨-٧٩ .
 شرح الطوسي لهذه الاجوبة مع التمثيل ح ١٢٦ ، رد ابن سينا والطوسي
 على حجج المتكلمين بالاستناد الى دليل العلة النامة ، واستحالة الترجيح بلا
 مرجح ص ٧٩ ، وبردود ثلاثة اخرى مهمة ، ص ٨٠-٨١ شرحي لهذه الادلة
 ص ٨١-٩١ ، ان حكم الجزء ليس حكم الكل فلا يلزم من كون كل متناه مفرد

في زمان ان العالم كله في زمان متناه ، ص ٨٠ ، ٨١-٨٢ . ان غير المتناهي
المعدوم قد يكون فيه اكثر واقل ولا يشمل ذلك كونها غير متناهية في العدم .
توضيح ذلك ، مع الامثلة بدورات الافلاك وسواها ص ٨٢-٨٤ ، وخلصته ان
حركة كل فلك اذا فرض قديما واحدة وان قسمت الى دورات تزيد او تقل
حسب مدار الكوكب وسرعته ولكن الحركة واحدة والزمن واحد . ص ٨٤ ،
واخيرا فان وجود زيد الابن مترتب على وجود عمرو الاب ولا يحيل الذهن
مثل هذا الى ما لا نهاية له في الماضي مع التوضيح ص ٨٤-٩٠ ، معنى ان الله
موجد الاشياء بناء على تقسيم الموجودات الى ممكن وواجب ص ٩١ ، توضيح
ابن سينا كيف ان الله فاعل بالارادة على الضد مما يقوله المتكلمون ص ٩١ ،
اقسام الفاعلين عنده ص ٩١-٩٢ ، الله عنده من نوع الفاعل بشعور وتعقل
وعلم تام فليس هو بفاعل مطبوع ص ٩٢ . تفسيره لمعنى «الاول» و «الآخر»
في سورة الحديد بخلاف تفسير المتكلمين ص ٩٣-٩٤ ، آراء متكلمينا ومفكرينا
في تفسير الاول والآخر ، رأى جهم ، معنى افناء الجنة عنده ، نقل الاشعري
لجملة اقوال الناس في معنى الاول والآخر ح ١٥٥ . لفظة «كان» ، «يكون»
تدل على وجود مدة زمنية بينهما ح ١٥٧ . ابن سينا ومعظم فلاسفتنا يرفضون
ان يكون الله وحده اولاً ثم اوجد العالم على اساسين . ص ٩٤ ، هما ١ - لمخالفة
هذا لدليل العلة التامة ومسألة استحالة الترجيح بلا مرجح . ص ٩٥ ،
و ٢ - لان الله نفسه سيكون له بداية زمانية . وهذا هو موقف الرازي
الطبيب ص ٩٦ . الله لا يوصف وصفا زمانيا عند الشهرستاني ص ٩٦ .
الشهرستاني ضعف موقف الشهرستاني وانتهاؤه الى ان الله له بداية زمانية
ص ٩٧ . معنى القديم عند المعتزلة بنقل الاشعري ص ٩٧ . رد ابن سينا على
المتكلمين في «الرسالة العرشية» ص ٨٨ . بهمنيار يمثل ما ذكرناه عن ابن
سينا والفارابي عن قدم العالم وحدوثه . توضيح موقفه في كتابين له ص
٩٩ فما بعد . ملخص موقف فلاسفتنا الفيضيين وخاتمة القسم الاول .
ص ١٠٠-١٠٢ ، صياغة مبسطة لدليل العلة التامة ص ١٠٢ ، معنى استحالة
الترجيح بلا مرجح ص ١٠٣ .

القسم الثاني

الفصل الاول :

نقد المتكلمين لدليل العلة التامة ونتائجه خصوصا مسألة الترجيح
ص ١٠٣-١٢٢ نقاط الاتفاق بينهم وبين الفلاسفة ص ١٠٧ ، نقاط الاختلاف ،

اولاً : عند المتكلمين ان يتقدم الحادث عدم وجوده تقدماً حقيقياً ، اما عند
 الفلاسفة فالتقدم ذهنى . ص ١٠٨ ، معنى الفاعل الحر والمطلق عند الخياط
 والشهرستاني وابن تيمية ح ١٠ . ثانياً عند المتكلمين ان يكون الفاعل حراً ص
 ١٠٨ ، ح ٢ معنى انه حر اى ان يفعل بعد عدم فعل ص ١٠٨ . ثالثاً : ان
 يتأخر المفعول عن الفاعل ص ١٠٨ التعدد في القدم تعدد في الالوهية عند
 المتكلمين ص ١٠٩ ، نقد متأخرى المتكلمين مثل التفتازانى والكستلى لهذا القول
 ص ١٠٩ ، ج ٥ . الله هو الفاعل الوحيد عند المتكلمين ص ١٠٩ ، بعضهم قال انه
 الفاعل المباشر وابطلوا السببية وقالوا بنظرية الخلق المتجدد ص ١٠٩ ،
 ح ٦ ، ٧ ، وبعضهم لم ينكرها ص ١١٠ ، ح ٧ . اكبر مشكلة واجهت المتكلمين
 هى دليل العلة التامة ص ١١٠ ، بعض المتكلمين بعد الغزالى اخذوا بفكرة
 الامكان بدلا من الحدوث ، تقرير التفتازانى عن ذلك ، السباكي ، الطوسى ،
 ابن تيمية يتحدثون عن الطرق عند المتكلمين والفلاسفة للاستدلال على وجود الله :
 ١ - القائلون بان علة الحاجة الى الله هى الحدوث وهم المتكلمون ، ٢ -
 القائلون بان علة الحاجة الى الله هى الامكان وهم الالهيون ، ٣ - القائلون
 بان علة الحاجة الى الله هى الامكان مع النظر الى طبيعة الحركة وهم الطبيعيون
 ح ٨٠ . موقف الغزالى والشهرستاني وفخرالدين الرازى من طريقة الامكان .
 اشارة ابن خلدون الى طريقتى المتكلمين ح ٨٠ . لماذا تحول متأخروا المتكلمين
 من طريقة الحدوث الى الامكان ؟ ص ١١٠-١١٢ . معنى ازلية الامكان :
 وامكان الازلية ح ١١٠ . مواقف مفكرينا من دليل العلة التامة . موقف معظم
 المتكلمين ، موقف ابن تيمية موقف ابو زكريا الرازى واصحاب الهيولى
 ص ١١٢ . شرح موقف المتكلمين ، اجوبته على : لماذا يتأخر فعل الله عنه
 بالزمان مع انه كامل وعلة تامة ؟ ١ - لابد ان يتقدم الفاعل مفعوله بالزمان
 ٢ - لا يوجد زمان قبل خلق الله للعالم ص ١١٤ ، ٣ - رأى الله ان ايجاده
 في زمن معين اصلح ، ٤ - الارادة الالهية ترجح بلا سبب ، ٥ - معارضة
 الصعوبة بصعوبة ص ١١٥ . موقف المتكلمين قبل الغزالى من مسألة لماذا يرجح
 الله ايجاد العالم في وقت معين دون سائر الاوقات ص ١١٥ ، ١ - جواب
 الخياط ص ١٦ ، ٢ - جواب للحسين بن النجار ص ١١٦ ، ٣ - جواب الكعبي
 والماتريدى ، ٤ - جواب الاشعري والاشاعرة . ص ١١٧ . نقل ابن ابي الحديد
 لجواب الاشعري هذا ص ١١٨ ، نقل الشهرستاني له ص ١١٨ ، جواب
 الاشعري سبقه اليه يحيى النحوى واوغسطين ص ١١٨ ، نقد هذه الحلول
 جميعاً . اولاً نقد حل النجار ص ١١٩ ، ثانياً نقد جواب الاشعري ص ١١٩ ،

ثالثاً نقد جواب الخياط ، نقد فخر الدين الرازي لجواب الخياط ص ١٢٠ .
رابعاً نقد جواب الكعبي والماتريدي ص ١٢١ ، الماتريدي والكعبي يقولان
بالخلق من عدم في زمان ص ١٢١ ، المعتزلة حرب على القائلين بقدم العالم
ص ١٢١ ، القول بعدم وجود زمان العالم مع العالم قبل وجود زمان الله لا يعنى
ان الزمان الذى هو مدة وجود الله الدائم لا يتقدم وجود العالم ص ١٢٢ ، موقف
الغزالي ليس فيه اصالة ، فضل الغزالي انه نظم اقوال من سبقه من متكلمين
وفلاسفة ص ١٢٢ . ح ٢٢ ، ٤٣ .

موقف الغزالي بصورة عامة ص ١٢٣-١٢٩

الفصل الثانى :

اجمال موقف الغزالي من قدم او حدوث العالم ودليل العلة التامة
والترجيح في ست نقاط ص ١٢٣ ، او اربع مسائل ص ١٢٣-١٢٤ : ١ - موقف
الغزالي من مسألة الفاعل ، لا بد من قصر «الفاعل» على الفاعل المختار لا
المطبوع ، على العكس من ابن سينا ، وموقف الطوسى والرازي ص ١٢٤ ،
٢ - مسألة العلة التامة والمرجح ، اختياره لجواب الاشعرى السابق ص ١٢٥ ،
معارضته الفلاسفة في القطبين ومسألة تعيين جهة حركة الافلاك ، واظهار ابن
رشد والرازي والطوسى لضعف هذه المعارضة ، استصعاب الشهرستاني
لمشكلة العلة التامة ، تخبطه في الجواب ص ١٢٥ ، تخبط فخر الدين الرازي
كذلك معارضة الفلاسفة بمسألة القطبين في بعض كتبه مع انه يضعف احتجاج
الغزالي بها في مناظراته ص ١٢٦ . نقد الطوسى للرازي ص ١٢٦ . الغموض
في موقف الشهرستاني والرازي ، ايدان بمرحلة جديدة دخلها علم الكلام
ضمن مرحلة الانعطاف نحو الفلسفة ص ١٢٦ .

٣ - موقف الغزالي من فكرة الزمان : ليس في موقف الغزالي اية جدية
ولا في موقف من تلاه من المتكلمين ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٤ - موقفه من مسألة
التسلسل الى ما لا نهاية ، سبق متكلمى القرن الثالث والكندى له في هذه
المسألة ، ص ١٢٧ الهدف من اثبات تنهاى الحوادث اثبات فاعل قديم ، واثبات
احدى مقدمات دليل الحدوث المشهور ص ١٢٧ واستخدام لابطل قول الفلاسفة
بحواث لا نهاية لها وحركات فلكية لا نهاية لها ص ١٢٧ ، توضيح قول
الفلاسفة هذا اى مسألة اتصال حادث بقديم ص ١٢٨ ، و ح ١٥ . موقف
الشهرستاني والرازي والطوسى ، ونقد الكاتبى للطوسى ص ١٢٨-١٢٩ .
١٢٨-١٢٩ .

القسم الثالث ١٣٣-٢٥٤

موقف الغزالي التفصيلي من ادلة الفلاسفة الاربعة على

قدم العالم ص ١٣٣

الفصل الاول :

دليل العلة التامة وموقف الغزالي منه . ص ١٣٤-١٦٢ .

نص الدليل كما يورده الغزالي ص ١٣٤ ، اعتراضات الغزالي ، (الاعتراض الرئيسي الاول) على هذا الدليل ص ١٣٤ ، نقد ابن رشد الاول لاعتراض الغزالي ص ١٣٥ ، الدرجات الثلاث التي يتم بها الفعل عند ابن رشد ص ١٣٦ ، ارادة الله موجبة لمرادها عند ابن رشد ح ١٨ . جواب الفلاسفة على اعتراض الغزالي الاول ص ١٣٦ . جواب الغزالي على اعتراض الفلاسفة باعتراضات سوفسطائية ص ١٣٧ ، ما المقصود بالمعروف بنفسه ؟ ص ١٣٧ . اعتراض الغزالي على قدم العالم بالزمان على اساس مقارنة دورات فلك الشمس بفلك زحل ص ١٣٧ ، صياغة اخرى لنفس الاعتراض يقدمها الغزالي على اساس ان الاعداد اما شفيع او وتر ص ١٣٨ ، ورود هذين الاعتراضين في كتب الغزالي الكلامية الاخرى ص ١٣٨ ، المحالات التي تترتب على القول بقدم العالم بالزمان في رأى الغزالي ص ١٣٨ ، استمرار الجدل بينه وبين الفلاسفة على اساس الشفع والوتر ودورات الافلاك المتفاوتة ص ١٣٩ . احتجاج الغزالي بقول الفلاسفة بنفوس الادميين المفارقة على تجويزهم وجود افراد لا نهاية لها مجتمعة كلها في الوجود ص ١٣٩ ، رأى في المسألة ، ١ - توضيحات تاريخية ، احتجاج الغزالي بدورات الفلك سبقه اليه سعديا الفيومي وابن حزم ص ١٤٠-١٤١ ، يحيى النحوى مصدر محتمل لهؤلاء جميعا ، البيهقي ينص على ان اكثر ما اورده الغزالي في التهافت هو تقرير كلام يحيى النحوى ص ١٤١ ، اشارة كثير من المستشرقين والعرب الى هذه الحقيقة . يحيى النحوى ورده على بروقلس استشهداد بدوى ببعض ما يقول يحيى النحوى على اخذ الغزالي عنده ص ١٤٢-١٤٣ ، ح ٣٦-٣٤ . قول صاحب كتاب «المقترح» عن احتجاج يحيى النحوى ببطلان التسلسل على حدوث العالم بالزمان ص ١٤٣-١٤٤ ، ٢ - الاحتجاج بالشفع والوتر وبالذورات يقوم على خطأ ص ١٤٤ ، ٣ - توضيحات تبين معنى قول ابن سينا بلا تناهى النفوس وحدوثها ص ١٤٤ ، ح ٤٠ ، نقد ابن رشد للغزالي : انه ينزل اللامتناهي متناهيا ص ١٤٥-١٦٠ ، مثال يوضح غلط الغزالي في مقارنة دورات الشمس بزحل واستنتاجه من ذلك

بداية الحركة والزمان ح ٤١ ، معنى قول ابن رشد في نصه السابق ص
 ١٤٧-١٤٦ : انه ليس للحركتين الكليتين نسبة لكون كل منهما بالقوة
 ح ٤٢ ، توضيح ابن رشد لمسألة لماذا قال الفلاسفة بقدّم الاجناس والانواع
 وعدم تناهي افراد كل جنس ونوع وعلاقة ذلك بقولهم بقدّم العالم بالزمان
 ص ١٤٨-١٤٩ ، توضيحي لهذه المسألة ، موقف المتكلمين من المسألة ح ٤٣ ،
 تفصيل ابن رشد للاراء في قدّم او حدوث الاجناس ح ٤٤ ، نقد ابن رشد
 للمتكلمين بقولهم بقدّم الفاعل وحدث فعله او مفعوله ص ١٤٩ ، قول ارسطو
 بقدّم الحركة الكلية للعالم وقدّم العناصر ص ١٥٠ ، توضيح ابن رشد
 وتوضيحي لقول ارسطو وفلاسفتنا بقدّم حركة الافلاك وعلى ضوئها تنضح
 مسألة الشفع والوتر ح ٤٦ (من ص ١٥٠-١٥٤) ، غلط يحيى النحوى والمتكلمين
 والفارابى وابن سينا وابن الصائغ في فهم قول ارسطو السابق ح ٤٦ (ص ١٥٢
 منها) ، (و ص ١٥٤ منها) ، ادلة المتكلمين لا تبلغ مرتبة اليقين ص ١٥٥ ،
 افضل جواب على اقوالهم باستحالة دخول ما لا يتناهى من الافراد في الوجود
 هو بالاحتجاج بوجود الله ص ١٥٥-١٥٨ ، ح ٤٨ ، سبق ثابت بن محمد
 الجرجانى لابن رشد في هذا الردح ٤٨ ، رد ابن رشد على احتجاج الغزالي
 بالشفع والوتر ص ١٥٦ ، توضيحي كيف ان قول الغزالي : ان العدد اما شفع
 او وتر هو مصادرة على المطلوب وانزال لما لا يتناهى كمتناه ح ٥٠ ، موقف ابن
 رشد من احتجاج الغزالي بمسألة النفوس ، دفاعه عن ابن سينا بانه في رأيه
 في النفس يريد ارضاء الجمهور ص ١٥٨ ، توضيح اسباب قول ابن سينا بخلود
 النفوس الفردية بدون اجساد وهيولى ح ٥٢ ، قول ابن رشد : انه لو وجدت
 اشياء بالفعل لا نهاية لها لكان الجزء مثل الكل ص ١٥٩ ، توضيح هذا
 القول ح ٥٤ ، استناد هذا القول على حجج زينون في ابطال الحركة والكثرة
 ح ٥٤ ، عبدناقاهر البغدادى يوضح المسألة بمثال الجبل والخردلة في رده على
 ابراهيم النظام المعتزلى ح ٥٤ ، جواب الفلاسفة على احتجاج الغزالي بدورات
 الافلاك والشفع والوتر ، على اساس انه بين الله ووجود العالم اما مدة
 متناهية فيكون الله متناهيا او غير متناهية فيثبت ما احاله المتكلمون اى
 انقضاء ما لا يتناهى ص ١٦٠ ، جواب الغزالي : الزمان مخلوق مع العالم
 فلا مدة بين الله والعالم ص ١٦٠ ، موقف ابن رشد مؤيد لموقف الغزالي ص ١٦٠ ،
 غلط الغزالي وابن رشد معا ص ١٦١ ، تعديل ابن رشد على جواب الفلاسفة
 ص ١٦٢ .

الفصل الثاني : ص ١٦٢-١٩٢ .

اعتراض الفلاسفة على قول الغزالي بان الارادة هي التي تخصص وقتنا للايجاد دون سائر الاوقات ، بان هذا غير ممكن ص ١٦٣ ، جواب الغزالي : الارادة تميز الشيء عن مثله وهذا طبعها ص ١٦٣ ، الغزالي يوضح اقوال الناس في الارادة : ١ - قول الفلاسفة ، ٢ - قول المعتزلة ، ٣ - قول الكرامية ، ٤ - قول الاشاعرة والغزالي ص ١٦٥ ، نقده لحل الفلاسفة ص ١٦٥ نقده لحل المعتزلة ص ١٦٦ ، نقده لحل الكرامية ص ١٦٦ ، توضيح الحل الذي ارتضاه ص ١٦٦ ، جواب الفلاسفة : ان القول بالمثلين مستحيل ص ١٦٧ ، قول زادة بما يؤيد ما اذهب اليه ح ١١ ، الغزالي يفهم خطأ ان الفلاسفة يقولون بالمثلين وينتقدهم على هذا الاساس ص ١٦٧ ، اساس رده عليهم يقوم على اعتراضين : الاول ان التمييز بين المثلين ممكن لارادتنا ، والثاني : ان الخصوم يجيزون ان تميز الارادة بين المثلين في مسألتى القطبين والحركة المشرقية والمغربية ص ١٦٨ ، ملاحظات حول اقوال الغزالي : اولا مسألة التخصص والجواز استعارها الغزالي من متكلمي القرن الثالث وهي موجودة قبل الجويني بخلاف ما يرى ابن رشد والشهرستاني وونسنك ، وقبل الباقلاني بخلاف ما يرى ماجد فخري ، ١٦٩ فما بعد ، قول الاشعري بها ص ١٧٠ ، ح ١٥ ، قول الماتريدي بها ص ١٧١ ، قول الباقلاني ، قول ابي هاشم والجبائي بها ص ١٧٢-٧١ . ثانيا : مسألة القطبين والحركات المشرقية والمغربية اثرت قبل الغزالي ، ابن سينا يتحدث عنها مع الاجوبة ص ١٧٢ ، ح ٢٣ ، المسألة اصلها ارسطو ص ١٧٣ ، انتباه ابن حزم لها ص ١٧٣-٣٧٤ . اجوبة ابن رشد والفلاسفة على هذه الاشكالات الغزالية ، ١ - جواب ابن رشد على اعتراض الغزالي الاول (عن الارادة وتخصيصها للمتماثلات) : ان الايجاد وعدم الايجاد ليسا مثلين بل متقابلين ، والايجاد ازلا خير من عدم الايجاد ص ١٧٥ ، ح ٣٠ ، ٣١ ، ٢ - لا يوجد مثلان ابدأ ص ١٧٦ ح ٣٥-٣٦ . جواب الفلاسفة على قول الغزالي بالارادة المخصصة لذاتها وعلى المحركات والقطبين ص ١٧٧ ، جواب الفلاسفة مرتبط بعرض فلسفتهم الطبيعية ص ١٧٨ ، ح ٤٢ ، استمرار النقاش بين الغزالي والفلاسفة ص ١٧٨ ، جواب ابن رشد على اعتراض الغزالي الثاني (مسألة القطبين والحركات المشرقية والمغربية) وفيه يعرض موجزا لفلسفة الفارابي وابن سينا وارسطو الطبيعية ص ١٧٩ ، حاصل الجواب : ان اختلاف وتعدد الحركات الفلكية ضروري لتكون وتفسير تكون اجسام العالم الارضى واستمرار العملية ص ١٨٠ ، تفسير لماذا يكون للفلك مواضع

هي اقطاب بالطبع على اساس العالم حيوان حتى ص ١٨١-١٨٥ ، معنى الحركة المستقيمة ح ٥١ ، اعادة فلاسفتنا لنظرية ارسطو ان الله محرك كعلة غائية ص ١٨٣ ، ج ٥٣ ، مقارنة مشكلة : لماذا اختلفت الحركة المشرقية والمغربية بمشكلة لماذا تتحرك النار الى اعلى وغيرها ص ١٨٤ ، ابن سينا يواجه نفس المشكلة ويقدم نفس الحل ح ٥٤ ، موقف ابن رشد وتوما الاكويني من نفاة السببية الطبيعية ح ٥٤ ، توزع فلسفة ابن رشد الطبيعية في كتبه المتفرقة ص ١٨٦ ، نصوص اخرى يقدم فيها ابن رشد حل ارسطو لمسألة القطبين والحركات المشرقية والمغربية ص ١٨٦-١٨٧ ، ١٨٨ ، الدليل على ان الجرم السماوي متنفس حتى ، دليل الاسكندر الافرويسى ح ٥٦ ، اهمية تفسير ابن رشد هذا ، قربه من نظرية الجاذبية او سواها من حيث الجوهر ص ١٨٩ عدم استبعاد فلاسفتنا لفكرة الجاذبية او نظرية انشتاين ص ١٩٠ ، نصوص صريحة تدل على قولهم بنظرية كوبرنيكوس ونسبة ذلك الى الفيشاغورين ح ٦٣ ، نص آخر لابن رشد في نفس المنحى ص ١٩٠-١٩٢ ، ابن رشد يقول بنظرية بطليموس ح ٦٩ .

الفصل الثالث : اعتراض الغزالي الرئيسي الثاني على دليل العلة النامة :

ص ١٩٣-٢٠٤ .

وجه اعتراض الغزالي : لابد للفلاسفة ان يقولوا بصدور حادث عن قديم ص ١٩٣ ، مناقشة اعتراض الغزالي ، ١ - ان لتسلسل يؤدي الى قدم حادث من جنس الحوادث لا الله ص ١٩٣ ، ٢ - وقوف التسلسل عند قديم هو الله يقتضى قدم العلة والمعلول او حدوثهما معا بالزمان ص ١٩٣-١٩٤ ، ٣ - دليل التسلسل يقتضى قدم سلسلة المحدثات بالجنس ، نتائج هذا الفرض ص ١٩٤-١٩٥ ، رسم يوضح علاقة الله بالمحدثات وقدم الحوادث ككل في مذهب الفلاسفة ، رسم آخر يوضح علاقة الله بالمحدثات وحدوث الكالم ككل في الزمان عند المتكلمين ص ١٩٦ ، جواب الفلاسفة على اعتراض الغزالي : عدم استبعاد صدور حادث عن قديم ولكن على اساس ان جنس الحوادث قديم ص ١٩٧ ، اعتراض الغزالي على ذلك : الحركة الدورية ان كانت ازلية كيف صارت مبدأ للحوادث وان كانت حادثة افتقرت الى حادث آخر وتسلسل ص ١٩٧ ، تحليل جواب الغزالي هذا ، هذا القول مصادرة على المطلوب ، توضيح ذلك بامثلة ، المثال الاول : بافتراض حركة دورية ازلية مثل الشمس تدور وتقترب او تباعد من الارض فيحدث عنها فصول ونباتات والخب . وحوادث كثيرة متجددة متعاقبة ، فها هنا حوادث تصدر عن تقديم

ص ١٩٨ ، المثال الثاني : تكون الماء بخارا وبالعكس ١٩٩ ، جوهر هذا القول ان انماة والزمان ازليان ، عدم مخالفة هذا للفيزياء الحديثة ص ١٩٩ تعديل في موقفهم ص ١٩٩ ، المثال الثالث : مثال جسم يتحرك حركة ازلية دائرية ص ٢٠٠-٢٠١ ، موقف ابن رشد من اعتراض الغزالي السابق ص ٢٠١ ، مفاد الاعتراض ان الفلاسفة يقولون بقدم الجنس وحدوث كل مفرد ص ٢٠٢-٢٠٣ الجهة التي من قبلها ادخل القدماء في الوجود موجودا ازليا محركا غير متحرك ص ٢٠٣ ، بيان ان اعتراض الغزالي سوفسطائي ص ٢٠٤ ، سؤال الغزالي عن : هل الحركة ثابتة ام متحركة مغالط ، ومقارنته بقول هرقليطس : ان كل شئ يتغير الا التغير ص ٢٠٤ .

الفصل الرابع : دليل الفلاسفة على قدم العالم على اساس الزمان

ص ٢٠٥-٢٢٤ .

صيغة اولى ص ٢٠٥-٢١٧ ، رواية الغزالي لحجة الفلاسفة على قدم العالم على اساس القبل والبعد ص ٢٠٥ تعديل لنص الدليل ح ١ ، نقدي لهذه الحجة انها لا تفيد الطرفين ح ٤ ، جواب الغزالي : الزمان مخلوق مع العالم وتصور زمان قبل بدء العالم من عمل الوهم مثل تصور خلاء او ملاء خارج العالم ص ٢٠٦ صور اخرى للدليل عند ابن سينا ح ٥ ، سبق متكلميها للغزالي في هذا الجواب ، الفيومي واوغسطين ويحيى النحوى سبقوا الغزالي اليه ، نصوص اقوالهم ، حجج هؤلاء جميعا تقوم على نفس منطق ارسطو والافروديسي وابن سينا القائل بتلازم الحركة والجزم والزمان ح ٦ ، موقف ابن رشد ، تأييده لقول الغزالي : ان الله ليس في زمان ص ٢٠٧-٢٠٨ ، قول الغزالي ان تصور زمان قبل العالم من عمل الوهم ومقارنته بالمكان سبقه اليه سعديا الفيومي ، نص كلام سعديا ح ٧ ، ولعله اخذه من يحيى النحوى ح ٧-٧ القول ان الله ليس في زمان هو قول ارسطو ، ابن سينا يكرر هذا ، قول المتكلمين به وشيوخ المعتزلة والباقلاني وابن حزم قبل الغزالي ح ٨ (٢٠٩ - ٢١٠) قول الغزالي والمتكلمين واوغسطين والنحوى : انه لا يوجد زمان قبل العالم ، قول غلط ح ٩ ، توضيح ابن رشد ان العالم لا يمكن ان يتأخر عن الله بالزمان ردا على الغزالي ص ٢١٠ ، جواب الفلاسفة على الغزالي : لا بد من تصور زمان بين الله وبين العالم اللاحق في الوجود ص ٢١٠ ، تعديل ابن رشد لدليل الفلاسفة السابق ص ٢١١ ، معنى «كان» لغويا ورأى كيار لغويينا القدامى فيها ح ١١١ جواب الغزالي وحاصله في نقطتين ١ - : توهم الزمان في الماضي من عمل الوهم ص ٢١١ ، ٢ - مقارنة تصور امتداد زمانى (القبل

والبعد) بتصور امتداد مكاني (الفوق والتحت) ص ٢١٢ ، جواب الفلاسفة:
هذه الموازنة معوجة ، بيان ذلك ص ٢١٢ ، جواب الغزالي بمقارنة القبسل
والبعد بالوراء والخارج بدل الفوق والتحت ح ٢١٢ ، موقف ابن رشد : ما
يمكن ان يتحرك فحركته ازلية والا صار الممكن ممتنعا ص ٢١٣ ، الحادث
الزمني هو اجزاء العالم لا العالم ككل ح ١٨ ، تضعيف ابن رشد لجواب
الفلاسفة على مقايضة الغزالي للزمان بالمكان ص ٢١٤ ، جواب الغزالي
سوفسطائي ص ٢١٤-٢١٧ استناد فلاسفتنا على فكرة الممكنات وحدها لا يعطى
قدم الزمان والحركة اذا لم نربط الامكان بفكرة العلة التامة او القوة
والفعل ح ١٩ .

صياغة ثانية لدليل الفلاسفة على قدم الزمان ص ٢١٧-٢٢٤ ، المسألة
هي : هل يجوز وجود فترة زمنية بين الله الازلي وبين العالم اللاحق ، ملخص
موقف الفرقاء : الفلاسفة والغزالي وابن رشد ص ٢١٧-٢١٩ ، حجة الفلاسفة
برواية الغزالي : ممكن تصور ازمنا دائما قبل زمان العالم ص ٢١٩ ، الحجة
كما يذكرها ابن سينا ح ٢٨ ، جواب الغزالي عليها : تصور زمان قبل بدء
العالم من عمل الوهم ص ٢١٩-٢٢٠ جواب الغزالي : ١ - وجود العالم اكبر
مما هو ليس مستجيلا كجمع السواد والبياض ، ٢ - اذا كان لا بد من وجود
العالم بهذا الكبر فهو واجب لا ممكن ، ٣ - كما يستحيل وجود العالم اكبر
مما هو عليه كذلك نقول يستحيل وجوده قبل زمن وجوده الحالي ص ٢٢٠-
٢٢١ ، موقف ابن رشد ، يجوز تزايد العالم في الكبر لو جاز وجود جسم لا
نهائي ص ٢٢١-٢٢٢ ، ارسطو ينص على ذلك ح ٢٦ ، رده على اعتراض الغزالي
بالسواد والبياض ص ٢٢٢ ، جواب ابن رشد على اعتراض الغزالي
الثاني : الضروري يجوز ان يكون له فاعل وعكس ذلك رفع للحكمة ونفى
للسببية كما هو رأى الاشعرية ص ٢٢٣ ، جوابه الثالث : الممكن يقابل الممتنع
لا الواجب ص ٢٢٣-٢٢٤ .

الفصل الخامس ص ٢٢٥-٢٢٩ .

دليل الفلاسفة الثالث على قدم العالم وموقف الغزالي وابن رشد منه ،
ملخص الموقف بين الاطراف المعنية ص ٢٢٥ ، المسألة هي : هل ازلية
الامكان تعنى امكان الازلية ؟ الفلاسفة يجيبون : نعم والمتكلمون الاوائل :
لا ، موقف ابن رشد : القول بقديم الاجناس وحدوث كل مفرد ، او القول
بعوالم لا نهائية متعاقبة كل منها حادث بالزمان ، ابو البركات يأخذ به ،
وكذلك ابن تيمية ، التفتازاني وزادة والدواني يضعون هذا الحل في حسابهم ،

هذا الحل لا ينقذهم من نتائج دليل العلة التامة ، ص ٢٢٥ ، حجة الفلاسفة
ينقل الغزالي ، ازلية الامكان تعنى امكان الازلية ص ٢٢٦-٢٢٧ ، جواب
الغزالي : العالم اذا قدر موجودا ابدا لم يكن حادثا ص ٢٢٦-٢٢٧ ، موقف
الغزالي هذا مصادرة على المطلوب ح ٢ ، حجة الفلاسفة اعلاه بنص ابن سينا
ح ٤ ، موقف ابن رشد : ازلية الامكان تستوجب امكان الازلية ص ٢٢٧ ،
كيف يمكن تصور قدم العالم بالزمان بصورتين ص ٢٢٧-٢٢٨ استنادا ابن
رشد على ارسطو في قوله بوجود امكان الازلية ص ٢٢٧ ، ح ٥ ، الادلة على
وجود الله بحسب الطرق الثلاث ح ١٠ .

الفصل السادس : دليل الفلاسفة على قدم العالم المستند على قدم الامكان لاثبات

قدم الهيوئي ص ٢٢٩-٢٥٤ ، اجمال هذا الدليل وموقف الاطراف المعنية
منه ص ٢٢٩ ، معنى الحادث عند الفلاسفة واين رشد ص ٢٢٩ ، معنى الامكان
الجزئي وانه يساوى القوة او الامكان كند ارسطو ، الغزالي في رده يخلط
بين هذا الامكان والامكان العام للعالم ص ٢١٩-٢٤٠ ، تفاصيل النقاش ،
حجة الفلاسفة على قدم الامكان او المادة لكل حادث زماني ص ٢٣٠-٢٣٤ متن ،
معنى سبق المادة للحادث ح ١ ، معنى قول الدليل : « فاذن امكان الوجود
حاصل له قبل وجوده » ح ٢ ، معنى قول الدليل : « وامكان الوجود وصف
اضافي » وانه يراد به الامكان الارسطي لا الذهني ح ٣ ، معنى قول الدليل :
« والمادة لا يكون لها مادة » وانه يعتمد على دليل ارسطو على قدم المادة ح ٤ ،
قول الدليل : « والمادة لا يكون لها مادة » : يقوم عند اليونان على بديهية قدم المادة ،
انفصال فلاسفتنا الفيضيين عن ارسطو في هذه المسألة وتوضيحه ح ٥ ، ٧ ،
الامكان الذى للعالم ككل عند فلاسفتنا ذهنى ومن هنا ينفصلون عن الاخذين
بفكرة الامكان من متأخري المتكلمين ح ٢ : نص الدليل الذى يورده الغزالي على
لسان الفلاسفة في كتب ابن سينا ح ٩ ، جواب الغزالي : الامكان عقلي : ١ -
وكما لا يستدعى الامتناع شيئا يضاف اليه فكذلك الامكان ، ٢ - الاحتجاج
بالسواد والبياض ، ٣ - نفوس الادميين عند ابن سينا امكانها قبل وجودها
الى اى شىء يضاف ؟ ص ٢٣٤-٢٢٥ ، جواب الفلاسفة على الاحتجاجات الثلاثة
اعلاه ٢٣٥-٢٣٦ ، بيان (رأى ابن سينا في النفس) النفس عنده تفيض من
العقل الفعال وفقا لشيء قريب من نظرية التطور عند دارون ، النفوس ازلية
كجنس ولكنها حادثة كمفرد ، نصوص من كتبه المختلفة ، توضيح مسألة
النفس في نظرية الفيض ، نصوص مطولة عند ابن رشد تساعد على ما
اذهب اليه ح ١١ (ص ٢٣٦-٢٤٠) ، جواب الغزالي على ردود الفلاسفة الثلاثة

السابقة على اساس ان الامكان والكليات موجودات ذهنية صرفة ، مسألة الصلة بين العلم والمعلوم ، قول جهم بحدوث علم الله لثلاثي ثبوت قدم المعلومات ح ١٢ ، خطأ الغزالي في فهم رأى ارسطو وابن سينا للكليات . توضيح قولهما ، غلو الغزالي انه تصور ان الكليات والامكان عندهم موجودات ذهنية صرفة ، مسألة الكليات عند افلاطون ، ارسطو ، المدرسة الاسمية ، والمدرسة الواقعية ، توضيح رأى افلاطون ، توضيح رأى ارسطو . ح ١٢ (ص ٢٤٠-٢٤٢) . احتجاج الغزالي بشريك الله على انه ليس مضافا الى مادة ص ٢٤٢ ، تصريح الغزالي بأنه لا ينتصر لمذهب بل هدفه تكدير مذهب الفلاسفة . ص ٢٤٣ . الغزالي في «قواعد العقائد» لا يأتي بجديد على العكس مما يعد في التمهافت ص ٢٤٣ الغزالي في كتبه «المظنون بها على غير اهلها» فيضى . ص ٢٤٣ ، ابن العربي وابن تيمية وابن طفيل وابن رشد وابن الصلاح يقررون ان الغزالي ينتمى الى الفلاسفة . ص ١٥ . موقف ابن رشد من احتجاج الغزالي بالسواد والامتناع . ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ . رأى في دليل الامكان وفي موقف الغزالي وابن رشد منه ص ٢٤٥-٢٤٧ . التأكيد على غلو الغزالي لانه يفهم من الامكان غير ما يفهم خصومه ولذلك فجعله معهم في هذه المسألة عقيم . ضرورة التفريق بين الامكان الجزئى الارسطى والامكان المطلق والعام للعالم ككل . الفلاسفة يقصدون الامكان الجزئى الذى يقابل الامتناع الجزئى ، وكلاهما ممتنع او ممكن باختلاف الاعتبارات . ص ٢٤٥-٢٤٧ . عودة الى موقف ابن رشد حول مسألة السواد . ص ٢٤٧-٢٥٣ . توضيحي لمسألة السواد والامكان الجزئى ح ٢ (ص ٨) . النتائج المترتبة على هذا التمييز ح ٢٠ معنى قول الفلاسفة ان مبادئ الموجودات الطبيعية الهيولى والصورة والعالم ح ٢١ ، ٢٢ . (ص ٢٤٩-٢٥٠) . غلط ابن رشد في فهمه لفكرة المعلوم عند المعتزلة ص ٢٥٠-٢٥١ . توضيح هذا الغلط ح ٢٢ . موقف ابن رشد من الكليات ، وتوضيحه لرأى ارسطو وافلاطون فيها ص ١٥٢-١٥٣ ، ح ٢٩ . تقرير ابن رشد ان الغزالي منسوب في العلوم الالهية الى الفلاسفة ص ٢٥٣ . ختام الكتاب والوعود باستئناف الحوار في كتاب ثان . ص ٢٥٤ .

- ۱۴۱ ، ۱۴۴ ، ۱۴۵ ، ۱۴۹-۱۵۵ ، بدوی : ۱۸ ، ۱۱۲ ، ۱۱۸ ، ۱۴۲ ،
 ۱۷۳ ، ۱۸۰ ، ۱۸۴ ، ۱۸۶ ، ۱۸۷ ، ۱۴۳ ، ۲۴۲ ،
 ۱۹۵ ، ۱۹۸ ، ۱۹۹ ، ۲۰۲ ، ۲۰۸ ، برغ (فان دین) : ۲۰ ، ۲۵ ، ۵۱ ،
 ۲۰۹ ، ۲۱۵ ، ۲۲۲ ، ۲۲۷ ، ۲۲۹ ، ۹۶ ، ۱۴۰ ، ۱۷۳ ، ۲۰۸ ، ۲۰۹ ،
 ۲۳۰ ، ۲۳۱ ، ۲۳۲ ، ۲۳۴ ، ۲۳۷ ، برنیت : ۲۰۴ ،
 ۲۴۱ ، ۲۴۲ ، ۲۴۴ ، ۲۵۰ ، ۲۵۱ ، بطليموس : ۱۹۲ ،
 ۲۵۲ ، البلخی : ۹۴ ، ۱۱۰ ،
 اسحاق بن حنین : ۱۴۲ ، بنس : ۱۰ ، ۱۱ ، ۲۳ ،
 اسفرائینی : ۱۰۸ ، ۱۱۷ ، بهنمیار (این المرزبان) : ۹۹ ، ۱۰۳ ،
 اسکافی : ۲۰ ،
 اسواری : ۲۰ ،
 اشعری : ۳۰ ، ۳۱ ، ۵۹ ، ۷۹ ، ۹۴ ، بویج : ۹۶ ، ۱۲۸ ،
 ۹۷ ، ۱۱۶-۱۱۹ ، ۱۲۵ ، ۱۳۵ ، البیهقی : ۱۴۱ ، ۱۴۳ ،
 ۱۶۳ ، ۱۷۰ ، ۲۰۹ ، التفتازانی : ۱۰۹-۱۱۱ ، ۲۲۵ ،
 اصفهانی : ۳۹ ،
 افروڈیسی : ۱۱۲ ، ۱۸۶ ، ۲۰۸ ، ۲۴۰ ،
 افلاطون : ۵ ، ۷ ، ۱۰ ، ۱۳ ، ۱۸ ،
 ۱۹ ، ۲۰ ، ۲۸ ، ۳۱ ، ۳۹ ، ۶۳ ،
 ۶۶ ، ۹۷ ، ۱۴۴ ، ۱۴۵ ، ۱۵۲ ،
 ۱۵۵ ، ۱۵۸ ، ۲۱۵ ، ۲۳۶ ، ۲۴۱ ،
 ۲۴۲ ، ۲۵۲ ،
 افلوپین : ۷ ، ۱۱ ، ۱۷ ، ۱۸ ، ۲۹ ،
 ۳۱ ، ۱۱۰ ،
 انشتاین : ۱۸۴ ، ۱۸۹ ،
 انکساغوراس : ۶۳ ،
 اهوانی : ۲۰۴ ،
 اوریجین : ۲۹ ،
 اوغسطين : ۱۱۸ ، ۲۰۷ ، ۲۱۰ ،
 (ب)
 الباقلائی : ۱۱۰ ، ۱۱۷ ، ۱۶۹ ، ۱۷۰ ،
 ۲۰۹ ،
 بدران (محمد فتح الله) : ۱۰۸ ،
 (ج)
 حسن قیسی : ۲۳ ،
 حسین محفوظ : ۲۳۶ ،

زكريا بن محمد بن محمود (القزويني) :
• ١٩٠

• زكي الكردي : ١١٧
• الزمخشري : ٢١١

• زينون : ١٢ ، ٢٢-٢٤ ، ١٦٠

(س)

• السجستاني : ١٠١

• سعديا (القيومي) : ٨٢ ، ١٠٨ ، ١١٠ ،
• ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨

• سعيد زايد : ١٢ ، ٦٠

• سليمان دنيا : ١٢ ، ١٠٣

• سقراط : ٥ ، ٦٣ ، ٨٧ ، ٢٠٤

• سمبليقوس : ٢٠٧

• السهروردي : ٣٨ ، ١١٢

• سيبويه : ٢١١

• سيفي ديدرنغ : ٩٣

(ش)

• شهاب الدين يحيى بن الحبش : ١١٢

• الشهرستاني : ٧ ، ٢٥ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٧ ،

• ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٧ ،

• ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٤٢ ،

• ١٦٩ ، ١٧٠

(ط)

• الصادق (ابو عبدالله جعفر) : ٩٤

• الطوسي : ٢٥ ، ٤٨ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ -

• ٧٧ ، ٨٠ ، ١١٢ ، ١١٥ - ١١٨ ، ١٢٠ ،

• ١٢٤ - ١٢٦ ، ١٢٩

(ع)

• عباد بن سليمان : ٩٧

• عبدالصمد شرف الدين : ١٠٨ ، ٢٤٤

• عبدالرحمن مرجبا : ١٨٩

• الحمصي (عبدالمسيح) : ١٩

• حمودة غرابية : ١١٧

• حنين بن اسحاق : ١٨

(خ)

• الخياط : ٢٠ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٦ ،

• ١٢٠

(د)

• الدميري : ١٩٠

• دنلوب : ٣٦

• الدواني : ٧ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٣٣ ، ٢٢٥

• ديتريشي : ١١ ، ١٢ ، ٢١

• دي غوية : ١٨

(ذ)

• ذو الرمة : ٧٣

(ر)

• الرازي (ابو زكريا) : ٧ ، ١١ ، ٢٥ ،

• ٣٩ ، ٥٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،

• ١١٠ ، ٢١١ ، ٢١٥

• الرازي (فخر الدين) : ٢٠ ، ٧٢-٧٥ ،

• ١٠٣ ، ١١١ ، ١١٥-١٢٠ ، ١٢٤ -

• ١٢٧ ، ١٣٣

• الرازي (محمد بن ابي بكر) : ٣٩

• الراغب : ٢١١

• رتر : ٩٤

• رشيد رضا : ٥٠

• روسي : ١١ ، ٥١

(ز)

• زادة : ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ،

• ١٢٠ ، ١٣٣ ، ٢٢٥ ، ٢٥٤

• الزبيدي : ٣٩

• الزركلي : ٣٠ ، ١٠٤

عبدالقاهر (البغدادي) : ٨ ، ٢٠ ، ١٠٨ ،
١١٧ ، ١٢١ ، ١٦٠

(ك)

الكاتبى (نجم الدين) : ١٢٩
كراوس (بول) : ١١
كروم (يوسف) : ١١ ، ٤٠ ، ٢٤٢

كستلى : ١٠٩-١١١

الكعبى : ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٧

كوييفر : ١٢٧ ، ١٧٠

كندى : ١٩ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ١٢٧

١٥٧ ، ٢٠٨

الكوثرى (محمد زاهد) : ١١٠ ، ١٧٠

كوربان (هنرى) : ٢٣ ، ١١٢

(ل)

لوسيانى : ١٠٨ ، ١٧٠

(م)

ماتريدى : ١٠٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢١

١٧٠ ، ١٧١

محمد ابو الفضل ابراهيم : ١١٧ ، ١١٨

٢١١

محمد بن شبيب : ١٢٧

محمد بن عبدالوهاب : ١٧٢

محمد بدر : ١٠٨

محمد حسين آل ياسين : ١٢٩

محمد زيدان : ٩

محمد عبده : ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١١٤

١٣٣

مدكور (ابراهيم) : ٣١

المراكشى (محمد بن عبدالله) : ٢١١

المدنى : ١١٦

(غ)

الغزالى : ٧ ، ٨ ، ١٢ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٥

٣١ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٣

٨٢ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١١٠-١٢٥

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٣-١٤٦ ، ١٥٦ ، ١٥٩

١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥-١٦٨

١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٥

١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠-٢٠٧

٢٠٩ ، ٢١٤-٢١٧ ، ٢٣٠-٢٣٤

٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٣-٢٥٣

غليوم : ٢٥ ، ٩٧

غلاب (محمد) : ٢٠٧

(ف)

الفارابى : ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٩

٢١ ، ٢٣-٣١ ، ٣٤-٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥

٦٣ ، ٧٦ ، ٩٦ ، ٩٩-١٠٣ ، ١١٢

١١٣ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٨

١٤١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦٠

٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨

٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠

٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٥٠

فالزر : ١١ ، ١١٨ ، ١٤٢ ، ٢٠٧

فخر الدين السباكى : ٦٨ ، ١١١

فخرى (ماجد) : ١١ ، ١٤٢ ، ١٧٠

٢٠٧ ، ٢٠٩

فورسيث : ١١

فوقية حسن محمود : ١٧٠

• نيبيرج : ١٠٤

• نيوتن : ١٨٩

(هـ)

• هشام ابن الحكم : ٤٦ ، ٢٤١

• هرقليطس : ٢٠٤

• هوارت (كليمنت) : ٩٤

(و)

• ولفسون : ١٤٢

• ونسك : ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٤٤

(ي)

• يحيى النحوى : ١١٨ ، ١٤١-١٤٤ ،

١٥٢ ، ١٥٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،

• يحيى بن عدى : ١٤١

• المسعودى : ١٨

• مصطفى البابى : ١٩٠

• مصطفى محمد : ١١٢

• معمر : ٢٠

• مكارثى : ١١٧

• الملطى : ٩٣

• مولر : ٢٠ ، ٤٥ ، ١٧٠

(ن)

• نادر (البير نصرى) : ٢١ ، ٢٣٦

• النجار (الحسين بن محمد) : ١١٦

• النصرانى (ابراهيم عبدالله) : ٢٠٨

• نصير مروة : ٢٣

• النظام : ٢٠ ، ٤٦ ، ١٢٧

فهرس المصطلحات

أسطقس : ١٥٠ ، ٢٢٣ ، ٢٣٩ .

امتنع ، يمتنع ، امتناع ، ممتنع : ٢٢ ،
٣٥ ، ٣٦ ، ٦٥ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ،
١٥١ ، ١٥٤ ، ٢١٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ -
٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ -
٢٤٧ ، ٢٥٣ .

امكان الازلية : ١١٢ ، ١١٤ ، ٢٢٥ ،
٢٢٦ ، ٢٢٨ .

أمكن ، يمكن ، امكان ، ممكن : ٢٢-٢٨ ،
٣١-٣٦ ، ٤٠ ، ٤٦-٤٩ ، ٥١ ،
٥٥ ، ٥٥-٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ،
٧٤ ، ٧٨ ، ٧٩-٨١ ، ٩١ ، ٩٨-١٠١ ،
١٠٣ ، ١٠٩-١١٤ ، ١٢٣ ، ١٣٤ ،
١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ،
١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ،
١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
٢١٩ ، ٢٢١-٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ،
٢٣٠-٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ -
٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

أصل العالم : ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ٣١ ، ٣٨ ،
٧٦ ، ١٠٧ .

حرف التاء

تأخر ، متأخر ، تأخر : ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٠ ،
٣٥-٣٧ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٨ ،
٩٤-٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١١٢ ،
١١٤-١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
١٤٩ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،
٢٢٧ ، ٢٣٠ .

ترجيح ، مرجح : ٥٣ ، ٥٤ ، ٧٩ ، ٨١ ،
٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٣ ،
١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ،

حرف الالف

ارادة : ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٣ ،
٥٩-٦٢ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٨ ،
١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٨-١١٥ ، ١٢٣ ،
١٢٥ ، ١٣٤-١٣٧ ، ١٦٣-١٦٨ ،
١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٥-١٧٧ ، ١٨٥ ،
أزل ، أزلي ، أزلية : ١٧ ، ٢٤ ، ٢٧ ،
٣٠ ، ٣١ ، ٣٤-٣٦ ، ٤٠ ، ٤٢ ،
٥٣ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧١-٧٣ ،
٧٥-٧٨ ، ٨٤-٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢-٩٤ ،
٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣-١٠٨ ، ١٠٩ ،
١١٢-١١٤ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢١ -
١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٤-١٣٧ ،
١٤٨-١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ،
١٧٧ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٥-٢٠١ ،
٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ،
٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤٦ ،
٢٤٧ .

أزلية الامكان : ١١٢-١١٤ ، ٢٢٥ ،
٢٢٦ ، ٢٢٨ .

استحال ، يستحيل ، أستحالة ، مستحيل :

١٩ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٣ ،
٣٦ ، ٣٨ ، ٥٢-٥٥ ، ٥٩ ، ٦٢ ،
٧٥ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ،
٩٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٩ ، ١١٣ ،
١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ -
١٢٩ ، ١٣٧-١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،
١٤٧ ، ١٥١-١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ،
١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢١٣ ،
٢١٨ ، ٢٢١-٢٢٤ ، ٢٢٧-٢٣٤ ،
٢٤١-٢٤٥ ، ٢٥١ .

حرف الصاد

صورة: ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤١ ،
٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٦٦ ، ١٤٣ ،
١٤٥ ، ١٥٨ ، ٢٠٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،
٢٣٧ ، ٢٤٥ ، ٢٥١

حرف الطاء

طبيعة ، طبيعي ، طبع: ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ،
٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ،
٣٨ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٦ ،
٥٩ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٦ ،
٩٠ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ،
١٠٩ ، ١١١ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ،
١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥١ ،
١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ،
١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ٢٠٧ ،
٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨

حرف العين

علم: ٢٢ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ،
٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ،
٦٠ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٢ ،
٧٤ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ،
١١٠ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٧٥ ،
١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ،
٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ،
٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،
٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١

أعراض: ٣١ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ،
١٥٤ ، ٢٣٠

معلول، علة: ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ،
٢٦ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٩ ،
٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٨ ،
٧١ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ،
٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٤

حرف الغاء

الخلق المتجدد: ٤٤ ، ١٠٩

حرف الدال

دليل التطابق أو التطبيق: ٧٧ ، ٨٩ ،
١٤٠

دليل العلة التامة: ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٥ ،
٥٢ ، ٥٧ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٥ ،
٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٥ ،
١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ،
١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ،
٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ،
٢٢٥

دليل النظام: ١٨

دليل الوسط: ٢٨

حرف الزاء

الزمان: ١٧ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ،
٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٦ ،
٤٨ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٣ ،
٦٥ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ،
٨٤ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،
١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٩ ،
١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ،
١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ،
١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ،
١٦٥ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ ،
٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ،
٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢

حرف السين

السيبية: ٧١ ، ١٠٩ ، ١٦٩ ، ١٨٥ ،
١٢٣

سوفسطائي: ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ،
١٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢١٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤٥

١٥٩ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ٢١٤ ، ٢٤٥ ،
٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤

حرف الكاف

كون وفساد : ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٤-٣٦ ،
٣٩ ، ٤٠ ، ٥٤ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٧٩ ،
١٨٠ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
٢٢٧ ، ٢٤٥

حرف الميم

ماهية : ٢٢ ، ٢٤ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ١٠١ ،
١٣٦ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
مثال : ٢٨ ، ١٨٩ ،
المدرسة الاسمية : ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
المدرسة الواقعية : ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
ميتافيزيقيا : ٣١ ، ٤٠ ، ٩٠ ، ١٤٤ ،
١٨٩ ، ١٩٩

حرف اللام

اللانهاية ، اللامتناهي ، اللاتناهي : ١٩ ،
٢٣ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٧٧ ،
٧٨ ، ٨٠-٨٢ ، ٨٥ ، ٨٧-٨٩ ، ١٢٤ ،
١٢٧-١٢٩ ، ١٣٨-١٤١ ، ١٤٣ ،
١٥٤ ، ١٥٦-١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ، ٢٢٢ ،
٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥

حرف النون

نظام : ١٨ ، ٣٢ ، ٥٠ ، ٩١-٩٣ ،
١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ١٩١ ،
١٩٢ ،
نظرية أفلاطون في المعرفة : ١٤٤ ،
نظرية بطليموس : ١٩٢ ،
نظرية كوبرنيكوس : ١٩٠ ،
نظرية أنشتاين : ١٨٩ ،
نوع : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٢٨ ،

١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٨٤ ،
١٩٤ ، ٢١٠ ، ٢٢١ ، ٢٠٨

عنصر ، عناصر : ٣٤ ، ٤٠-٤٣ ، ٥٠ ،
٥٣ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٧ ، ١٤٥ ، ١٧٣ ،
١٧٩ ، ١٩٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٩

حرف الفاء

فاض ، يفيض ، فيض : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ،
٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٣٩ ،
٤١ ، ٤٥ ، ٤٧-٤٩ ، ٥١ ، ٥٦ ،
٦٦ ، ٨٥ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، ١١٣ ،
١٩٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠

الفعل ، بالفعل : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٣٦ ،
٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٦١ ،
٦٣-٦٥ ، ٦٩-٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ،
٧٩ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٩١-٩٤ ، ٩٨ ،
١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ،
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ،
١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ٢١٤

حرف القاف

قدم ، قديم : ١٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ،
٣٦ ، ٣٨-٤٠ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥١-٥٣ ،
٥٦ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٧٦ ،
٨٤ ، ٩٥-١٠٢ ، ١٠٧-١١١ ، ١١٨ ،
١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٤-١٢٦ ، ١٢٨ ،
١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ،
١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،
١٩٩ ، ٢١٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ،
قطب : ٨٣ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٤٦ ،
١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،
١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ،
قوة : ٤٠ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ١٤٠ ،
١٤٧-١٥٥ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧

حرف الواو

واجب الوجود بذاته ، بغيره ، وجوب ،

موجب : ٢٢-٢٩ ، ٣١-٣٣ ، ٤٦-

٥٠ ، ٥٧-٦٠ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ،

٧١ ، ٧٣-٨٠ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،

١٠١ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ،

١١٤ ، ١١٦ ، ١١٦ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ،

١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٨٥ ، ٢١٣ ،

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ،

٢٣١ ، ٢٣١ ، ٢٣١ ، ٢٣١ ، ٢٣١ ،

٢٣١ ، ٢٣١ ، ٢٣١ ، ٢٣١ ، ٢٣١ ،

١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٨٢ ، ٢١١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١

حرف الهاء

هيولى : ١٧ ، ١٨ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢

٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤

٥٤ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٧ ، ١١٣ ، ١٣٤ ،

١٥١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٤

٢٣٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٤ ،

٢٣٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٤ ،

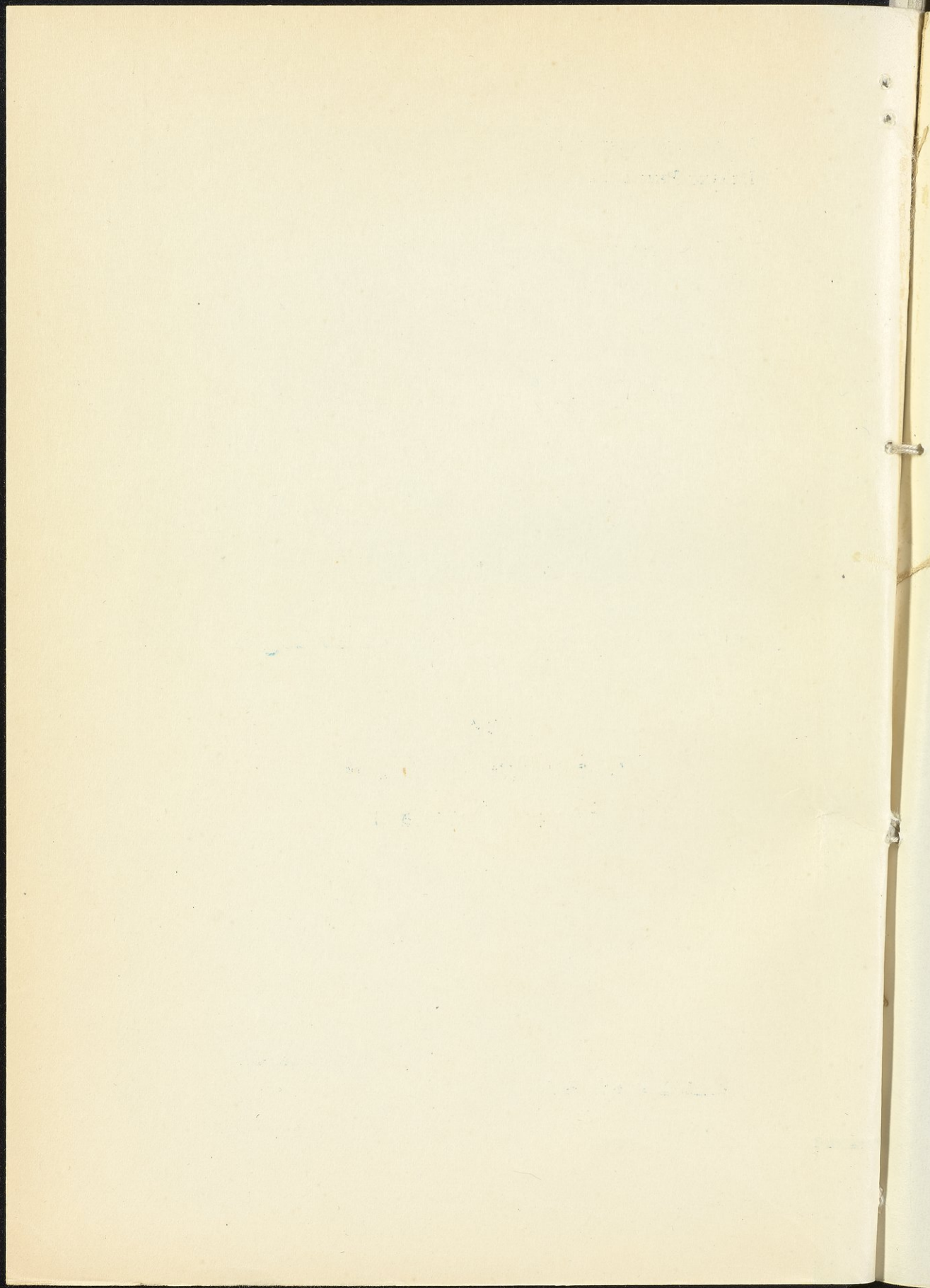
الغلط والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
بحثنا	بحثنا	٩	١٦
رأى	رأىي	٤٠، ١٧	٧، ٩
تناقض	تناقض	٣٢	١١
كلي	يلى	٣٥	١٧
يعير	يصير	٥٦	١٣
سعد	سعيد	٦٠	٢٤
ماذا	ما اذا	٦٢	١٥
اشارات	اشارات	٦٩	٢٣
والاجرامية	والاجرام	٧٧	١٥
رحا	رحى	٨٣	٢٠
ب	آب	٨٧	٢٤
العريشة	العرشية	٩١	٢٠
الدم	العدم	٩٨	١١
الناطقة	الفاضلة	١٠٣	١١
المنطقين	المنطقيين	١١١، ١٠٨	٢٥، ١٦
الغزال	الغزالي	١١٩	١٤
	الفصل الثاني، أول ١٢٣		—
اعترافات	اعتراضات	١٣٤	١٥
خرم	حزم	١١١، ١٤٠	١٣، ٨، ١٦
اي اصيعة	ابي اصيعة	١٤١	١٩
الاعتقاد	الاقتصاد	١٦٣	٢٢
واعترض	واعترض	١٦٧	٢٠
Nothin	Nothing	١٦٩	١٤
والذى	والذى	١٨٣	٨
٥٣ ، اسفل	مكرر يحذف	١٨٣	٢١
آح (في الصورة)	آج	٢٠١	—
ثابت	ثالث	٢١٠	٧
النيقوماهية	النيقوماخية	٢٢٧	٢٢
المزاحى البدنى	المزاج في البدن	٢٣٨	١٢

بایسته‌های اقتصادی

ردیف نام کالا واحد قیمت

1	گندم	طن	1000
2	برنج	طن	1500
3	سیب‌زمینی	طن	800
4	لوبیا	طن	1200
5	سویا	طن	1800
6	ذرت	طن	900
7	کامو	طن	1100
8	کنجد	طن	1400
9	پنبه	طن	1600
10	گلپوش	طن	1300
11	سبزیجات	طن	700
12	میوه‌ها	طن	600
13	توتال	طن	10000



UN AID TO UNDERSTANDING
ISLAMIC PHILOSOPHY

(1) The Problem of Existence.

Being a Dialogue
Between Philosophers & Theologians

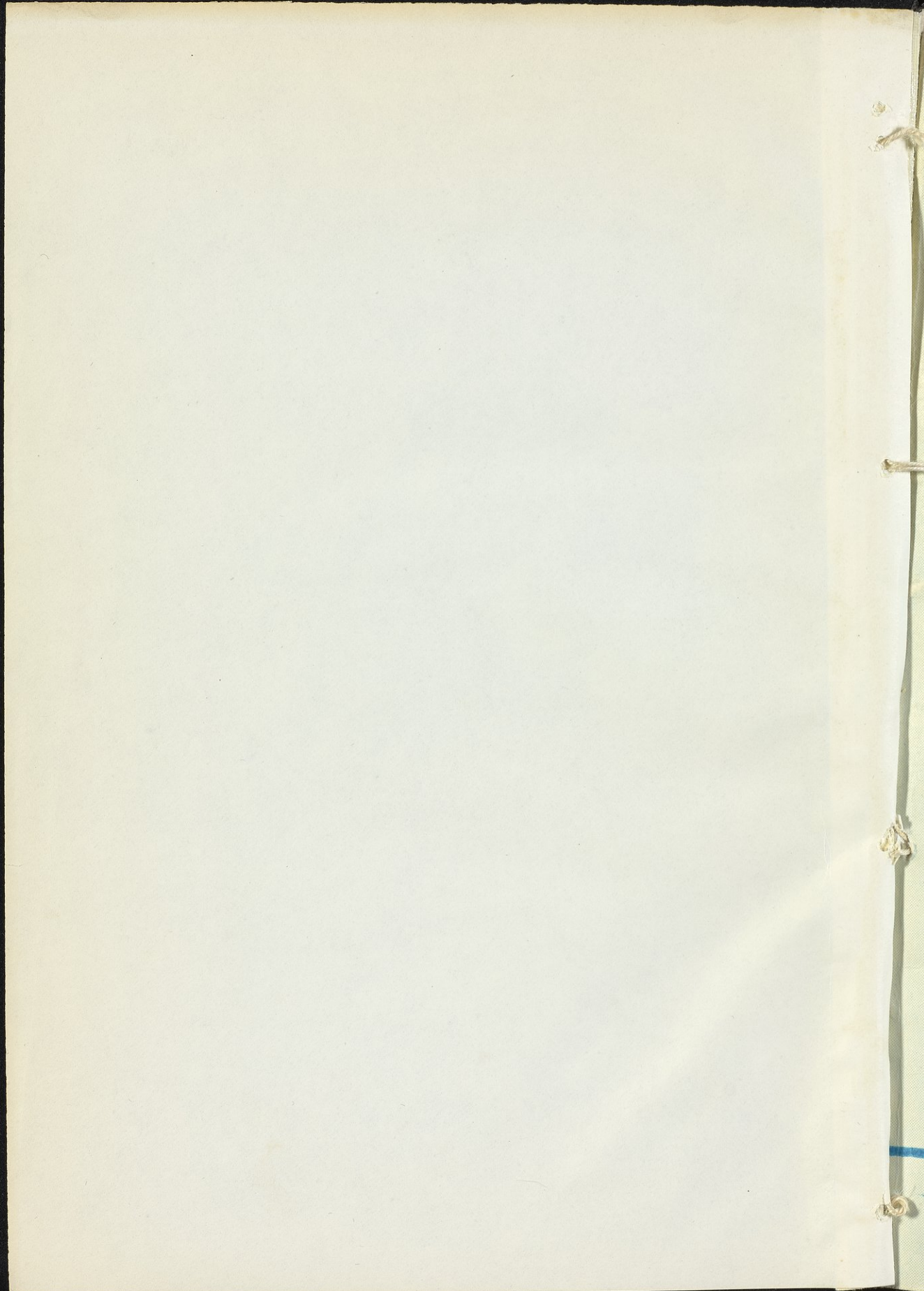
by
Dr. Husam AL-Alousi
Ph. D. (Cantab)

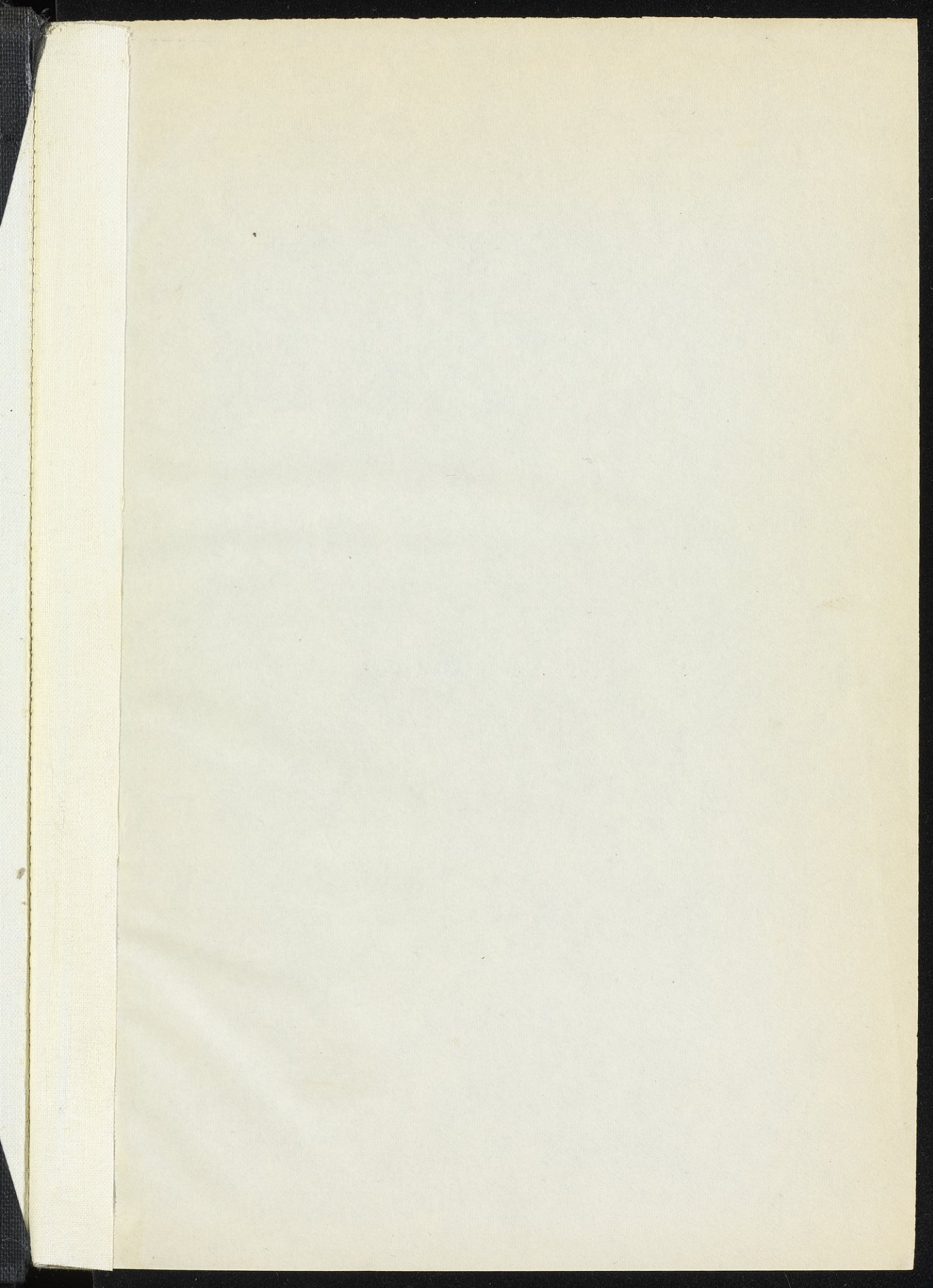
Book One

طبعة الزهراء - بغداد

١٩٦٧/١٢/١/١٥٠٠

سعر النسخة ٦٠٠ فلسا





LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 073838078

